

للمؤلف تحت الطبع :

١ — الدراسه الادبية « الرافعى ومى »

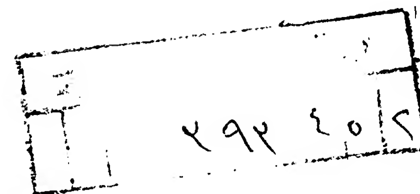
٢ — ديوان « أضواء ونغم »

٣ — ديوان « الفجر الراقص »

• • •

الطبعة الأولى

٢٤ رجب ١٣٨١ هـ — يناير ١٩٦٢ م



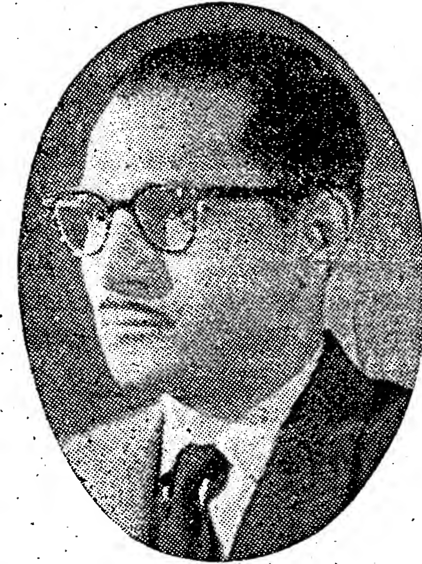
بسم الله الرحمن الرحيم

• • •

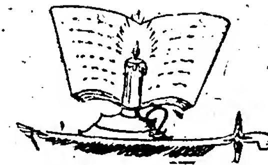
« . . . المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون . . لا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو خير منه . ولا يثبت على لأوائها وجهدها إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة . . ولا يريد أحد أهل المدينة بسوء إلا أذابه الله ذوب الرصاص فى النار — أو الملح فى الماء . »

« من — الحديث الشريف »

• • •



المؤلف



مقدمة

بقلم الاستاذ

حسين فريد محمد

المدينة المنورة . . بلاد رسول الله الكريم صلى الله عليه وسلم — موطن النور والهدى وإشعاع القداسة والسلام ، كانا نهفو إليها ونحلم بالفوز بزيارتها . . وهذا الكتاب « المدينة المنورة فى التاريخ » الذى يؤرخ لهذه البلاد الطاهرة ، لون جديد فى أسلوبه العصرى وطريقة تناوله للامور والأحداث التى مرت بها وعاصرها أهلها منذ دخولها باب التاريخ قبل أربعة عشر قرنا حتى وقتنا هذا .

وهنا نلمس المجهود الكبير الذى بذل فى وضع هذا الكتاب النفيس وهو تاريخ مبسط وعرض شامل عن أوضاع المدينة المنورة عبر العصور فى مكانتها ومآثرها ومساجدها وحكامها مع نماذج من أعلامها وأقباس من سيرة ساكنها وصاحبها سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام .

ولا أطيل فإن لهذا الكتاب القيم مكانته الجليلة فى المكتبة العربية كأثر خالد متجدد مع الأيام .

وفى فلسطين وفى بور سعيد وفى كل مكان، وها هو الشاعر يقول فى أول قصائد ديوانه هذا يستفز الأرض التى نحيا عليها، ويحتل جزءاً منها الأجنبي الغاصب :

«يا أرض ثورى واصخبي وتزلزلى ... فالله لا ترضيه غاشية الظلم
ضجى بأحقاد القرون وولولى ... وتنفسى بالعاصفات من النقم
حتى يظل الكون ينفث بالحمم»

وفى هذه القصيدة كان يبشر بالوحدة الاسلامية الكبرى ويعبر عن الأمانى القومية لكل الناطقين بالضاد .. ويقول :

«أرض الجزيرة والعروبة للعرب ... من حضرموت إلى ربا الأرز العتيد
ومن العراق إلى الجزائر موطن ... يبقى توحده الديانة والعهود
يبقى عزيزاً ثائراً فوق الوجود
وطن توحده الرغائب والمنى ... فى المغرب العربىّ فى الأرض الحرام
فى كينيا فى القدس .. حتى تركيا ... وفى الكويت وفى مراكش أو سيام
فى أرض باكستان .. فى دار السلام
فى نجد .. فى البحرين .. فى لبناننا ... فى تونس الخضرا ومصر وفى اليمن
فى ليبيا، فى سوريا، وحجازنا ... فى لحج، فى السودان، حتى فى عدن
فى الهند فى كشمير فى كل المدن»

وتنطلق ثورة الشاعر من أرض الحرم إلى أرض الهرم يشارك فى ثورة مصر الحديثة :

«يا مصر أبناؤك الأحرار لن يهنوا ... ولن يذلوا لبـاغ أو لمغتنم»

حتى يقول :

«مصر أمّ وهذا الشرق فلذتها ... إن ضيم أو نابه شر فلم تنم»

ويقول فى معركة بور سعيد الخالدة :

«الأرض هـذى علمتنا الحياة ... وتفجرت حمماً تبيد الطغاة»

حتى يقول فيها عن القناة :

«هى حقنا ووريد أوطاننا ... من حقنا تأميمها للسنين
لن يغصبونا فى إدارتها ... وجمال أممها لصون العرين»

أما قصيدته عن فلسطين فيختتمها بقوله :

«هـذى ديار القبلة الأولى ... ستشعلل الدنيا بأرض المعاد
وتبيد أعداء الكرامة والحياة»

إلى غير ذلك من المعانى والمشاعر المتعددة التى تنطلق كالصواريخ فى وجه الظالم الغاصب والمستعمر الآثم لتحطمهما وتجلوهما عن الوطن الابىّ الكبير إلى غير رجعة ..

ومن مخطوطات الأستاذ عبد السلام الشعرية دواوينه : «أضواء ونغم، ألحان الأمل، سمراء، الفجر الراقص»، ثم كتابه عن «الرافعى ومى» الذى قدمه للادارة العامة للثقافة بالقاهرة لتتولى نشره فى سلسلة الاعلام .

متصوف ومحافظ ينادى بحقوق المرأة المشروعة :

فى معظم كتابات الأستاذ عبد السلام وحتى فى بعض شعره نلمس صوفيته وتمسكه الشديد بتعاليم الدين الحنيف، وهذا من أثر البيئة المحافظة التى نشأ فيها، وقد تعمق فى أوائل تعليمه فى دراسة العلوم الدينية، فتشربت بها عقيدته وتمشت جنباً إلى جنب مع دراساته الأدبية

والفنية .. لكنه يستنكر التعصب الأعمى والجمود الذى يشوه به الجهلاء سمعة المجتمع الاسلامى . . وهو يميل فى مطالعاته إلى قراءة كل ما يكتب فى الشعر والنقد وفى شئون الفلسفة وبعض النظريات حول الكون والخليقة وما نحا نحوها من علوم واختراعات .. ومن مهام رسالته كمفكر وأديب . . دعوته إلى إنصاف المرأة المحجور عليها والمستبد حتى بمصيرها فى بعض البلدان . . إنه يدعو إلى أن يكون لها الرأى فى شريك حياتها كما لها الحق فى أن تتعلم وتتثقف ثقافة موجهة بحيث تكون النسبة العليا من تعليمها هى علوم الدين ، لتجد دائما فى أعماقها صوت الفضيلة وشعور الفطرة والضمير ، ينبهانها ويقفان بها عند الحدود التى شرعتها لها السماء فى كل الكتب المقدسة ، حتى لا تطفر الطفرة المتبذلة بجسدها وأخلاقها . . وقد عالج الاستاذ عبد السلام كل ذلك فى بعض أبحاثه ، وفى كتابه الذى ظهر فى عام مضى باسم « حواء عارية » بنوع خاص . .

فنان يتألم ويبحث عن الجمال :

حديث الحب فى حياة الاستاذ عبد السلام يبدأ ببداية نظمه الشعر وهو فى السادسة عشرة من عمره عندما تفتحت مشاعره على مرأى الهيكل البديع لحواء فى هيأة طفلة . . وكان قبل ذلك بنحو عامين قد أصيب بحالات هبوط القلب وضعفه ، ثم بنوباته مما جعله فى شبه معتزل وتحت رحمة الأطباء والعلاجات ، وهو يواصل دراسته وتأملاته حتى إذا ماستهواه الجمال الذى رآه واستبد بخياله انصرف عن التفكير فى أحوال قلبه المرضية وراح يتسلى ويتفكر فى أحواله العاطفية .

وكان حبا مكينا وألفة متبادلة ، وكانت له فيها سلوى وأمل وعزاء إلى جانب اللوعة والتلظى والحرمان .. وقال عن هذا العهد فى ملحمته :

« ومضت سنين سبعة حلما عبر   والحب يحلو مرة أو يستمر »

وكتب عن ملحمته هذه أكثر من مؤلف ، وظهر عنها أول إنتاج طبع له : ديوانه (مذبح الأشواق) فى عام ١٩٥١ م يصور ذكريات هذا الحب وأحلامه ومآساته .

ويقول فى نشيده الأول :

« أنا قد بعثت جديداً هنا   وليد العواطف سامى الوطر
أتيت بروحى إلى ربوة   وجئت بقلب يناغى القمر »

ويقول فى نشيده الرابع والأخير :

« رجعت وفى القلب من جذوة الحب حرق دفين
وفى الكف بعض البقايا الرجيمه
بقايا النضال وإعصار روح كليمه »

وعاش الطائر الغريد فى قفص آلامه وأوهامه وعلة قلبه أياما طويلة . . خرج بعدها يبحث من جديد . . ليحب . . ليجدد عواطفه .. ليركض خلف الجمال ولا حظ له الا متعة النظر والخيال . يترنم ويأسى .. يتأمل ويتعذب . . ويقول :

« كم همت بالحسن ريانا وأوصفه   شعراً ونثراً ومالى فيه من قسم »

إنه يقول عن هذا الحب العذرى الذى آمن به ويعيش فيه :

الوضع المحيط به وان كان يجيد المبادىء التى تلقاها خلال العام الذى أمضاه بمصر سنة ١٩٥٣ ويفضل أن يكون مستمعا متذوقا .

وقبل أن أختتم هذا الاستعراض المقتضب أنوه إلى أن نشاط شاعرنا الادبى متواصل الحلقات بما يدعو إلى الاعجاب الكبير . . وهو يرجو ونرجو معه — أن ترى النور باقى مؤلفاته القيمة ، ونأمل أن يجد من التقدير والتكريم ما يعينه على أداء رسالته ويسليه أكثر عن إصابته القلبية التى تثير عليه الأزمات فى بعض الأوقات ، وندعو الله أن يتهيأ له السبيل للتخلص منها لينعم بعض الشىء ، وهو يحيا مجاهدا بفكره وقلمه وأمانيه فى ميدان الثقافة وعالم الأدب . . أخيرا سلام على هذه البلاد الحبيبة إلى كل نفس . . سلام على طابة الطيبة التى يكفيها من الفضل أن الاسلام بدأ ينتشر منها وقد حمت الرسول المهاجر إليها — صلى الله عليه وسلم — وناصره أهلها وفيها كانت قيادة جهاده ومقر أول خلافة له حتى عمت الرسالة السماوية أقطار الأرض ، ثم أخيراً ضمت جدثه الطاهر فاذا هو أعظم مزار تشد إليه الرحال بعد المسجد الحرام . . اللهم أمتعنا بالتقرب إليه وبحبه وحب آله وذويه عليهم السلام والرضوان ؟

حسين فريد محمد

القاهرة فى { ربيع الأول ١٣٨٠
أغسطس ١٩٦١

بداية التكوين

إذا جئنا نستوضح ذلك الزمن البعيد لوضع المدينة المنورة، فى ميزان الوجود التاريخى ، فلا نكاد نستجلى واقعها الا بعد الطوفان، فى عهد النبى نوح عليه الصلاة والسلام ، عندما أمره الله عز وجل ببناء السفينة التاريخية فى عرض البحر ، والاقامة فيها مع أهله وذويه وأزواج من مخلوقاته تعالى فى الحيوان . حيث أغرق سبحانه الارض ومن عليها من الذين طغوا وبغوا وعتوا عن أمره ، فدمرهم الطوفان عن آخرهم ولم يبق من نسل آدم الا النبى نوح وبنوه ومن معه فى السفينة التى ظلت عائمة بهم فى اللج سنة وعشرة أيام ، حتى أذن الله لهم وانحسرت المياه وعادوا الى سطح الأرض من جديد . .

ولقد مرت عشرات السنين قبل أن تسكن المدينة لأول مرة . فنزل بها يثرب وأبوه عبيل بن عوض بن آدم بن سام بن نوح . ولذا سميت « يثرب » باسم أول من نزح إليها . ولكن هؤلاء لم ينعموا فيها طويلا إذ أجلوا عنها ، واستقروا فى المكان الذى يسمى . « الجحفة » حيث فاجأهم سيل هادر وأجحفهم فيه . وقال رجل منهم يرثيهم :

«عين جودا على عبيل وهل يرجع من فات فيضها بانسجام
عمّروا يثربا وليس بها شفـر ولا صارخ ولا ذو سنام
غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا النخيل بالآجام»

وقد كان العمالقة منتشرون فى جزيرة العرب . وسكنوا الحجاز بما فيه مكة والمدينة ، وملكهم هو (الأرقم) ويقطن ما بين فدك وتيماء ، وكانوا قد استبدوا واستكبروا .. ولما نصر الله تعالى نبيه موسى على فرعون ودخل الشام وأهلك من بها من العصاة ، بعث إلى العمالقة فى الحجاز من قاتلهم فلم يبقوا منهم على أحد ..

وهكذا لأول مرة استوطن اليهود بعض الاماكن بالحجاز الذى كان يفيض بالنعم والخيرات من الماء والاشجار والزروعات المختلفة والجنان الوارفة . وقد كان (بختنصر) فى شمال الجزيرة قد هدم بيت المقدس وظل يقاوم بنى اسرائيل - هؤلاء - حتى تفرقوا عن بلاد الشام ، وكان بعضهم يقرأون فى كتابهم بأن النبى محمدا « صلى الله عليه سلم » سيظهر فى إحدى البلدان العربية بقرية « ذات نخل » فراحوا يهربون من الاضطهاد ويتنقلون من قرية الى اخرى فيما بين الشام واليمن ، علهم يجدون وصف « يثرب » لاحدى القرى ، رجاء ان يلتقوا بمحمد « عليه الصلاة والسلام » وأقامت بيثرب منهم طائفة من حملة التوراة فى بنى هرون ، تكاثروا ومات الآباء وهم يؤمنون بأن محمدا « صلى الله عليه وسلم » قد جاء ويوصون أبناءهم باتباعه ، غير أن من أدركه كفروا به غيظا وحسدا من الانصار الذين كانوا قد سبقوهم اليه وشرفوا باتصالهم به .

وكانت توجد ليهود بنى أنيف آطـام بقباء - وهم من سكان المدينة الاقدمين ، ويذكرهم لنا أحد شعرائهم فى قوله :

«ولو نطقت يوما قباء لخبرت — بأنا نزلنا قبل عاد وتبع
وآطامنا عادية مشمخرة — تلوح فتنكى من يعادى ونمنع»

وبلغت قبائل اليهود فى المدينة نحو عشرين قبيلة . غير أنه عندما نزح

اليها الأوس والخزرج ، الشقيقان ، لم يكن قد بقى منهم سوى بنو أنيف وبنو ناغصة وبنو القصيص ، وأصبحت آطامهم مع آطام العرب تزيد على السبعين - وهى حصونهم - وقد جرفها وأزالها سيل العرم الذى تسبب عن نقب سد مأرب «١» بأرض سبأ الخصيبة وقد كانت شجراء مثمرة يزيد طولها على مسيرة شهرين لراكب الدابة . آهلة بالسكان الآمنين الناعمين . وإياها تعنى الآية الكريمة بقوله سبحانه وتعالى :

«لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا سيل العرم»

فى ذلك الوقت وقد استوطنت قبائل وبطون الأوس والخزرج بالمدينة ، عقدوا مع جيرانهم من اليهود حلف جوار وعدم اعتداء حتى أنهم تكاثروا وأثروا ، وخاف اليهود غلبتهم فنكثوا الحلف . واهتبلوا هم الفرصة . وقد كانت هناك عادة ذميمة بأن يفتض (فيطون) ملك اليهود . كل عروس ليلة زفافها ، فكبر على العرب الخضوع والانصياع لهذه الفعلة النكراء ، فتشاوروا واعتزم منهم « مالك بن العجلان » ان ينتقم ، وقد كانت أخته ستزف ، فارتدى زى النساء - وفى يده سيفه - واندس بينهن عند الدخول بالعروس على (فيطون) وأجهز عليه بطعنة قاتلة ، ثم انطلق الى الشام . وفيها الكثير من قومه . وقصد الى كبير غسان أبى جبيلة من بنى جفنة بن عمرو ، وكان لهذا ملك فيها ، واستنجد على اليهود الطغاة ، فجهزه بجيش كبير سار به الى

(١) هذا السد بناه لقمان الاكبر فى اليمن ؛ وفيه تجتمع مياه الامطار ثم تتفرق فى مجار للزراعة .

الجنوب كأنه يقصد اليمن ، ثم دعا بنى اسرائيل الخروج إليه ممن يريد عطايا الملك - لألا يتحصنوا فى المدينة ، فجاء اليه كبراؤهم ، وقد أعدّ لهم طعاما ، ثم قتلهم ، وساعده أبو جبيلة أيضا فى محاربة من كان منهم بالمدينة وفى إزالة شرورهم وعبثهم ..

كان ذلك بداية القضاء على اليهود ، وقد اشترك تبع الأصغر ابن حسان — آخر تبابعة اليمن — فى إذلالهم وتشريدهم ...

ونعم الاوس والخزرج بالمقام — وهم قبائل عدة — اتخذ بعضهم السكنى بالقرب من وادى بطحان والحرة الغربية ، وسكن البعض الآخر فى الحرة الشرقية وعمروها ، وصارت لهم فيها آطام كثيرة أشهرها واقم التى قال فيها شاعر منهم :

« نحن بنينا واقماً بالحرة   بلازب الطين وبالاصرة »

وكانت تقع دائماً بينهم منافسات وحروب فيقاوم بعضهم البعض ... وأول موقعة خاضوها هى « حرب شمير » ، وقد دامت هذه الحروب فيما بينهم نحوا من قرن وربع القرن حتى كان آخرها قبل عام الهجرة بخمسة أعوام « حرب يوم بعاث » وقتل فيها الكثير من أشراف الطرفين ...

* * *

تعتبر بعض قبائل الاوس والخزرج جزءاً من أنصار المدينة ، أما الجزء الآخر فهم من سلالة العلماء الأربعين الذين كانوا يرافقون « تبعا الآخر » وهو تبان أسعد أبى كرب . الذى عمر البيت الحرام

وكساه — وقد مروا بالمدينة ، وطلبوا منه البقاء بها لأنهم وجدوا فى كتبهم أنها مهاجر نبى إسمه محمد — حتى يلتقون به ، فوافقهم « تبع » وأكرمهم بأن بنى لكل واحد منهم دارا وأقطعه زوجة وجارية ، وزوده بالمال الوفير ، كما أنه ابتنى دارا باسم رسول الله عليه الصلاة والسلام لينزل بها ، وأعطى لكبيرهم كتابا مختوما بالذهب يعلن فيه إيمانه به . ليسلمه إلى النبى صلى الله عليه وسلم إن أدركه هو أو ولده أو أحفاده. وجاء فى كتاب تبع قوله الجميل هذا :

« شهدت على أحمد أنه   رسول من الله بارى النسم

فلو مد عمرى إلى عمره   لكنت وزيرا له وابن عم »

وهذه الدار التى ابتناها للنبى صلى الله عليه وسلم تعاقب عليها الملاك إلى ان أصبحت للصحابى أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه — وهو من سلالة كبير العلماء. ولاتزال هذه الدار تعرف بإسمه إلى اليوم فى عصرنا الحاضر ...

فى أيام بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم كان سيد أهل المدينة هو عبد الله بن أبىّ الذى رأس الطرفين من الأوس والخزرج ولم يكونا قد اجتمعا على رجل غيره من قبل .

ومن الأسباب الهامة فى قيام حرب يوم بعاث ذلك النزاع الذى حدث فى مكة عندما جاء نفر من المدينة من بنى عبد الاشهل وعلى رأسهم أبو الجيسر - لمحالفة قريش ، وقابلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليهم نفسه بقوله : هل لكم فى خير مما جئتم له ؟

وقرأ عليهم بعض آيات القرآن الكريم وأضاف لقوله يستنصرهم لدعوته : بايعوني واتبعوني فإنكم ستجتمعون بي . والتفت إليهم أحدهم وهو إياس بن معاذ يقول : هذا والله خير لكم مما جئتم له ، ولكن أبو الجيسر انتهره ، وانصرفوا دون أن ينعقد الحلف .

منذ ذلك الحين دخلت المدينة المنورة ميدان الحياة الصاعد ، وراح التاريخ يسطر الصفحات الخالدة بمداد النور والمعرفة عندما هاجر إليها وهبط بها الرسول الاعظم عليه أفضل الصلاة والسلام عام ٦٢٢ لميلاد السيد المسيح عليه السلام، وكان يومها مبدأ التاريخ الهجرى إشراقاً غامرا على القرون وعلى دول العالم المتعاقبة حتى الابد بمشيئة الفرد الصمد أجل من قائل : «فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها»...



أسماؤها ... ومكانتها

بلغت أسماء المدينة نحو الخمس والتسعين إسما، وهذه الكثرة فيها تدل ولا شك على عظمة المسمى وفضله، وقد عناها فى قوله رسول الله صلى الله عليه وسلم عند خروجه مهاجرا من مكة إلى المدينة :

«اللهم إنك أخرجتنى من أحب البقاع إلى فأسكنى فى أحب البقاع إليك .»

وهذه هى المدينة المنورة أحب البقاع إلى الله . ونذكر هنا بعضا من أسمائها إتماما للفائدة .

«يثرب» نسبة إلى أول ساكنيها . وعلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم سميت المدينة المنورة ـ ثم ، المؤمنة ، المحبوبة ، المقدسة ، البارة ، دار الابرار ، أرض الله ، طابة ، طيبة ، سيدة البلدان ، دار السلام ، المحرمة ، المباركة ، المحروسة ، المرحومة ، الجابرة ، المختارة ، القاصمة ، الفاضحة، حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الموفية ، ذات الحرار ، قلب الإيمان ، أكالة القرى ، قبة الاسلام، المعصومة ، وتفسير هذا الإسم أنها معصومة من دخول الدجال والطاعون، وهى التى اعتصم بها المهاجرون. ومن أسمائها أيضا: الإيمان والدار. قال الله تعالى: والذين تبوؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ، يعنى الأنصار فى إكرامهم للمهاجرين .

وتقع المنطقة المحرمة من المدينة: بين جبلى أحد وعير وبين حرتى

المدينة المنورة التى استقبلت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم رسل الله وأنبيائه ، وآوته ، ومنها انبثقت دعوة الاسلام صريحة قوية وانطلقت الغزوات تطوّع وتهدى الناس والبلدان إلى الايمان بإله واحد يعبد وتؤدى فروض دينه الحق ودين الإسلام ، الذى ارتضاه لعباده فأصبح هو دين الإنسانية الواعية المؤمنة ..

هنا رمز الكفاح المجيد الصادق وأول الأساس والبناء لحضارة إسلامية عربية شامخة خالدة ..

هنا حيث عـــاش الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام أعوامه الأخيرة العشرة التى كانت أجل وأفضل من مئات السنين : كانت أعوام فتح وتثبيت لدعائم الدين الأبدى ، وتأكيد لوجوب الوحدانية للخالق القادر الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

كانت أعوام نصر مؤزر لهذه الدعوة الاسلامية التى توحد بين العباد وتشرع لهم قانونا عادلا حكيما ، وقد وضع للحياة مناهجها السليمة فى المثل العليا من الكرامة والفضيلة وسمو الخلق وإباء النفوس ونبل المشاعر وقداسة الحرية وعظمة العقيدة . . . وهذا كله يضم قوله صلى الله عليه وسلم : بعثت لأتمم مكارم الأخلاق .. وضمت المدينة الجسد الطاهر السيد الخلق عليه أفضل الصلاة والتسليم ، بعد أن ابتنى فيها مسجده الذى قال فيه ما قال ووجبت زيارته وأن تشد إليه الرحال . .

وأصبحت المدينة مزار المسلمين من كل أقطار الدنيا يأتون إليها ليشهدوا فيها رموز الطاقات التى انتشر بها الدين الإسلامى حتى غمر العالم، وليصلوا ويسلموا ـــ عن قرب ـــ على الهادى حامل رسالة السماء

إلى البشرية ومبلغ دعوة الحق والاصلاح للناس . بشر بالخير والنعمة وحسن النهاية المؤمن الواعى المخلص ، كما أنذر بالعذاب وسوء المصير لمن تجاهل وأشرك وحارب الله ورسوله : لأن الإيمان هو المعرفة والتبصر وصدق العلم ويقظة الضمير .

هذه المعانى الكاملة هى التى انطلقت من هذه الأرض المقدسة : (مبين الحلال والحرام) مدينة رسول الله ﷺ وحرمه ومضجعه وفيها يقول : لاتقوم الساعة حتى تنفى المدينة شرارها .. ويقول : أول من أشفع له من أمتى أهل المدينة .

بقعة كريمة مباركة ، وبلد طيب أمين ، ووطن عظيم جليل ..
هذه هى المدينة المنورة الحبيبة . إنها قدس الاقداس وكفى ؟



معالمها ... ومآثرها

لو قدر للآثار الجليلة التى شهدتها المدينة — منذ الفجر الاسلامى إلى اليوم — أن تحتويها أيدى العناية وتتعاقب فى المحافظة عليها ، لتكون منها على هذه الأرض الخالدة ، متحفا ناطقا بأعمال الاجيال ومخلفات القادة والزعماء والابطال من المسلمين الذين حفل بهم التاريخ الطويل، وقد دخلوا سجل الخلود . لو قدر ذلك ، لكانت تلك المآثر رموزا للبقاء المتجدد والحياة المنصرمة ، غير أن مآثرهم لم يبق منها الزمن إلا النزر اليسير . وإن فى جميع أنحاء المدينة كثير من الآثار المندرسة فى القصور والآطام والمزارع والأودية والآبار والعيون والقلاع والآجام والمعابد والمساكن والقرى والمساجد والمعالم المختلفة . حتى إنه ليطول بنا الشرح لو عمدنا إلى استعراضها وذكرها ، ولكننا نكتفى هنا بأن نستقصى ماهو قائم ظاهر ، وماهو بين واضح تمشيا مع الغاية المرسومة لكتابنا هذا .

الأوديـــة :

(وادى العقيق) يسمى بالعقيق لحرة موضعه ولأن السيل عق فى الحرة أى شق وقطع . وهو ينقسم الى واديين . صغير وفيه بئر رومة

(١) هناك فى كتب التاريخ العديدة عن المدينة شرح وتفصيل واف لكل المبانى والمآثر المندثرة.

وهو مابين أسفل المراجل الى منتهى العرصة ، ويتصل به العقيق الكبير . وفيه بئر (عروة) إلى بلا مرينة وهو مما يلى الحرة إلى قصر المراجل . ويسيل وادى العقيق من الجهة القبلية بجبال مكة ثم يتكاثر فى طريقه حتى يصل المدينة ويخرج منها ثم يلتقى بجمع السيول فى (غابة) بأعلى الجمو وذلك غربى مشهد حمزة رضى الله عنه، وفيه قال الوليد بن زيد:

«لم أنس بالعرصتين مجلسنا بالسفح بين العقيق والسند»

ويسيل هذا الوادى كغيره من الاودية - كلما هطلت الامطار ورويت الأرض، ويكون منظرا جميلا يبهج ويهدهد الخواطر . ويقع فى منطقة استراتيجية ، حيث تعتبر أول محطة المدينة لكل من غادر أو قصد اليها . ولا تخلو أبدا هذه المنطقة البديعة من الرواد يستمتعون بمائها العذب وجوها الهادىء ومناظرها الطبيعية عند جنوح الشمس للمغيب أو فى الليالى القمراء . ولكم شدا الشادون وشهدوا من ذكريات فى هذه البقعة الجميلة التى هى أبدع مكان يقصد للنزهة فيه ووادى العقيق هذا واد مبارك كما جاء فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم

« وادى بطحان » يأتى من الحرة العليـــا ، وهو المسيل الوحيد الذى يمر داخل المدينة ويخترقها من جنوبها إلى شمالها - وهو المعروف باسم « أبوجيدة » وله عدة شعب خارج المدينة ..

« وادى الرانوناء » يسيل من ناحيـة جبل عـير وشرق الحرة ثم يلتقى بوادى بطحان . . وهو معروف باسم «سيل سيدنا حمزة» .

« وادى مهزور » يسيل من حرة شوران ، وفى العهود السابقة

كان يمر بالمسجد النبوي والبقيع ، حتى عملت له ممرات بعيداً عنهما ـ وله عدة شعب منها ـ وأكبرها التي تخترق الحرة الشرقية إلى العريض حيث تصب في « العاقول » ، وقد عمل له خزان في العصر الحاضر للإفادة من مياهه .

وهنالك وديان صغيرة تسيل وتلحق بما ذكرنا من الاودية .

العيون والآبار : ـ

« بئر عين الأزرق » أجراها الخليفة معاوية على يد عامله على المدينة مروان بن الحكم وكان أزرق العينين ـ فسميت به . ومعروفة اليوم باسم (العين الزرقاء) وأصلها بالقرب من مسجد قباء ، وتسيل في منهلها إلى الشمال الشرقي لتصل المنهل الذي أمام « مسجد الغمامة » الرئيسي ومنه تتفرع إلى جهتين : احداهما الى المنهل المعروف في باب البصري باسم « السبيل » والأخرى الى المنهل المقام امام المسجد النبوي بين بابي السلام والرحمه . وقد أزيل وطمر هذا المنهل وأدخل مكانه ضمن الرحبة التي أمام المسجد الشريف أثناء عمارة توسعة عام ١٣٧٢ هـ من قبل الحكومة السعوديه . ويعتمد أهل المدينة في أكثر شربهم على هذه البئر الزرقاء . . وقد أنشيء حديثا عدة مناهل لتأمين احتياجاتها من الماء النقي باسم « مناهل سعود » . .

« عين النبي ﷺ » كان اسمها « العيينة » ونسبت اليه صلى الله عليه وسلم لانه كان يتوضأ منها أيام الخندق ، وهي عند كهف بني حرام في مقابلة المصلى . .

« بئر أريس » : إسمها هذا نسبة الى إسم رجل فلاح في الجاهلية .

وهي تقع أمام مسجد قباء إلى جهته الغربية ، وكان قد سقط فيها خاتم النبي صلى الله عليه وسلم من يد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولهذا فهي تعرف اليوم ببئر الخاتم ، وقديما كانوا يسمونها « بئر العقبة » .

(بئر عروة) هي الشهيرة الواقعة على مسيل وادي العقيق : وقد أجراها الصحابي عروة بن الزبير رضي الله عنه . وماؤها معدني وهو أجود مياه المدينة ، وهو مع عذوبته وحلاوته مدر للبول ويستشفى به ، وكان يهدى في قوارير إلى الخليفة هارون الرشيد . والبئر مضيئة بالليل . وعن ذلك يقول السري بن عبد الرحمن الأنصاري :

« كفنوني إن مت في درع أروى   واستقوا لي من بئر عروة مائي
سخنة في الشتاء باردة الصيف   سراج في الليل الظلماء » .

(بئر أنس بن مالك) : تعرف اليوم ببئر « الرباطية » نسبة إلى الرباط الذي هي فيه واسمه الآن (رباط الحضارم) — ويقع في (الرومية) من حواري المدينة الداخلية المعروفة .

(بئر حاء) أجراها أبو طلحة في بستانه — وهي تقع شرق المدينة إلى الشمال من سورها . وهي وقف على الفقراء .

(عين الشهداء) : تقع قرب جبل أحد ، وتسمى أيضاً (الكاظمة) .

(عين الخفيف) : تقع بجوار مساجد الفتح وتعرف بعين (شبشب) أيضاً وقد انقطعت .

(بئر البصة) . تقع بالقرب من البقيع على يسار الطريق إلى قباء .

وعلى مقربة منها بئر أصغر منها وتحوطها حديقة كبيرة وموقوفة على الفقراء ، وقد أوقفهـا لله تعالى المرحوم شيخ خدم المسجد النبوى ريحان البدرى الشهابى سنة ٦٩٧ هجرية .

(بئر بضاعة) : تقع شمـال غربى (بئر حاء) وسط بيوت بنى ساعدة .

« بئر غرس » : تقع شرقى مسجد قبـاء من الشمال على نحو نصف ميل وهى التى قال عنهـا النبى صلى الله عليه وسلم للخليفة على بن أبى طالب رضى الله عنه : ياعلى إذا أنا مت فأغسلنى من بئرى : بئرغرس بسبع قرب لم تحلل أوكيتهن » . .

« بئر إهاب » : تقع فى الحرة الغربية ، ويقـال لها زمزم لبركـتها إذ أن النبى صلى الله عليه وسلم بصق فيها . وقد احتفرتها السيدة فاطمة ابنة الحسين رضى الله عنها وتسمى أيضاً باسمها .

« بئر رومة » : تقع فى عقيق المدينة وتعرف اليوم باسم « بئر عثمان » لأن الخليفة عثمان بن عفـان رضى الله عنه اشتراها وجعلهـا للمسلمين .

« بئر الاعواف » من الصدقات النبوية وقد توضأ على شفتها النبى صلى الله عليه وسلم وسال الماء عليها ثم نبتت شجرة من أثر وضوئه ، وهى قائمة إلى زمن قريب .

(بئر العهد) تقع بحرة المدينة الغربية ، وتسمى أيضاً (بئر السقيا) و (بئر الجميل) وقد كانت لبنى أمية من الأنصار . .

(بئر أبى عينة) : تقع غرب حـديقة العمرانية بناحية باب العنبرية — وتعرف اليوم باسم (بئر ودى) وهى وقف على أغوات الحرم النبوى الشريف . .

(بئر حلوة) : تقع فى زقاق حلوة المعروف اليوم بزقاق الطوال .

(بئر القراصة) : تقع غرب مساجد الفتح — كانت قد اندثرت ثم كشف عنها أثناء عمـل عليها بستانا المرحوم الشيخ أبو بـكر داغستانى ـ فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى ..

(بئر جشم) تقع غرب وادى الرانوناء — وهى لبنى بياضة فى منازلهم وحولها نخيل ومزروعات ..

(بئر سميحة) تقع فى العالية — وكان قد ابتاعها بالحديقة حولها العلامة أحمد بن عبد الحميد العباسى مؤلف كـتاب (عمدة الأخبار فى مدينة المختار) وأوقفها لله تعالى ..

ومن الآبار المندثرة : ذروان ، وزناد ، ورئاب ، وعائشة ، والملك ، وجاسوم ، والبصيرة ، والهجيم ، وغيرها . .

وهذه الـكثرة فى الآبار مما يعطينا صورة واسعة إلى أن المدينة بلاد زراعية ، وكانت فى كل الأحقـاب تصـدّر مختلف المنتجات — ولا تزال — وإن تضاءلت فيها نسبة الزراعة فى هذا العصر ..

المعاهد والقصور :

حفلت منطقة العقيق منذ القرن الأول للهجرة – بسكنى كبار رجالات المدينة وأقطاب الدولة الإسلامية ، فشيدت القصور وأنشئت المزارع والبساتين ، وحفرت الآبار واستخلت الوديان ، وكثر النخيل حتى كانت الأحمال تخرج من المدينة لتصدر منتجاتها إلى البلدان الأخرى . . فلقد كانت هذه المنطقة عامرة بالحياة مزدانة بخيرات الأرض البكر ، حافلة بالضياع والحدائق الغناء . . ولكن الأيام تمر ، ومعول الزمن لا يرحم ، إذ أضاع الخلف ما ورثوه عن الأسلاف الكرام ، وامتدت أيدى النسيان والإهمال تعمل عملها . . فإذا بكل تلك المنشآت الجميلة والمعالم الضخمة تتهاوى ويجرفها التيار وإذا بها أثر بعد عين ، لم يبق منها إلا سطور تروى وأحاديث لوعة نرددها .

ومن أسماء هذه القصور : قصر أبى هاشم بن المغيرة بن أبى العاص ويعرف بحصن أبى هاشم . .

قصر عنبسة بن سعيد بن العاص . . والمزارع التى مقره اليوم – تعرف بالعنابس . .

قصر عبد العزيز بن عبد الله العثمانى ، قصر عاصم بن عمرو العثمانى، قصر مروان بن الحكم ، وله قصر آخر قرب مكان الصدقات النبوية بالبقيع . .

قصر سعيد بن العاص ابن أمية – يقول فيه أبو قطيفة ..

« القصر والنخل والجماء بينهما   أشهى إلى النفس من أبواب جيرون »

وقد كانت القصور تحف بها البساتين وتمتد أمامها المزارع حتى تلك التى فى غير هذه البقعة . .

وهناك أيضاً قصور فى أكثر من مكان ، عفا عليها الزمن واندثرت ومنها : قصر إسماعيل بن الوليد بن هشام – بنى على نصف بئر اهاب . . ، قصر خل . . يقع بظاهر الحرة غربى بطحان إلى طريق رومة . بناه معاوية على يد النعمان بن بشير ، وكان فى بعض العهود السابقة جسناً . .

قصر ابن ماه : يقع أسفل بئر هجيم ..

قصر بنى حديلة : يقع مع بئر حاء .

قصر ابن عراك : يقع بطريق أحـــد بالقرب من مقبرة بنى عبد الأشهل ..

قصر ابن يوسف : يقع بأسفل قصر مروان – وهو لموالى آل عثمان ..

هذا على سبيل المثال لا الحصر ، وقد يطول بنا المجال لو استقصينا كل المشاهد والمعاهد من أمكنة القوم وأموالهم وآطامهم ومواضع ذكرياتهم – وقد طوتها الأيام ، واستوفت أخبارها الكتب الجمة

التى تناولت تواريخ المدينة ومآثرها العديدة بتفصيل أكثر ، ولهذا فإنى أترك لمن يريد الاستيفاء أن يرجع إلى تلك الكتب المطولة .

الخندق والسور :

يقع (الخندق) شامى المدينة ، وقد حفره النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى ستة أيام عندما بلغه قدوم اليهود من بنى النضير مع قريش ، وسميت هذه الغزوة (الخندق) وتسمى أيضا (يوم الأحزاب) ، وقد امتدت مساحة الخندق من طرف الحرة الشرقية إلى مشارف الحرة الغربية ، وقد عفى عليه مسيل وادى بطحان وطمه لأنه فى طريقه ، ولم يبق إلا موضعه يدل عليه :

وقد كان للمدينة سور منيع إلى عهد جد قريب : سور قديم يحوطها من جميع جهاتها .. أنشأه عام ٢٣٦ هـ محمد بن اسحق الجعدى ..

وله أربعة أبواب رئيسية .. وتهدم معظمه بمرور الأيام ، فأقامه عضد الدولة ابن بويه بين عامى ٣٦٠ — ٣٧٢ هـ وتهدم ايضا ولم تبق منه إلا الآثار . وفى عام ٥٤٠ هـ ابتنى الجواد جمال الدين محمد بن على المنصور سورا داخليا محكما .. وفى عام ٥٥٨ بنى الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى السور الخارجى، وجدد عام ٧٥٥ هـ فى عهد ابن قلاوون ، ثم جدده الملك قايتباى عام ٨٨١ هـ ولكن هذا السور تهدم واندرست معالمه ، فيما عدا الجهة الغربية للسور الداخلى الذى جدده السلطان سليمان بن سليم بين عامى ٩٣٩ — ٩٤٦ هـ ، ثم جدده فى عام

١٠٧٨ هـ الملك محمد بن إبراهيم خان ، ثم أصلح ماتهدم منه السلطان محمود خان عام ١١٦٢ هـ . ثم جدد عمارته هذا عام ١٢٨٥ هـ وزاد فى ارتفاعه حتى بلغ ٢٥ مترا وبنى له أربعين برجا كلها مشرف على جوانب المدينة الأربعة ومزودة بالمدافع والآلات الحربية ، وفى عام ١٣٠٥ هـ زاد السلطان عبد الحميد فى السور من ناحية (باب العنبرية) وجدده ـ ويسمى هذا الباب أيضا (الباب الحميدى) ـ نسبة إلى السلطان ـ وهو مدخل جميع القادمين من طريق جدة وينبع وما حولها . وظل السور بمتانته وقوته كإطار محكم حول المدينة ، حتى العصر الحاضر حيث تمت إزالته كله فى تنظيمات الحكومة السعودية بغية فتح الشوارع ونظرا لاتساع العمران من كل الجهات ..

الجبال والحرار :

تكاد الجبال تحاصر المدينة من كل جهاتها وهى تمتد أيضا على طول الطريق إلى بدر . .

ونستعرض بعضا منها مما هو داخل المدينة : فإلى الجهة القبلية تقع جبال : القلادة ، والمقشعر ، وصاوى ، والكويرة ، ومن الغرب جبل برام ، ويقابله فى المشرق جبل عسيب . وفى منطقة قباء جبال (كشب) وحولها الحدائق الغناء ـ وأمكنة تعرف بهذا الاسم أيضا ، وبالقرب منها جبل هكران . ثم سلسلة جبال قدسى بغربى (وادى صاف) من البقيع ـ وعلى مقربة منها (جبل آرة) الذى يشرف على قرية تسمى (المحضة) . .

ومن جبال حدود حرم المدينة : أحد وعير ومخيض الذى يجاوره جبل غراب شامى المدينة . وفى غربى مساجد الفتح يقع جبل بنى عبيد ، وقريب منها جبل سلع . أما (جبل سليع) فهو الذى بنيت عليه قلعة المدينة وحصنها : بناهما فى القرن السابع للهجرة . جماز بن شيحة ؛ وفى هذا الجبل كان كهف بنى حرام ، وهناك (جبل ذباب) المبنى عليه مسجد الراية ، وفى شرقى بنى قريظة يقع جبل ميطان ، وهو جبل أحمر ، وقد سمى فى حوالى منتصف القرن الثانى عشر بجبل الاغوات الذين كانت بينهم واقعة مع أهل المدينة عام ١١٧٠ هـ فاشتروه من العربان لا تمام الحلف فيما بينهم . .

ومن الجبال البعيدة شيئا عن المدينة : (جبل أعظم) وهو ضخم فى شمالى (ذات الجيش) على نحو ستة أميال من ذى الحليفة ، وجبل (الاشعر) بقرب (وادى الروحاء) الذى يبعد عن المدينة بنحو ثلاثين ميلا ، وجبل (ورقان) إلى يسار الخارج من المدينة قبل منهل الرويثة ويبعد عن المدينة بنحو خمسين ميلا ، ومن الحرار الملتصقة بالمدينة والداخلة فيها : حرة الوبرة وحرة واقم ، وهما غربى العقيق إلى المدينة ، وحرة شوران التى بها جبل بهذا الإسم ، وكان صلى الله عليه وسلم قد أعجب بسمنها ، فسأل عنها ثم دعى لها بقوله « اللهم بارك فى شوران » . وفى قبلى المدينة تقع حرة قباء . وفى ناحية الاتجاه إلى العاقول تقع (حرة فدك) التى سميت بحرة النار لاشتعالها فى حريق ـ يأتى ذكره ـ دام ثلاثة أيام ، وبالقرب منها (حرة ليلى) . .

أما الحرة العليا فهى (حرة معصم) وفيها الجدر .

واللابتان : هما الحرتان ذواتا الحجارة السوداء اللتان تحيطان المدينة من جانبيها ـ الشرقى والغربى ، ويحددان حرم المدينة .. لقوله صلى الله عليه وسلم : « حرم ما بين لابتي المدينة على لسانى » .. ومن الآطام التى تعتبر فى حكم المنازل : أطم المزدلفة الواقع عند مسجد الجمعة وهو لمالك ابن عجلان ، واطم المستظل الواقع عند بئر غرس وهو للشاعر أحيحة ابن الجلاح ـ وله أيضا أطم ضحيان فى قباء بالعصبة ، وفيها يقول :

« إنى بنيت واقما والضحيان والمستظل قبله بأزمان »

وآطام الصياصى .. وعددها أربعة عشر فى قباء ، كان أهلها يتعاطون النار فيما بينهم ...

وعلى سبيل المثال أيضا : كان عند جسر وادى بطحان يقع سوق بنى قينقاع فى الجاهلية ، يختلف إليه الشعراء حيث يتفاخرون ويتناشدون الأشعار .

ومن بين الحدائق الشهيرة فى غير ماذكر بالعقيق : حدائق الناعمة والنويعمة بالعوالى ـ إحدى ضواحى المدينة الكبيرة ـ ، ومثلها ضاحية قربان ، وقباء ، والعنابس ، وكلها معروفة اليوم إلى جانب ما أعيد لإصلاحه من بساتين أبدل بعض أسمائها وأدخل عليها البناء الحديث .

قبس من السيرة الشريفة

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »

« قرآن كريم »

فى مكة المكرمة :

كان عبد المطلب بن هاشم — جد الرسول صلى الله عليه وسلم الأول ـ زعيما لقريش وكبيرهم الذى إليه المرجع فى كل أمورهم بهذا البلد المقدس الذى ابتنى فيه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام الكعبة — بيت الله الحرام . حيث يحج إليه العرب من كافة أنحاء الجزيرة منذ عهد ابراهيم عليه السلام ، وقد سماهم المسلمين ..

حفر عبد المطلب بئر زمزم (١) وولى السقاية عليها ، إثر رؤيه رآها وهو نائم فى الحجر بالمسجد الحرام . وفيه قال شاعرهم حذيفة بن غانم — أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى — من قصيدته التى رثاه بها :

« وخيرهم أصلا وفرعا ومعدنا   وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر

---

(١) كانت قد نبعت هذه البئر عند قدمى إسماعيل بن ابراهيم الخليل — عليهما السلام — وهو يفحص بها الأرض من الظمأ — ثم طمت إلى أن حفرها جد النبى ص .

وكان لعبد المطلب عشرة من الولد : ستة نسوة هن : صفية وبرة وعاتكة وأم حكيم وأروى وأميمة ، وستة ذكور ـ هم : أبو طالب وحمزة والحارث وأبو الحكم « لهب » والعباس وعبد الله ـ الذى كان أحبهم إلى أبيهم كما يروى . . وعندما بلغ الثامنة عشرة زوجه أبوه بآمنة إبنة وهب بن عبد مناف — سيد بنى زهرة ؛ ويلتقى نسبها برسول الله صلى الله عليه وسلم — فى جده الخامس (حكيم) — كما يتصل نسبه الشريف باسماعيل بن ابرهيم عليهما الصلاة والسلام .

ويروى أن عبد الله قبل زاجه من آمنة ـ عرضت عليه نفسها رقية ، أخت ورقة بن نوفل ، فأجابها شعراً :

« أما الحرام فالحمام دونه   والحل لا حل فأستبينه

فكيف بالأمر الذى تبغينه   يحمى الكريم عرضه ودينه »

كما يروى أيضا أن فاطمة بنت مر ، دعته لنكاحها ـ وكانت أعف النساء وأجملهن — وهى ترى النور على سمات وجهه . . . فلما لم يجبها قالت هى :

« إنى رأيت مخيلة نشأت   فتلألأت بحناتم القطر

لله ما زهرية سلبت   منك الذى استلبت وما تدرى »

وأراد الله أن يكون لنبيه نسباً رفيعاً وشرفاً عظيماً من جهة أمه وأبيه عليه صلوات الله وسلامه ، وحين حملت به أمه آمنة رأت أنه

خرج منها نور رأت به قصور بُصرى من أرض الشام . . كما روت بأنها أتيت وقيل لها : إنك حملت بسيد هذه الأمة فاذا وقع فى الأرض فقولى :

« أعيـذه بالواحـد   من شر كل حاسد »

ثم سميه محمدا » .

ولم يكن أحد من العرب قد سمى (محمدا) غير ثلاثة كان يأمل آباؤهم عندما عرفوا بقرب مجىء النبي محمد (ﷺ) وبعثه فى الحجاز ـ أن يكون منهم هذا المبعوث، وأحدهم : محمد بن أحيحة من الاوس، والثـانى محمد بن سفيـان ـ جـد للفرزدق ـ ، والثالث محمد بن حمدان بن ربيعة .

مولده الشريف:

ولد صلى الله عليه وسـلم يوم الأثنين الثانى عشر من شهر ربيع الأول وذلك عام ٥٧١ لميلاد النبي عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام، ويسمى هذا العام بعام الفيل لأن (أبرهة) ملك الحبشة أغار على الكعبة بالأفيال فأرسل الله عليهم طيرا أبابيل ردتهم على أعقابهم خائبين . وذلك بعد أن تحدى « أبرهة » ما قاله عبد المطلب من أن للبيت رب سيمنعه، فقال: ما كان ليمتنع منى، وقد قصد عبد المطلب إلى الكعبة هو ونفر من قريش وأخذ بحلقة بابها وهو ينشد :

« اللهم إن العبد يمنع رحله   فامنع حلالك . .

لا يغلبن صليبهم   ومحالهم غدواً محالك

إن كنت تاركهم وقبلتنا   فأمر ما بدالك »

وكانت ولادة النبي صلى الله عليه وسـلم بدار قرب الصفا ، قامت ببنايتها مسجدا فيما بعد السيدة زبيدة زوج هارون الرشيد عندما حجت فى أواخر القرن الثانى للهجرة وأجرت ماء «عين زبيدة» المعروفة باسمها، ويعرف هذا المسجد الآن ـ بمسجد مولد المصطفى .

وكانت فرحة «عبد المطلب» عظيمة ، واغتباطه بالغاً مداه بحفيده محمد ، وأمه تروى له كل ما حدث لها من كرامات ودلائل بسببه ، فحمله ودخل به الكعبة يعوذه ، ويدعو الله ويحمده ويثنى عليه ، ثم جاء له بمرضعة من بنى سعد بن بكر هى حليمة ابنة أبى ذؤيب ، وكانت تحت الحارث بن عبد العزى ، وقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما بعث بمكة وآمن به .

وعندما بلغ الرسول شهرين من عمره توفى والده «عبدالله» وعمره تسعة عشر سنة بالمدينة عند أخواله بنى عدى بن النجار ، ودفن فى دار النابغة الصغرى ـ زقاق الطوال ـ كما هو معروف الآن . .

وكفل عبد المطلب صغيره محمداً وتولى شأنه .. وإنه لفى غضون سنته الثالثة ـ كان هو وأخوه عبد الله من الرضاعة ـ خلف بيت مرضعته حليمة ـ جاءه الملكان بهيأة رجلين فى ثياب بيضاء ، وشقا أعلى بطنه واستخرجا منها علقة الشيطان ، وعاد فزعا بعدها إلى أمه آمنة ، وقد استبشر الجميع بما يحدث لهذا الطفل الذى تحل بوجوده البركة حيثما حل ..

وسافرت به أمه آمنة إلى أخواله بالمدينة وعمره ست سنوات ، وفى أثناء عودتها به توفيت بالأبواء قريبا من مكة ودفنت بهاى شعب أبي ذر ، ولم تمض سنتان حتى توفى جده عبد المطلب ورثاه الكثيرون ومنهم: مطرود بن كعب الخزاعى ، ومما قال فى قصيدة :

« يا أيها الرجل المحول رحله	هلا سألت عن آل عبد مناف ..
المنعمين إذا النجوم تغيرت	والظاعنين لرحلة لإيلاف
والمطعمين إذ الرياح تناوحت	حتى تغيب الشمس فى الرجاف
إما هلكت أبا الفعال فما جرى	من فوق مثلك عقد ذات نطاف
إلا أبيك أخى المكارم وحده	والفيض مطلب أبى الأضياف»

وكوصاية الجد عبد المطلب كفل الرسول ﷺ عمه أبو طالب — شقيق والده — والتزم بكل مطالبه . وقد ولى عمه « العباس» على زمزم والسقاية عليها ، وظلت لآل العباس قرونا عديدة بعد ما أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

بعد ذلك بعام — والرسول فى سنه التاسعة — صحبه عمه فى ركب تجارته إلى الشام ، ونزلوا بمدينة حوران « بصرى » بأرض الشام . وفيها راهب معتزل فى صومعته لا يغادرها إسمه « بحيرى» قد أحس بمقدم الرسول وهو فى الركب، وغمامة من السحاب تظلل عليه، فدعا القوم كلهم إلى طعامه . ولما قرب منه الرسول صلى الله عليه وسلم راح يتأمله ويتعرف على أشياء فى جسمه عنده صفاتها ، ويسأله وهو يجيب . ورأى خاتم النبوة بين كتفيه بهيأة أثر المحجم وحوله خيلان

بها شعرات سوداء ، ثم نصح « بحيرى » أبا طالب أن يعود إلى مكة بابن أخيه ، ويحذره عليه من اليهود ويقول : « إنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده » ..

وعاد به عمه إلى الوطن . . ونشأ نشأة اصلاح وتقوى مطهرا نزيها كريما أمينا . ولا يستنكف ان يرعى الغنم فكان يقول : مامن نبي إلا رعى الغنم » . . وربه جل شأنه يرعاه ويهيئه لرسالة الحق والنور التى سيحملها إلى الانسانية جمعاء ويبلغ أمانتها للبشرية . فمن آمن واتقى فأجره على الله ... وما الله يريد ظلما للعالمين . .

وفى سنه الخامسة عشر ، وقعت حرب الفجار الأولى بين قريش وكنانة وبين قيس عجلان . وشهد صلى الله عليه وسلم فيها إحدى المعارك . وكان يرد نبل العدو المتساقط على أعمامه . وسميت بحرب الفجار لوقوعها فى الشهر الحرام وما كان يستحل فيه الحيان من محارم ، وقد تكررت هذه الحرب بعد ذلك بخمس سنوات . .

عندما بلغ صلى الله عليه وسلم الخامسة والعشرين من عمره تهيأ له الزواج من السيدة خديجة بنت خويلد التى تلتقى فى نسبه الشريف عند جده الرابع « قصى بن حكيم » . وقد كانت خديجة صاحبة شرف وتجارة تبعث بها إلى الشام ، فعلمت بأمانة « محمد » صلى الله عليه وسلم وسمو أخلاقه ، فعرضت عليه السفر إلى الشام مع غلامها « ميسرة » فى تجارة تزيد عما قبل . فخرج بها ، ولما وصل الشام واستظل شجرة قريبة من صومعة أحد الرهبان سأل الراهب ميسرة عمن يكون الرجل المستظل، فيخبره ميسرة بأنه من قريش ومن أهل الحرم . فيقول الراهب ما نزل

وفى السنة الخامسة والثلاثين لمولده صلى الله عليه وسلم ، قامت قريش تشيد بناء الكعبة — وهى المرة الثالثة لبنائها — فقد بناها لأول مرة شيث بن آدم ، ثم جدد البناء إبراهيم الخليل عليه السلام . وقد بناها المرة الرابعة عبد الله بن الزبير بعد إحتراقها فى عصره ثم أقام بناءها المرة الأخيرة الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان . .

وقد كانت قريش تخشى هدم الكعبة حتى شجع بعضهم بعضا ، وضرب أول معول الوليد بن المغيرة ، وعندما انتهوا إلى الأساس الذى بناه الخليل توقفوا لصلابة الحجارة وتماسكها ببعضها ، وبنوا عليه . كل قبيلة تبنى جانبا ، حتى بلغوا موضع الحجر الأسود ، فاختلفوا ، ثم ارتضوا أن يكون الحكم أول داخل للمسجد من « باب شيبة » فكان محمد بن عبد الله هو الداخل ، فاستبشروا به ، وأخذ الحجر ووضعه بيده فى ثوب ، وأمسكت كل قبيلة بجانب منه حتى وصلوا به إلى مكانه ، فوضعه هو بيديه وبنى عليه . وفى هذا يقول الشاعر هبيرة بن أبى وهب المخزومى :

« تشاجرت الأحياء فى فصل خطة ... جرت بينهم بالنحس من بعد أسعد
فلما رأينا الأمر قد جد جده ... ولم يبق شىء غير سل المهند
رضينا وقلنا العدل أول طالع ... يجىء من البطحاء من غير موعد
ففاجأنا هـذا الأمين محمد ... فقلنا رضينا بالأمين محمد »

ولقد كان هذا الأمين المرتضى يواصل عزلته وتبتله فى غار حراء ينتظر هاتف السماء ونجوى ربه الموعود بها ، بينما قد أرسل الله سبحانه وتعالى النيازك والشهب يصيب بها الجن والشياطين الذين كانوا يسترقون

السمع من السماء حتى يبعدهم سبحانه ، ويمهد لنزول الوحى على رسوله ، وقد فزع الناس من قذف السماء بالنجوم المتتالية . .

وقبل أن يكتمل سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الأربعين بنحو نصف العام ، كان يرى الرؤيا الصالحة وتتحقق ، ثم أصبح لا يمر بشجر أو حجر إلا هتف به : « السلام عليك يا رسول الله » .

ثم جاء رمضان وبدأ ينزل عليه وهو بحراء — جبريل عليه السلام بأول الوحى : « إقرأ باسم ربك الذى خلق » .

بعد ذلك أخذت تترى آيات الله وكلماته بالعظات والحكم والنذر وبالتعاليم الدينية الكاملة . . لتكون دستوراً عاما للانسانية ونظامها الحياتى الذى يسمو بالعقليات والأخلاق والأفكار . .

وهذا هو الدين الإسلامى الختم لرسالات السماء . ولا يقبل الله بغيره ، وقد وضّح فى خلقه كل ما هو لهم وعليهم ، ليقيموا شرائعه فى عبادته وفى التعامل بين بعضهم البعض . . قال جل شأنه : « إن الدين عند الله الإسلام » وقال فى ختام آياته المنزلة : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا » ، كان ذلك ورسوله الكريم عليه الصلاة والسلام فى حجة الوداع يبلغ الناس آخر الأحكام . .

نعود إلى أيام بعثته صلى الله عليه وسلم . . .
زوجه خديجة ثم إبن عمه على بن أ
بكر الصديق الذى أظهر إسلامه . ثم
ونساء ، وكان منهم من علية القوم ما
وبالرغم من ذلك فقد كانوا أقلية ، وته

كبار قريش وأعدائهم ، يقاومونهم ويصدون دين الوحدانية الذي جاء به محمد بن عبد الله ، وقد اتهموه بالسحر وبالجنون وبالتمرد والخروج على حكمهم وطبائعهم . وبلسانهم ما ورد - في القرآن الكريم ، أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ؟ »

ولقد تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم - طيلة الأعوام الثلاثة عشر التي بقيها في مكة - لإساءة قومه ، ولما تعرض له من قبله الرسل والأنبياء الذين دعوا إلى توحيد الله وإلى الفضيلة والعزة بمعانيهما الواسعة . . . ولكنه ثبت ووقف دون رسالته وحقق دعوته بحفنة قليلة من مناصريه والمؤمنين ، بما أرسله الله اليهم ، وقد قاموا معه ولم تصدهم كل وسائل الاستنكار والتعذيب وتشويه الحقائق .

ها هو أبو طالب - عمه صلى الله عليه وسلم - يقول في مطلع قصيدته الطويلة التي يتعوذ فيها ويتودد لإشراف قومه :

« ولما رأيت القوم لا ود فيهم ... وقد قطعوا كل العرا والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى ... وقد طاوعوا أمر العدو المزايل
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة ... وأبيض عضب من تراث المقاول
وأحضرت عند البيت رهطي وإخوتي ... وأمسكت من أثوابه بالوسائل
أعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو ملح بباطل
ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ... ومن ملحق في الدين ما لم نحاول »

إلى أن يقول :

لقد علموا أن ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
فأصبح فينا أحمد في أرومة ... تقصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسي دونه وحميته ... ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره ... وأظهر دينا حقه غير باطل »

ومن المدينة المنورة كان شاعرها أبو قيس بن الأسلت من بني وائل يقول في قصيدته التي يدعو فيها قريشا إلى السلم واتباع الحق :

« فبيعوا الحراب ملمحارب واذكروا ... حسابكم والله خير محاسب
ولي امرئ فاختار دينا فلا يكن ... عليكم رقيبا غير رب الثواقب
أقيموا لنا دينا حنيفا فأنتم ... لنا غاية قد يهتدى بالذوائب
وأنتم لهذا الناس نور وعصمة ... تؤمون والأحلام غير عوازب »

ولكن « قريشا » تشتد في تنكرها لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولأتباعه ، حتى آذوه وسفهوه ونالوا من صاحبه الصديق ومن غيره من المسلمين ، ثم أسلم حمزة - عم رسول الله - وقال في قصيدة له عن ذلك :

« حمدت الله حين هدى فؤادي ... إلى الإسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف
إذا تليت رسائله علينا ... تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها ... بآيات مبينة الحروف »

ودخل معه في الإسلام بعض الكبار ، فخف أذى قريش ، وإن ظلوا في تعذيبهم لمن أسلم وطالت إليه أيديهم ، وراح كبراء قريش يطلبون الاجتماع برسول الله صلى الله عليه وسلم والتحدث اليه ، فيعرضون عليه المال والجاه والحكم ليكون له ما يريد من أمور الدنيا على أن يترك ما جاءهم به ، فكان عليه الصلاة والسلام يجيبهم بقوة إيمانه : « ما

بهذا بعثت إليكم إنما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به إليكم فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه على أصبر لأمر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم » . .

ولكنهم يصرون على موقفهم العدائي ويؤكد لهم « أبو جهل » أنه ليقتلن محمدا عليه الصلاة والسلام ، بأن يلقى على رأسه بحجر ضخم وهو في الصلاة ، وما يكاد هذا المشرك يهم بفعلته ويقترب من المحيط المقدس ، حتى يتراجع مذعورا هاربا يقول لرجال قريش : قمت اليه لافعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ألا والله ما رأيت مثل هامته ولا مثل قصرته ولا أنيابه لفحل قط ، فهم بي أن يأكلني » . . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فقال « ذلك جبريل عليه السلام ، لو دنا لاخذه » .

وإن هذا لمن معجزاته عليه الصلاة والسلام وتأييد الرب للحق الذي بعث به ولكن قريشا لا تعتبر ، وتستمر في تعذيب المسلمين المستضعفين ، ولقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الكثير من المنصب والعنت ، فأشار عليهم أن يسافر بعضهم إلى الحبشة ، فخرجت أول هجرة إسلامية قوامها ٨٣ رجلا عدا النساء والاطفال ، وفيها من كبار القبائل - وقد مثل كل قبيلة نفر بين الثلاثة والعشرة ، وكان منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية ، والزبير بن العوام بن سعد بن أبي وقاص وأبو عبيدة عامر بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف والاشعري وابن مسعود رضى الله عنهم وغيرهم ، وقال شعراؤهم يومها الكثير . ومما قاله عبد الله بن الحارث هذه الابيات :

« وتلك قريش تجحد الله حقه   كما جحدت عاد ومدين والحجر
فإن أنا لم أبرق فلا يسعنني   من الارض بر ذو فضاء ولا بحر
بأرض بها عبد الاله « محمد »   أبين ما في النفس إذا بلغ النفر »

ولقى المسلمون الترحيب والاكرام من النجاشي ملك الحبشة حتى أنه نطق بينهم بشهادة الاسلام واستمع إلى القرآن ، وعندما مات صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم - صلاة الغائب . وقد عاد أكثر المهاجرين بعد ذلك . وفي تلك السنة أسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وازداد به الاسلام قوة ومنعة ، كما أسلم بعض أهل الطائف وبعض من يعتد بهم من قريش في نشر الدعوة الاسلامية . وجبريل عليه السلام ينزل بين كل وقت وآخر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالوحي من ربه تعالى آيات بينات يقص من أقوال الذين يجادلون في الحق ، ومن خبر المؤمنين ، فيبشرهم برضوانه ، ويدعو الناس إلى الهدى ودين الله « ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون » . .

وعندما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سنه الواحد والخمسين أسرى به الله إلى بيت المقدس وعرج به إلى السماء حيث صلى والتقى بالنبيين والرسل وشهد الملكوت الأعلى ، وتلقى أمر ربه بفريضة الصلاة . .

قبل ذلك بعام توفيت زوجه خديجة وعمه أبو طالب ، وعاد أذى قريش يشتد على المسلمين وعليه صلى الله عليه وسلم ، حتى نثروا التراب على رأسه . فكان يقول : « ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب » . .

وراح صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على القبائل في المواسم التي

يجتمعون فيها بمكة للحج أو للتجارة أو المغامرة فى سوق عكاظ ، علهم يستجيبون لنصرته ، ولكنهم يصدونه معرضين عنه، وفيهم من يقول بأن قومه أحق منهم ، حتى جاء ستة نفر من الانصار الخزرج بالمدينة المنورة ، فقبلوا عنه ما سمعوه وصدقوه ، وعادوا إلى المدينة مسلمين ينقلون دعوته ويبشرون القوم بصلاح أحوالهم، ولم يلبث أهل المدينة أن عمهم الإيمان واستجابوا الداعى الله ، وجاء منهم إلى مكة فى الموسم التالى إثنا عشر رجلا إلتقوا به صلى الله عليه وسلم فى العقبة وبايعوه ، وأعقبهم فى الموسم الذى يليه وفد يتكون من ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين - بايعوه صلى الله عليه وسلم أيضا فى العقبة - وفيهم كعب ابن مالك والبراء بن معرور ، وعرضوا عليه النصرة والخروج إلى المدينة ، فكان تعاهد فيما بينهم . وقال لهم صلى الله عليه وسلم : أنا منكم وأنتم منى أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » . .

وطلب منهم إثنى عشر رجلا نقباء على قومهم ، فتقدم له منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم، وأنا كفيل على قومى » . .

وهكذا انطلق الانصار إلى المدينة يدعون إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتظرون مقدمه . .

فى الطريق إلى المدينة :-

فى هذه الآونة أنزل سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم

بوحى يؤذنه بمحاربة المشركين حتى يؤمنوا ، وكان قبل ذلك لم يؤمر إلا بالدعوة لله ولدينه ، أما الآن فقد أعطى صلاحية أكبر ليقاوم أعداء الدين وينتصر لاتباعه المؤمنين الذين نالهم الكثير من النفى والفتنة والتعذيب . . ، فقال جل شأنه : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله » . .

وهنا أذن صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى إخوانهم الأنصار فى المدينة المنورة ، فخرجوا فى أوائل شهر المحرم أفواجا وعلى حذر ، ومكث هو ينتظر أمر الاله ليلحق بهم هو أيضا عليه أفضل الصلاة والسلام . .

وفى الليلة التى اجتمع فيها كبراء قريش ومعهم أبو جهل يتآمرون على القضاء والتخلص من رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه من مكة، واجتمعوا متربصين به امام داره ليشتركوا فى قتله ، فى هذه الليلة نزل إليه جبريل عليه السلام ليقول له : « لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه » فترك صلى الله عليه وسلم ابن عمه «على» ينام على فراشه متسجيا ببرده الأخضر ، وخرج صلى الله عليه وسلم وفى يده حفنة من التراب - وهو يقرأ فاتحة سورة يس إلى قوله تعالى : «فأغشيناهم فهم لا يبصرون» . . ويضع التراب على رؤوس المتآمرين الواقفين عند داره وهم لا يرونه . .

وقد ترك رسول صلى الله عليه وسلم ما لديه من ودائع الناس عند على بن ابى طالب ليؤديها لهم ثم يلحق به فيما بعد ، وفى ضحى اليوم كان صلى الله عليه وسلم يدق الدار على صديقه أبى بكر رضى الله عنه ويقول

له : إن الله قد أذن لى فى الخروج إلى الهجرة ، فأجابه بفرحة : الصحبة يارسول الله . . . ان هذين راحلتان قد كنت أعددتهما لهذا . . . واستأجرا عبد الله بن أرقط — وهو مشرك وأسلماه الناقتين يقوم برعايتهما ثلاثة أيام ثم يأتيهما بهما إلى غار بجبل ثور — حيث قصدا بعد خروجهما من خوخة فى ظهر البيت ، وقد أوصى ابو بكر ابنه عبد الله ليتسمع أقوال الناس عنهما ، ثم يأتيهما بالخبر ، وابنته أسماء تأتيهما بالطعام كل مساء ، ومكثا ثلاثة ليال يترقبان ، وأخبرهما عبد الله بأن قريشا فى بحثها عن محمد صلى الله عليه وسلم — قد جعلت مائة ناقة لمن يأتى به ، وجاءهما فى اليوم الثالث إبن أرقط بالراحلتين وراحلة له يدلّهما الطريق ، وقد صحب أبو بكر كل أمواله ، وأردف خلفه خادمه عامر بن فهيرة ليقوم بخدمتهما . واتخذ الأربعة طريقهم إلى المدينة . وكانت قريش تجد فى البحث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وخرج يتعقب الركب سراقة بن مالك — على خيله — ليحظى هو بالمائة ناقة . . وانه ليهم أن يدرك الركب — وقد شاهدهم عن بعد — عثر خيله وسقط عنه ثم خاست يداه فى الأرض ، فاتعظ سراقة وراح يطلب الأمان ، حتى أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتب له أبو بكر كتابا يكون آية بينهما .

وفى الطريق توقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفاقه عند خيمة أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية ، يطلبون شيئا يشترونه ويتبلغون به .. فلم يجدوا عندها شيئا ، وكانت امرأة فاضلة تسقى وتطعم ، وكان الجدب محيطا بها فى ذلك الوقت ، ولم ير صلى الله عليه وسلم سوى شاة

عجفاء ، فسألها عنها ، فقالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . قال: هل لها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك . قال : أتاذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبى وأمى إن رأيت بها حلبا فاحلبها . فدعا بها عليه الصلاة والسلام، ومسح بيده ضرعها وسمّى الله تعالى ودعا لها فى شأنها ، فتفاجت عليه ودرت واجترت ، ودعا باناء يربض الرهط (١) لحلب فيه ثجا (٢) حتى علاه لبنها، فسقاها حتى رويت وسقى أصحابه حتى رووا وشرب آخرهم ، ثم أراضوا . وعاد يصب فيه ثانيا بعد بدء حتى ملأ الاناء وغادره عندها ، ثم بايعها على الإسلام ، وارتحلوا عنها، فما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد — يسوق أعنزا عجافا ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب وقال : من أين لك هذا يا أم معبد والشاة عازب حيال ولا حلوب فى البيت ؟ قالت ، لا والله إلا أنه مربنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، قال : صفيه يا أم معبد . قالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة (٣) وسيما قسيما فى عينيه دعج وفى أشفاره وطف ، وفى عنقه سطع ، وفى صوته صحل ، وفى لحيته كثاثة ، أزج أقرن ، إن صمت فعليه الوقار وان تكلم سماه وعلاه البهاء ، فهو أجمل الناس وأبهاهم من بعيد ، واحسنهم وأجملهم من قريب ، حلو المنطق ، فصل لانزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن ، ربعة لا بأس من طول ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا ، له رفقاء

(١) أى يرويهم ويجعلهم يربضوا ثقلا . (٢) أى لبنا كثيرا
(٣) الثجلة : ضخامة البطن ، والصعلة : صغر الرأس .

يحفون به ، إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى امره ، محفود محشود (١) لا عابس ولا مفنَّد » .. قال ابو معبد : هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ماذكر بمكة لقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا . »

هذا مارواه التاريخ بحديث بليغ وبيان مشرق يدلان على تأصل اللهجة الأدبية سليقة فى ذلك القوم نثرا وشعرا . . وقداستمعنا إلى هذا الوصف البديع الدقيق على لسان امرأة.. فكيف بالرجال ؟ إنهم ولاشك يبرهنون فى خطبهم وشعرهم على الجزالة اللغوية والقوة البيانية عما كان سائدا من النهضة الفكرية فى ذلك العصر عند مشرق الاسلام وبداية الاشعاع الهادى إلى الحق والنور والتوحيد . .

نعود إلى مسايرة ركب الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه، وكان قد أخذ مسيره من أسفل مكة فإلى طريق السواحل ثم إلى وادى أمج بحرة بنى سليم ، فإلى الخرار بالقرب من الجحفة ، فإلى رابغ، حتى وصل إلى قباء ظهر يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول ، وقد كان بعض الأنصار عند علمهم بخروج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة يخرجون إلى الحرة صباح كل يوم ، ونزل الصديق رضى الله عنه على أحد من بنى الحارث ، وقد لحق بهما على أبى طالب رضى الله عنه .وأقاموا بقباء إلى يوم الخميس ، وقد أسس خلالها صلى الله عليه وسلم ـ كما أشار له به عمار بن ياسر — مسجد قباء ، أول مسجد أسس على التقوى » .

(١) محفود محشود : باصحابه المجتمعين عليه القائمين بخدمته . المفند : الذى يتكلم بكبر..

فى المدينة المنورة :

فى صباح يوم الجمعة قصدوا المدينة ، فأدركتهم الصلاة عند قبيلة بنى سالم فى (وادى الرانوناء) فصلى بهم صلى الله عليه وسلم الجمعة لاول مرة بالمدينة ، وانطلقوا اليها مستبشرين ، وكلما مروا بقبيلة ، تدعوه صلى الله عليه وسلم للنزول عندها ، فكان يشير إلى ناقته ويقول : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، . . حتى وصلت إلى دار بنى مالك بن النجار ، وبركت فى المربد ـ المكان الذى يجفف فيه التمر — وهو للفلاحين اليتيمين سهل وسهيل ابنى رافع بن عمرو ـ كفلهما معاذ بن عفراء ، وقامت الناقة تمشى، ثم عادت إلى مكانها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم ، واستقبله ابو أيوب خالد بن زيد وحمل حاجاته إلى بيته، وعندما سأل صلى الله عليه وسلم عن الموضع الذى بركت فيه ناقته، أجابه معاذ : هو يارسول الله لسهل وسهيل ابنى عمرو وهما يتيمان لى وسأرضيهما منه. فاتخذه مسجدا ، .. وهكذا أمر صلى الله عليه وسلم صحبه والانصار أن يبنوا معه مسجده ، ثم ابتنى مساكنه التسعة بجواره، وانتقل اليها ،وكان بناؤها بالحجارة والطين وسقوفها من الجريد . .

هذه النقلة التاريخية من مكة للمدينة بهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت مرحلة انفصال بين عهد مضى بالجحود والضلال ، وبين عهد أقبل بالايمان والاصلاح والانطلاق إلى كسب الحياة الكريمة الفاضلة وعزتها فى اليوم الآخر . . ولقد كانت الفرحة الكبرى تشمل الانصار والمهاجرين الذين أخذوا يتوافدون على المدينة ، وقد أسلمت كل

أحيائها إلا قلة من قبائل الاوس ووائل وخطمة وأمية وواقف . . فقد ظلوا يترددون فى شركهم ، وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم واليهود وبين المسلمين كتبا بالعهد — حتى لا يعتدوا على أحد . .

واستمر جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بتشريع الدين الحنيف وآيات الحق وشرح أمور الناس والرد على اليهود والمشركين تبيانا لقوم يعقلون .

ونذكر هنا باقتضاب أهم حوادث سنين الهجرة العشرة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سنة رحيله إلى الرفيق الأعلى :

العام الأول :

ا ـ آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار .

ب ـ خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم أول خطبة فى الإسلام بمسجد قباء .

ج ـ بدؤ الاذان للصلوات .

د ـ جعلت صلاة الحضر أربع ركعات بعد أن كانت ركعتين .

هـ ـ دخل صلى الله عليه وسلم بعائشة وعمرها تسع سنوات ، وكان قد عقد عليها فى مكة وعمرها ست سنوات . .

و ـ حدثت غزوتا : الأبواء ، وودان .

العام الثانى :

ا ـ تزوج الإمام على رضى الله عنه بابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء رضى الله عنهما .

ب ـ توفيت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ زوجة عثمان ابن عفان رضى الله عنه . وقد تزوج باختها أم كلثوم فى العام الثالث فسمى ذو النورين . .

ج ـ حدوث غزوات : بواط ، ذى العشيرة ، بدر الكبرى ، بنى قينقاع ، بنى المنضر ، بنى قريظة ، السويق ، قرقرة الكدر :

د ـ إرسال سرايا : عبد الله بن جحش ، عمير بن عدى ، سالم بن عمير .

هـ ـ فرضت زكاة الفطر وخطب صلى الله عليه وسلم قبل العيد بيومين يعلمها للناس ، وفرضت زكاة الاموال . .

و ـ حولت القبلة إلى الكعبة بمكة — بعد أن كانت إلى بيت المقدس .

ز ـ فرض صيام شهر رمضان .

ح ـ ضحى صلى الله عليه وسلم بكبشين عنه وعن أمته . .

العام الثالث :

ا ـ إرسال سرايا : محمد بن سلمه ، زيد بن حارثة ، عبد الله بن أنيس .

ب ـ حدوث غزوات : بنى سليم ، أنمار ، أحد ، حمر الأسد .

جـ - استشهاد : عم النبي صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه مع شهداء أحد .

د - زواجه صلى الله عليه وسلم بحفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، زواجه أيضا بزينب بنت خزيمة . .

هـ - ولادة الحسن بن على رضى الله عنهما ، ثم ولادة أخيه الحسين رضى الله عنه فى العام الرابع .

و - نزول تحريم الخمر .

العام الرابع :

ا - حدوث غزوات : بنى النضير ، ذات الرقاع ، بدر الأخيرة . .

ب - صليت صلاة الخوف لأول مرة .

جـ - زواج النبي صلى الله عليه وسلم بأم سلمة ثم بزينب بنت جحش .

د - نزول آية حجاب النساء .

هـ - إسلام خالدبن الوليد وعمرو بن العاص رضى الله عنهما .

العام الخامس :

ا - حدوث غزوات : دومة الجندل ، المريسيع ، الخندق ، بنى قريظة .

ب - زواجه صلى الله عليه وسلم بريحانة بنت يزيدالنضرية وبجويرية بنت الحارث .

جـ - إرسال سريتي : عبد الله بن عتيك ، أبى سلمة .

د - حدوث زلزلة فى المدينة .

العام السادس :

ا - حدوث غزوات : بنى لحيان ، الغابة ، ذى قرد ، بنى المصطلق .

ب - إرسال سرايا : عكاشة ، محمد بن سلمة ، زيد بن حارثة ، على بن أبى طالب ، ابن عوف ، عمرو بن أمية الضميرى ، سلمة بنت أسلم .

جـ - بيعة الرضوان ، أمر الحديبية .

د - فرض الحج .

العام السابع :

ا - كتابة الرسول صلى الله عليه وسلم رسائله للملوك والحكام بدعوتهم للاسلام .

ب - حدثت غزوة خيبر .

جـ - زواجه صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حى بعد أن اعتقها — وهى من غنائم غزوة خيبر .

د - أهديت له صلى الله عليه وسلم — ماريا القبطية والبغلة دلال .

هـ - زواجه صلى الله عليه وسلم بأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وميمونة بنت الحارث الهلالية .

و ـ إرسال سرايا : عمر بن الخطاب ، أبو بكر الصديق ، بشير ابن سعد ، ابن أبى العوجا ، غالب .

ز ـ اتخذ صلى الله عليه وسلم خاتما باسمه لختم الكتب .

ح ـ تحريم الخمر الأهلية ومتعة النساء .

العام الثامن :

ا ـ إرسال سرايا : كعب بن عمرو ، قطبة بن عامر ، عيينة بن حصين ، الخبط ، عمرو بن العاص ، أبى قتادة ، خالد بن الوليد ، الطفيل بن عمرو .

ب ـ حدوث غزوات : مؤته ، الفتح لمكة ، حنين ، الطائف .

ج ـ اتخاذ المنبر فى المسجد النبوى والخطبة عليه .

د ـ مولد إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ه ـ وفاة زينب ابنته صلى الله عليه وسلم .

العام التاسع :

ا ـ إرسال سرية عكاش .

ب ـ حدثت غزوة تبوك .

ج ـ حج أبو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس .

د ـ وفاة أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

العام العاشر :

ا ـ إرسال سرية خالد بن الوليد .

ب ـ حجة الوداع ، وكانت وقفتها الجمعة .

ج ـ وفاة ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

فى اليوم الخامس والعشرين من شهر ذى القعدة، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة قاصدا الحج ، وهى حجة الوداع التى فيها علم الناس مناسكهم ، وألقى خطابه التعليمى الجامع . ونزلت آخر آيات القرآن الكريم ، وقد أحس صلى الله عليه وسلم بقرب لقائه ربه، بعد أن أدى الأمانة كاملة وبلغ رسالة ربه إلى خلقه، ووفى كل ما عليه . .

ولم يلبث صلى الله عليه وسلم بعد عودته إلى المدينة بنحو شهرين أن مرض إثر ليلة زار فيها البقيع يستغفر للموتى فيه ويدعو لهم بطيب المقام ، وبقى فى بيت زوجه عائشة رضى الله عنها تمرضه حتى اليوم الأخير . . . يوم أن خرج صلى الله عليه وسلم إلى الناس فى الصباح ، وصلى جالسا إلى يمين أبى بكر الذى أمَّ المسلمين ، وقد ابتهج الناس لمرآه صلى الله عليه وسلم ـ لما كان يبدو عليه من نشاط وحيوية تتدفق فى سمات وجهه النورانى .. ثم عاد إلى مقره ليستقبل الساعة الموعود بها ، فما أن اعتلت الشمس فى الضحى ، حتى أسلم نفسه الأخير الطاهر ـ ورأسه الشريف فى حجر زوجه عائشة ـ ام المؤمنين ـ رضى الله عنها، تلك العالمة الواعية الجليلة ، وكان اليوم هو الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول عام ١١ للهجرة . . أى فى مثل اليوم الذى ولد فيه قبل ٦٣ عاماً .

وفى يوم الثلاثاء بعد الانتهاء من مبايعة الخليفة الأول أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، غُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وعليه قميصه ـ وكُفن فى ثلاثة أثواب ووضع على سريره، ثم دخل الناس جماعة

جماعة يصلون عليه دون إمام ، ودفن فى منتصف ليلة الأربعاء فى بيته وبنفس المكان الذى قبضه الله فيه . .

وروت عائشة رضى الله عنها ، بأن آخر ما عهدته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : « لا يترك بجزيرة العرب دينان » .

وقال شاعره حسان بن ثابت فى مطلع إحدى قصائده التى رثاه بها صلى الله عليه وسلم :ـ

« بطيبة رسم للرسول ومعهد   منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحى الآيات من دار حرمة   بها منبر الهادى الذى كان يصعد
وواضح آثار وباقى معالم   وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها   من الله نور يستضاء ويوقد »

إلى أن يختتمها بقوله :

« وليس هواى نازعا عن ثنائه   لعلى به فى جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذام جواره   وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد »

* * *

وقد توفى صلى الله عليه وسلم عن تسع من زوجاته ، وكانت قد سبقته فى الوفاة زوجتاه : خديجة ، وزينب بنت خزيمة ـــ رضى الله عنهما ، كما أن هناك زوجتين لم يدخل بهما هما : عمرة بنت يزيد الطلابية ـ وأسماء بنت النعمان الكندية فإنهما أعيدا لأهليهما .

وخير ما نختم به هذا الفصل، أن تأتى بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع بعرفات ـ لعظيم فائدتها . قال عليه الصلاة والسلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً . . أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلّغت . . فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أن لا ربا ، وأن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، إن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث ، فقتله هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية . . أما بعد ـ أيها الناس . فان الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطمع فيما سوى ـ فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم ، أيها الناس إن النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار يوم خلق السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاثة متوالية ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان . . .

أما بعد أيها الناس . فان لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن لا يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ، فان انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيرا ، فانهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله فاعقلوا أيها الناس قولى فإنى بلّغت . وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا ، أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس : إسمعوا قولى واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ المسلم ، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟ . . اللهم اشهد . »

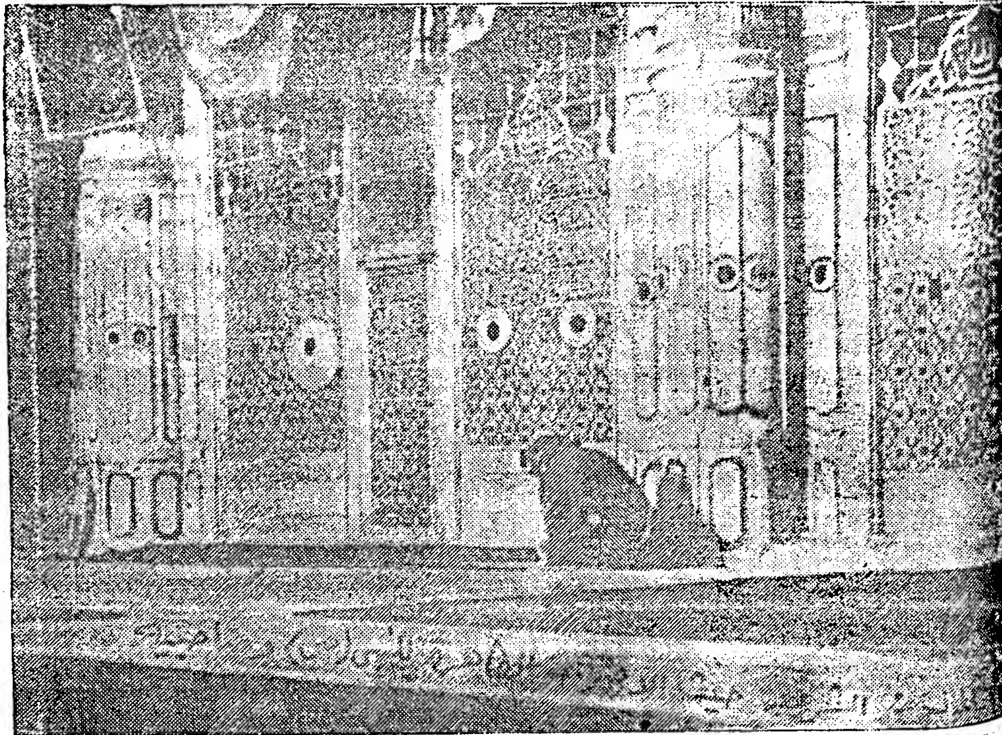
قالها صلى الله عليه وسلم عندما قال له الناس : اللهم نعم » .

كان صلى الله عليه وسلم أحرص ما يكون على أن يوجه الناس إلى التعلق بالروحية والثقة بدينهم .. دين الإنسانية ، لتطمئن نفوسهم بصلاتها بالرب سبحانه وتعالى ، وتكون من طباعها دائما العطف والحب والفضيلة .، وهذا ما يفيض عن قوة الإيمان وصدقه ورسوخه

قال تعالى وهو أصدق القائلين:

« محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ».. وقال جل شأنه : لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » .

وقال عليه الصلاة والسلام: من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا » . والله سبحانه أمر بالصلاة عليه فى قوله تعالى : إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما..



فاللهم شفعه فينا وصل وسلم عليه بعدد خلقك ومخلوقاتك من الملائكة والإنس والجن والحيوان منذ خلقتهم حتى الأبد ..

بيوت الله .. جل شأنه

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه »

(قرآن كريم)

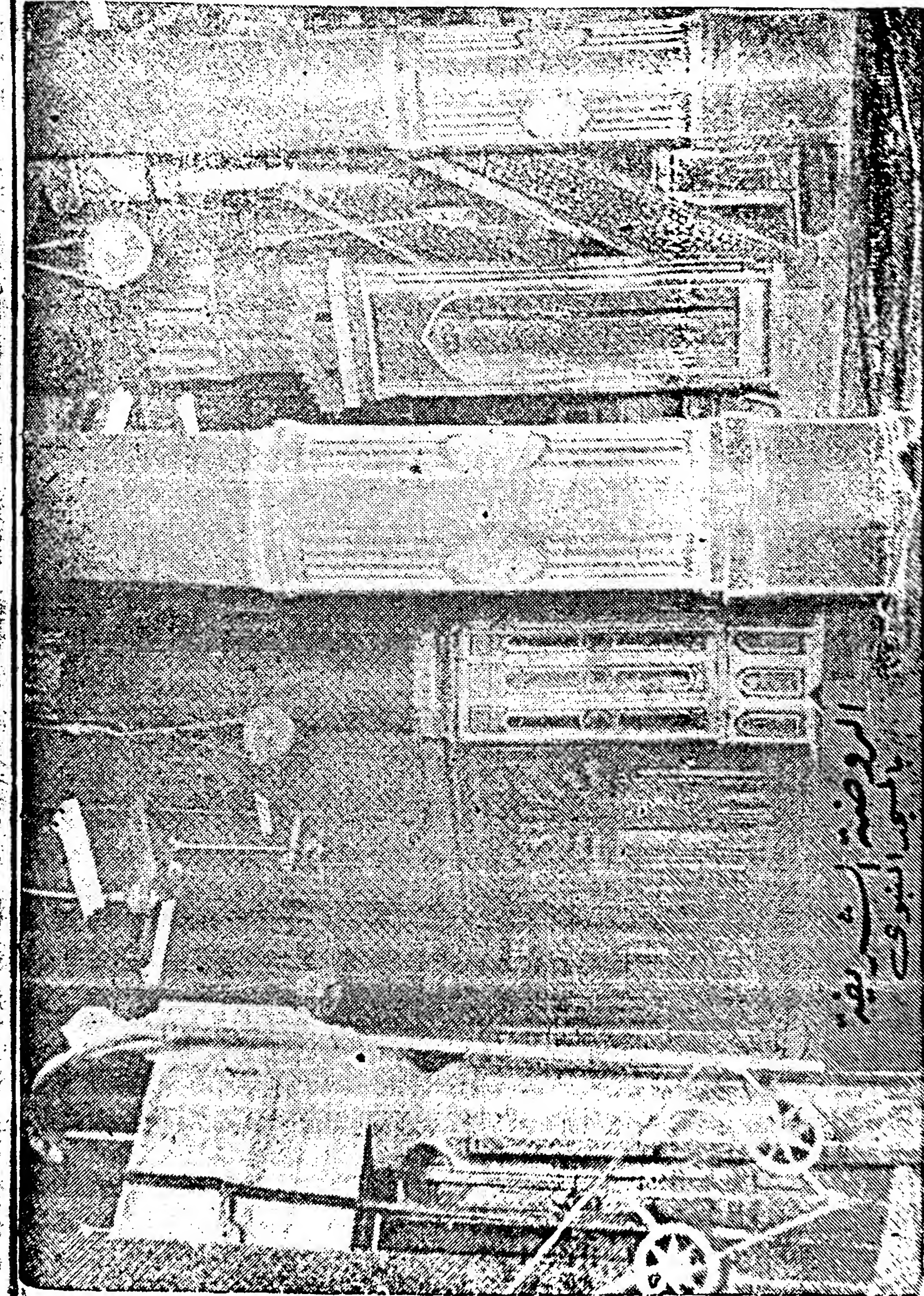
المسجد النبوى الشريف :

حيث بركت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند وصوله المدينة فى المربد أمام بيت بنى النجار ـ كان يومئذ المسلمون يصلون فيه ، فقال عليه الصلاة والسلام : هذا إن شاء الله تعالى المنزل » .

فابتاع الأرض وأنشأ عليها نزله، وأصبح هذا موضع المسجد النبوى الشريف، وهو عليه الصلاة والسلام ينقل ـ بنفسه اللبن فى بنائه ـ ويقول:

« اللهم إن الأجر أجر الآخرة ــ فارحم الأنصار والمهاجرة » .

وقد رفع أساس المسجد بالحجارة ، وسقف بعضه بالجريد ، وعملت أعمدته من جذوع النخل ، وكانت القبلة إلى بيت المقدس بالمسجد الأقصى ، فكانت له ثلاثة أبواب : باب عاتكة المسمى فيما بعد: باب الرحمة، وباب أبى بكر ـ إلى الغرب ، وباب آل عثمان إلى الشرق . وهو الباب الذى كان يدخل منه صلى الله عليه وسلم ، ولما تحولت القبلة إلى البيت الحرام أغلق الباب القبلى ، وبنى المسجد المرة الثانية بعد فتح خيبر وزيد فيه ، وفتح باب فى إتجاه الباب المغلق ، وكان عدد المسلمين آخذاً فى الازدياد ، ولما اشتكى الصحابة من الحرارة . سقف معظم المسجد



بالجريد والجص حتى أنهم طينوه ، وبقيت الرحبة فى وسط المسجد ، وأصبحت مساحته مائة فى مائة ذراع - أى ما يساوى (٢٤٧٥ مترا) مربعا وارتفاعه ٧ أذرع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة، وقال: الصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة والصلاة فى مسجدى بألف صلاة والصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة . . .

وبقى المسجد النبوى على حالته فى عهد الخليفة الصديق أبى بكر رضى الله عنه لاشتغاله بالفتوحات الإسلامية وقصر مدته ، وزاد فيه الخليفة الفاروق عمر رضى الله عنه فى عهد خلافته ، فبلغت مساحته (٣٥٧٥) مترا مربعاً ، وافتتح فيه ثلاثة أبواب أخرى ، ثم زاد فيه الخليفة ذو النورين عثمان رضى الله عنه (٤٩٦) مترا مربعا ، وبنى جداره وجعل عمده من الحجارة المنقوشة وفيها الحديد والرصاص وسقفه بالساج . وبقى على هذا الوضع حتى زاد فيه الخليفة الأموى الوليد بن عبد الملك ، فأرسل إلى عامله فى المدينة : عمر بن عبد العزيز ، لشراء ما حول المسجد من الدور، وإدخالها فيه وتعميره بأحدث ما توصل إليه ذلك العهد من وسائل ، وجىء له بالعمال من بلاد فارس ، كما إستورد منها للعمارة الفسيفساء والسلاسل للقناديل ، وقد أدخلت فى المسجد حجرات الرسول عليه الصلاة والسلام وقبره الشريف ، وجعل له عشرون بابا، منها ثمانية فى المشرق، وبلغت مساحة الزيادة (٢٣٦٩) مترا مربعاً، وجعلت العمد من الحجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، وعمل العمال على حيطان المسجد قصوراً وأشجاراً من الفسيفساء ، وابتنيت الحجرة المقدسة على خمسة أركان ، ومما أدخل أيضاً من الدور فى هذه

الزيادة للمسجد : دار عبد الله بن مسعود ، ودار شرحبيل بن حسنة ، ودار العباس بن عبد المطلب ، ودار مسعود بن مخرمة ، ودار مليكة بنت خارجة ابن سنان .

وبنيت للمسجد أربع مآذن فى كل ركن منه واحدة ، ولما كانت إحداها تطل على منزل مروان بن الحكم ، فقد أمر بهدمها سليمان بن عبد الملك عندما حج ونزل بالدار وأطل عليه المؤذن . .

وفى عام ١٦١ هـ زاد الخليفة المهدى ابن المنصور فى المسجد من جهة الشمال (٢٤٥٠) مترا مربعا ، وقد بقيت له المآذن الثلاثة إلى عام ٧٠٦ هـ عندما أمر ملك مصر الناصر محمد بن قلاوون ببناء مئذنة رابعة وجدد بعض سقف رحبة المسجد ، ثم أمر بزيادة روافين فى المسجد من الجهة القبلية عام ٧٢٩ هـ ويومها كان أمير المدينة هو المنصور بن جماز . .

قبل ذلك ، وفى عام ٥٧٦ هـ بنى الملك الناصر لدين الله - قبة فى صحن المسجد لحفظ ذخائره فيها : كالمصحف العثمانى والنفائس التى تهدى له ، وهذه القبة هى التى بقيت سالمة عندما احترق المسجد ليلة أول رمضان فى عام ٦٥٤ هـ من أثر شعلة نسيها موقد المصابيح - سببت امتداد الحريق إلى المسجد كله ، فجدده الخليفة المستعصم بالله بطلب من أمير المدينة جماز بن أبى فليته - فى أوائل عام ٦٥٥ هـ ، وقد ساعد فى بعض مواد العمارة كل من الملك المظفر شمس الدين ملك اليمن، وسلطان مصر نور الدين على بن المعز أيبك الصالحى ثم الملك الظاهر بيبرس البند قدارى ، وفى عهد هذا الاخير تمت العمارة . .

وهناك حدث هام وقع حول المسجد الشريف ، وتجلت معجزة من معجزات النبوة - وذلك أنه فى عام ٧٥٧ هـ . وأمير المدينة : عطية بن المنصور . .

رأى السلطان نور الدين محمود بن زنكى فى منامه - شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مشيراً إلى رجلين أشقرين : «أنجدنى أنقذنى من هذين » . فما كاد يستيقظ حتى دعا وزيره يقص عليه الخبر ويأمر بتجهيز الرواحل بمال كثير ، وخرجا يقصدان المدينة ومعهم بعض الرجال حتى وصلوها بعد خمسة عشر يوما . . وبعد أدائهم واجب الزيارة ، كلف السلطان من كتب له أسماء أهل المدينة ، ثم طلب إحضارهم يمنحهم المال ويتفحص وجوههم حتى لم يبق أحد ، فسأل عن غيرهم فأخبر بوجود رجلين مغربيين صالحين يتصدقان دائما والناس تثنى عليهما . فأمر باحضارهما ، فإذا نفس الرجلين اللذين أشير إليهما فى منامه . فأبقاهما ، وذهب إلى منزلهما برباط قرب المسجد يفتشه ، فوجد بعض الكتب وخيمتين وأموالا تثير الشبهة ، وتنبه إلى حصيرة على الأرض ماأن رفعها إلا ووجد سردابا عميقا ، تبين أنه ينتهى إلى الحجرة الشريفة - الامر الذى ارتاع له الناس ، فسخطوا على الرجلين ، وجلدهما السلطان حتى اعترفا بأن سلطان النصارى أغراهما بالمال وأرسلهما - وهما نصرانيان بزى الحجاج المغاربة - بقصد نقل الجثمان الشريف من موضعه . .

وحكم عليهما السلطان فقتلا ، وأمر بأن يصب الرصاص حول الحجرة الشريفة ويسد به السرداب أيضا .

ويعرف ذلك المكان بسقيفة الرصاص إلى الآن .

فى عام ٨٣١ هـ . جدد الملك الاشرف برسباى - ملك مصر - الرواقين الحدثين جهة القبلة ، وفى عام ٨٥٣ هـ . جدد الملك جقمق - سقف الروضة الشريفة وبعض السقوف التى تصدعت ، وفى عام ٨٧٩ هـ زاد الملك قايتباى (١٢٠) متراً مربعاً ، وقام بعمارة شاملة للمسجد من جدره وأعمدته إلى سقفه ومآذنه ، وعمل أيضا الشباك الدائر على الحجرة النبوية .

وتعرض المسجد الشريف للمرة الثانية — إلى الاحتراق ليلة الثالث عشر من شهر رمضان عام ٨٨٦ هـ بسبب انقضاض صاعقة على المئذنة الرئيسية(١) ومات بها رئيس المؤذنين شمس الدين بن الخطيب عندما كان يؤدى أذان الفريضة ، كما توفى بعض الناس ، وقد امتد الحريق إلى جميع المسجد ، وأتى عليه كله فيما عدا الحجرة الشريفة والقبة التى فى صحن المسجد وسلمت من الحريق الأول ، وكانت فى مؤخر المسجد خلوة لأمير المدينة — يومها — قسيطل بن زهير الجازى . وفيها كتبه فاحترقت أيضا .

وعاد الملك قايتباى لتعمير المسجد الشريف مرة أخرى وأحدث فى هذه العمارة بناية مئذنة باب الرحمة وتوسيع المحراب العثمانى وإقامة قبة على رؤوس الأساطين فيما حوله ، وقبة فوق سقف الحجرة النبوية وبنى عليها قبة أخرى ، كما بنيت بين بابى السلام والرحمة مدرسة المحمودية المعروفة بهذا الأسم إلى اليوم - وقد هدمت أثناء التوسعة السعودية حديثاً وأدخل مكانها ضمن الباحة الواسعة بين البابين . .

(١) المئذنة الرئيسية هى التى تشاهد منظرها الحالى بجانب القبه الخضراء على غلاف كتابنا هذا . .

وفى عام ٩٨٠ هـ قام بعمارة المسجد الشريف السلطان العثمانى سليم الثانى ، ثم بنى السلطان محمود العثمانى القبة الشريفة عام ١٢٣٣ هـ - مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها، وأمر بإصلاحها ردهانها باللون الأخضر عام ١٢٥٥ هـ - وكان قد كتب داود باشا شيخ المسجد النبوى عام ١٢٥٤ هـ إلى السلطان عبد المجيد العثمانى، يخبره بأن بعضا من جوانب المسجد يتهددها السقوط وأنه لم يعمر عمارة ضخمة منذ نحو أربعمائة عام ، فأمر بتعميره بأقوى وأجمل الوسائل .. المحدثة وانتهت العمارة فى عام ١٢٧٧ هـ وهى التى نراها اليوم بدقتها وروعتها ، وكانت الزيادة التى حدثت فيه (١٢٩٣) مترا مكعبا ، وأزيلت القبـــة التى فى صحن المسجد وبنيت مئذنة باب المجيدى ، كما بنيت أطراف دكة الأغوات ، وعند تخفيض صحن المسجد تبين وجود بركة ماء كبيرة مبنية بالآجر والجص والخشب ، ولها درج من جوانبها، والماء يتدفق من فوارة تأتى من مجرى العين الزرقاء ، فعمل لها المبنى الذى أزيل فى العصر الحاضر .

وتضم هذه العمارة معظم المسجد الشريف - وهى ما نراه عليه الآن من الفخامة والزخرفة والفن قبل حدوث الزيادة من قبـل الحكومة السعودية وعمارتها الجديدة للمسجد بين عامى ١٣٧٠ - ١٣٧٥ هـ هذه العمارة التى لا تقل روعة وعظمة عن سابقتها فى العهد العثمانى . وتبلغ الزيادة الجديدة (٦٠٢٤) مترا مربعا من (٢٢٩٥٥) مترا مسطحا مساحة الأراضى للدور والأملاك التى انتزعت ملكيتها للتوسعة والشوارع والميادين حول المسجد الشريف ، وقد زيد أيضا فى أبوابه ، فبعد أن كانت خمسة أبواب : السلام ، الرحمة ، جبريل ، المجيدى ، النساء . .

أصبحت عشرة - إذ زيد من الغرب بين بابى السلام والرحمة : (باب الصديق) وثلاثة أبواب متلاصقة باسم (باب سعود)، ومن الشرق ثلاثة متلاصقة أخرى باسم (باب العزيز) ، ومن الشمال (باب عمر وباب عثمان) وبينهما (باب المجيدى) وقد أزيلت ثلاثة مآذن - وبنى بدلا عنها مئذنتان ارتفاع كل منهما (٧٠) مترا تنتهيان بهلالين من الذهب .

والجـدير بالذكر أنه كان قد أنشىء مكتب مختص لمشروع التوسعة يقوم فيـه بالأعمال الفنيـة الإدارية والحسابية وغيرها ما يزيد على خمسين موظف برئاسة مدير المكتب الأستاذ الفاضل الشيخ محمد صالح قزاز الذى ترأس فيما بعد مكتب مشروع توسعة الحرم المكى الشريف ، كما وقد أنشىء بمنطقة أبيار على مصنع خاص من أجل العمارة الأحجار الصناعية (المزايكو) وزود بالفنيين والآلات الميكانيكية وقد عمل فيه أكثر من أربعمائة عامل كما وقد استوردت أحـدث الدكترات والرافعات والسيارات الضخمة للعمـل فى العمارة التى بلغ مهندسوها أربعة عشر ، معظمهم من المصريين ، وعمل فيها أكثر من مائتى صانع من جنسيات مختلفة ، أما السعوديون فكانوا يزيدون على (١٥٠٠) عامل ، وقد استغل ميناء ينبع حيث ترسو به البواخر التى تحمل مواد البناء من الأسمنت والحديد والأخشاب وغيرها . . بقى أن نذكر أن المقاول لهذه العمارة هو المعلم الشيخ محمد بن لادن، وقد أخذ أيضا مقاولة عمارة المسجد الحرام ثم المسجد الأقصى ، وإن لعمل جليل خالد تقوم به الحكومة السعودية فى العناية ببيوت الله المقدسة .

وفى هذه التوسعة السعودية ... ثم العثمانية التى قبلها ضمت إلى المسجد الشريف والرحبات التى حوله - كثير من الأماكن المأثورة والمساكن الحديثة - يأتى ذكرها كلما جاء الحديث إلى موضع منها .

ومن الأحاديث الواردة فى فضل المسجد النبوى، قوله صلى الله عليه وسلم : «من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفوته صلاة كتبت له براءة من النار وبراءة من العذاب وبراءة من النفاق» .

وقوله : من دخل مسجدى هذا لصلاة أو لذكر الله تعالى أو يتعلم خيرا أو يعلمه ـ كان بمنزلة المجاهد فى سبيل الله تعالى ولم يجعل ذلك لمسجد غيره» .

مسجد قباء :

«أول مسجد أسس على التقوى» بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه مهاجرا إلى المدينة ـ وهو شهير بموقعه المسمى به ، وقد أورد الترمذى فى فضله عن أسيد بن ظهير الأنصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الصلاة فى مسجد قباء كعمرة » . .

مسجد الجمعة :

حيث أدركت صلاة الجمعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن وادى الرانوناء المعروف، وصلاها باعتبار أنها أول جمعة أداها بالمدينة، فسمى بها وابتنى المسجد ، وموقعه شرق الطريق الى مسجد قباء قرب بستان الجزع ، وقد جدد عمارته الملك المظفر بايزيد العثمانى حوالى سنة ٩٠٠ هـ .

مسجد الفتح :

على منحدر من جبل سلع الواقع شمال غربى المدينة ، يقوم مسجد

الفتح ، ويسمى أيضا مسجد الاحزاب او المسجد الاعلى ، وفى موقعه كان صلى الله عليه وسلم ـ أثناء غزوة الخندق ـ يدعو على الأحزاب حتى خذلهم الله وانهزموا . وقد بنى هذا المسجد الخليفة عمر بن عبد العزيز . وفى أسفله من الجنوب يوجد مسجدان : مسجد سليمان ـ وقد جدده الامير سيف الدين عام ٥٧٧ هـ . و (مسجد على) وجدده أمير المدينة زين الدين ضيغم بن خشرم ـ عام ٨٧٦ هـ .

مسجد السقيا :

يقع عند بئر السقيا المعروفة باسم العهد ، بالقرب من باب العنبرية وموضع هذا المسجد الآن قبة يسمونها : قبة الرءوس . .

مسجد القبلتين :

يقع شمال غربى المدينة ولا يبعد كثيرا عن بئر عثمان ـ رضى الله عنه ـ وقد سمى مسجد القبلتين لانه يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بأصحابه الظهر والقبلة الى بيت المقدس ، وما كاد يتم ركعتين حتى أمر بالاتجاه إلى الكعبة ، فاستدار اليها هو ومن معه . .

مسجد الزاوية :

يسمى أيضا (مسجد ذباب) لوقوعه على جانب من (جبل ذباب) الواقع إلى يسار الداخل الى المدينة من طريق الشام . .

مسجد الفضيخ :

يسمى أيضا (مسجد الشمس) لوقوعه بمكان عال شرقى (مسجد قباء)

لما حرمت الخمر ـ ووصل الخبر أبى أيوب مع بعض الانصار ، وهم يعاقرون الخمر ـ ويسمونه الفضيخ ـ دلقوه على الارض . .

مسجد الإجابة :

روى مسلم فى صحيحه من حديث لعامر بن سعد عن أبيه أن رسول صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف إلينا فقال :

سألت ربى ثلاثا ، فأعطانى اثنين ومنعنى واحدة ، سألته ألا يهلك أمتى بالسّنة (أى بالجدب) فأعطانيها ، وسألته ألا يهلك أمتى بالغرق فأعطانيها ، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها » .

لهذا سمى مسجد الإجابة ، وهو يقع شمال البقيع على يسار القاصد إلى وادى العريض بقرب قناة . .

مسجد العيد :

هو مسجد الغمامة المعروف بالمناخة ، وكان صلى الله عليه وسلم قد صلى فيه أول عيد فى العام الثانى للهجرة ، ولم يكن فيه بناء ، بل كان فضاء ، وهو يبعد عن المسجد النبوى بنحو نصف كيلومتر ـ وإلى شمال (مسجد أبى بكر الصديق) رضى الله عنه ، ويليه (مسجد على) رضى الله عنه .

وهذه أيضا طائفة من المساجد العامرة .

مسجد بنى ظفر :

يسمى أيضا (مسجد البغلة) إذ يروى أن بغلة النبي صلى الله عليه وسلم ـ ربطت هناك وتركت حوافرها أثراً فى الحجر ، وهو يقع إلى طرف الحرة الغربية شرق البقيع . .

مسجد بنى قريظة :

يقع شرقى مسجد الفضيخ ـ قريباً من الحرة الشرقية . .

مسجد أبى بن كعب :

مسجد أبى بن كعب : يسمى أيضاً (مسجد بنى جديلة) ويقع إلى يمين الداخل من باب البقيع مباشرة غرب قبور عقيل وأمهات المؤمنين .

مسجد مشربة أم ابراهيم :

يقع فى العالية شمالى مسجد بنى قريظة ، وسمى كذلك لأن أم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدته فى المشربة وتعلقت بخشبة فيها حين جاءها المخاض : .

مسجد بلال :

يقع داخل مدرسة الخاسكية ـ وهى التى تشغلها الآن دائرة الإمارة وبعض دوائر الحكومة . .

مسجد عمر : يقع قبلة مسجد بلال .

• مسجد جهينة .. ومسجد بيوت المطرفى . . يقعان غربى القلعة على (جبل عثعث) شرقى سلع ، وهما داخل السور القديم ، وقريبة منهما الآن - (المجزرة) التى تذبح فيها المواشى . .

وهذه أخيرا أسماء بعض المساجد التى اندثرت فلا تعرف إلا أنها أثر بعد عين : بنى حارثة ، التوبة ، النور ، المنارتين ، بنى واقف ، بنى دينار ، الشيخين ، بنى ساعدة ، بنى خدرة ، الشجرة . . الخ . .

وتروى كتب التاريخ عن كثرة المساجد ، أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى ٢٨ مسجدا فى طريقه للحج إلى مكة فى حجة الوداع .

• • •

وخاتمة لهذا الفصل .. نذكر المكتبات الهامة فى المدينة ، وأشهرها مكتبة شيخ الإسلام (عارف حكمت) التى عرفت باسمه ، وكان قاضيا المدينة فى النصف الثانى للقرن الثالث عشر ، وهى بالقرب من المسجد النبوى إلى شرقى القبلة وتحتوى على نحو (٥٥٠٠) كتاب معظمها مخطوط وذات أثر بعيد . . وهى فى مختلف العلوم الفكرية والدينية والصناعية ثم مكتبة السلطان عبد الحميد الأول العثمانى، فمكتبة السلطان محمود العثمانى فمكتبة بشير أغا، فمكتبة المسجد النبوى . وغيرها . وإننا نخشى أن يزداد بهذه المكتبات الاهمال - وقد فقد منها الكثير ، وخرجت منها نفائس جليلة لاتقدر بثمن ، وكم قد دعونا إلى توحيد هذه المكتبات مع مايخلفه أعلام المدينة من مآثر، ليضمها مكان واحد

ينظم تنظيما حديثا وينتفع بما يحتويه من كنوز . ولعل فى المسئولين من يتنبه ويؤدى هذا الواجب الهام نحو الامة والبلدة المقدسة وقصادها من كل صوب .

ولقد استجابوا حديثا ، وأقيمت بناية رائعة إلى قبلة المسجد النبوى لنضم تلك المكتبات ..

وبجوارها بنيت المحكمة الشرعية على أحدث طراز .



• مسجد جهينة .. ومسجد بيوت المطرفى . . يقعان غربي القلعة على (جبل عثعث) شرقى سلع ، وهما داخل السور القديم ، وقريبة منهما الآن - (المجزرة) التى تذبح فيها المواشى . .

وهذه أخيرا أسماء بعض المساجد التى اندثرت فلا تعرف إلا أنها أثر بعد عين : بنى حارثة ، التوبة ، النور ، المنارتين ، بنى واقف ، بنى دينار ، الشيخين ، بنى ساعدة ، بنى خدرة ، الشجرة . . الخ . .

وتروى كتب التاريخ عن كثرة المساجد ، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فى ٢٨ مسجدا فى طريقه للحج إلى مكة فى حجة الوداع .

• • •

وخاتمة لهذا الفصل .. نذكر المكتبات الهامة فى المدينة ، وأشهرها مكتبة شيخ الإسلام (عارف حكمت) التى عرفت باسمه ، وكان قاضيا المدينة فى النصف الثانى للقرن الثالث عشر ، وهى بالقرب من المسجد النبوى إلى شرقى القبلة وتحتوى على نحو (٥٠٠٠) كتاب معظمها مخطوط وذات أثر بعيد . . وهى فى مختلف العلوم الفكرية والدينية والصناعية ثم مكتبة السلطان عبد الحميد الأول العثمانى، فمكتبة السلطان محمود العثمانى فمكتبة بشير أغا، فمكتبة المسجد النبوى . وغيرها . وإننا نخشى أن يزداد بهذه المكتبات الاهمال - وقد فقد منها الكثير ، وخرجت منها نفائس جليلة لاتقدر بثمن ، وكم قد دعونا إلى توحيد هذه المكتبات مع مايخلفه أعلام المدينة من مآثر، ليضمها مكان واحد

ينظم تنظيما حديثا وينتفع بما يحتويه من كنوز . ولعل فى المسئولين من ينتبه ويؤدى هذا الواجب الهام نحو الامة والبلدة المقدسة وقصادها من كل صوب .

ولقد استجابوا حديثا ، وأقيمت بناية رائعة إلى قبلة المسجد النبوى لنضم تلك المكتبات ..

وبجوارها بنيت المحكمة الشرعية على أحدث طراز .



أضواء على التـاريخ

«بلاد العرب ـ قريش فى مكة ـ الانصار ـ الخلفاء الأربعة، الهجرة الشريفة، دول الخلافة الثلاثة، اندحار التتار ـ حكم الاتراك ـ عودة حكم الاشراف، الحكم السعودى»

«جزيرة العرب» ـ فى موقعها الجغرافى ـ جنوب غربى قارة آسيا أكبر قارات الدنيا ، والجزء الهام بها هو الحجاز . . ويقع منها فى الشمال الغربى . وسمى حجازا باسم الجبل الذى يفصل بين نجد وبين تهامة التى تمتد على ساحل البحر الأحمر ، وتبلغ مساحة الحجاز نحو ٧٠٠ ميل من شماله لجنوبه ، و ٢٥٠ ميلا من شرقه لغربه ، ومعظمه جبال تتخللها الأودية والمدن والقرى ، وبه سلسلة جبال السراة التى تمتد من الشام إلى اليمن . وأهم مدنه : « مكة المكرمة والمدينة المنورة ، وجدة ، والطائف وينبع » وتقع (المدينة المنورة) من الحجاز فى وسطه تقريبا ، وترتفع عن سطح البحر بنحو مائتى متر ، والمسافة بينها وبين مكة ٣٠٠ ميل تقريبا ، وميناؤها ينبع ، وتبعد عنها بنحو ١٣٠ ميلا . . ومناخها رطب بارد فى الشتاء جاف حار فى الصيف ، ولكنه رقيق هادىء فى أكثر أوقات السنة . .

وقد سميت الجزيرة ـ باسم العرب الذين اختلف المؤرخون فى سبب تسميتهم بالعرب ، وهم من أولاد سام بن نوح عليه السلام ، فقيل أنهم لإعرابهم عما تكنه نفوسهم وفصاحتهم ، وقيل لانهم أبناء أول من

... العربية . يعرب بن قحطان ...

باليمن . . وهم قبائل عديدة تكاثرت وانتشرت فى الجزيرة العربية . فمنهم مثلا جفنة بن عمرو الذى سكن الشام وكان قد مرّ على ماء غسان ـ فانتسب إليه ، وقيل لمن معه : الغساسنة . .

والعرب البائدة ـ هم الذين مضوا واندرست معهم آثارهم وأخبارهم من قبائل عاد وثمود وطسم وجديس . وغيرهم . . مع الطوفان المعروف على عهد النبى نوح عليه السلام . . .

ثم كان العرب المستعربة ، وهم العدنانيون والاسماعيليون . وينتسبون إلى جدهم ـ اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام . فعدنان . . وقد سكنوا الحجاز وتوارثوا الحكم فى مكة ، حتى كانت قبيلة قريش المنحدرة منهم بمكة ، وقد قويت وتكاثرت وحاربت بنى ابن عمرو المعروف بخزاعة . . وكانوا قد حكموا الحجاز ثلاثمائة سنة ، وادخلوا عبادة الاوثان فى مكة ، وانتزعت منهم الحكم قريش سنة ٤٤٠ للميلاد ، وأول حكامها هو قصى ابن حكم ، وبيده مفاتيح الكعبة . . وهو الجد الخامس لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . .

ولما جاء الإسلام كانت قبائل مختلفة قطنت الحجاز أو نشأت فيه ، ومنهم . . النزاريين وقضاعة وهذيل وغطفان وبنى عذرة الذين منهم والدة الاوس والخزرج ـ واسمها قيلة بنت كاهد بن عذرة . .

وكانت قريش بمكة ذات اطلاع ومعرفة وتحضر ، ومثلها أيضا من

كان بالمدينة والطائف ـ وفى بعض المدن ، وهم غير أولئك العرب الرحل من البدو الذين يضربون فى الارض ويبحثون عن الكلأ لمواشيهم فيقطنون حيث يجدونه ويطيب لهم المقام إلى حين . .

وقد كان كثير من قريش يشتغلون بالتجارة ويسافرون بها إلى اليمن ـ شتاء وإلى الشام صيفا ، ثم امتدت إلى بلاد الحبشة وفارس والهند ، حتى لقد أصبحت مكة سوقا تجاريا كبيراً تلتقى فيه مختلف الطبقات والقبائل ، وفيها تعرض منتجات تلك البلدان الواردين منها ليكتسبوا مالا ومعرفة ، ومن عادات القرشيين الحسنة إكرامهم للضيف وتعاضدهم وتعاطفهم ، وهذا شاعر منهم يقول :

« ياأيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد مناف
الآخذون العهد من آفاقها والراحلون لرحلة الايلاف
والخالطون غنيهم بفقيرهم حتى يكون فقيرهم كالكافى »

وهناك أيضا من العادات الذميمة عند العرب فى الجاهلية ، إسراف بعضهم فى بغض البنات ، حتى كانوا يئدونهن (١) اما للفقر أو الحرص على العرض . وتعاطيهم الخمر والربا وعبادة الاصنام ، بعد أن غيروا ما كان عليه الآباء من سنن ملة ابراهيم عليه السلام ، وان كان بعض كبارهم من الشعراء او الزعماء قد حرموا على أنفسهم تناول الخمر ، وقد لمسوا فيها المضرة ، ولكن الاسلام هذب ـ بوجه عام ـ من طباع العرب وبصرهم بسبل الهدى والصلاح ، ودفع عنهم الزيغ والضلال

---

(١) الوأد : هو الدفن بالحياة .

وهداهم إلى السنن الحميدة ، وكانوا الأمة التى شرفت [illegible] الحنيف ، وقد نزل كتابه بلسانهم ، وحمله إليهم شريف قريش ـ منهم يدعوهم إلى التوحيد والفضيلة ، وصبر عليهم ودعاهم ، حتى عرفوا الحق واستناروا به وكملت مروءتهم وسمت نفوسهم . . فهم الاباة الصيد ذوو الشرف والكرامة . . وهم الحماة الفضلاء ذوو النبل والنخوة والعزة . . هؤلاء هم العرب الامجاد الذين يعاصرون التاريخ بمراحله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله عز وجل اختار خلقه ، فاختار منهم بنى آدم ، ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب ، ثم اختار العرب ، فاختار منهم قريشا ، ثم اختار قريشا فاختار منهم بنى هاشم ، ثم اختار بنى هاشم ، فاختارنى منهم ، فلم أزل خيارا من خيار ، ألا من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى أبغضهم » .

وقد خصت المدينة المنورة بعظيم دعاء إمام الهدى عليه أفضل الصلاة والسلام ـ لاحتفالهم به وتقديرهم لمكانته بينهم وتعاهدهم معه لنصرة دعوة ربه ، والجهاد معه لنشر أنوارها على العالمين . .

والمدينة المنورة بلاد كرمها الله وأعز فيها دينه ، وتساوت فى الفضل بأم القرى مكة المكرمة ، التى بها الكعبة بيته العتيق والمسجد الحرام الذى فيه الصلاة بمائة ألف صلاة . . بل إن المدينة قد زادت فى الفضل وهى البلدة الوحيدة التى افتتحت بالقرآن ولما عهدته من كثير دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لها بالحصانة والبركة والخير ، وما لاقاه فيها من النصرة والتأييد بين أهلها : أولئك القوم من الانصار الذين

فقال قائلهم : ـ بايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ، ورثناها كابراً عن كابر . . وقال قائل منهم أيضا : فوالذى بعثك بالحق لواستعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا غدا » .

وقال عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن الانصار سلكوا واديا أو شعبا لسلكت فى وادى الانصار، ولولا الهجرة لكنت امرءا من الانصار » . .

هؤلاء البررة الطيبون هم أهل طيبة . . هذه البلدة الطاهرة وقد أصبحت للرسول الله صلى الله عليه وسلم ولصحابته الاعلام المجاهدين رضى الله عنهم ، واختصها عليه الصلاة والسلام بكل الميزات الحسنة ورغب فى سكناها ودعا لمن عمل خيرا وأصلح فيها ، كما دعا على من أساء إليها أو أراد سوء بأهلها . .

وحرمها على الخبائث والأوبئة ، كما حرم فيها العنف والضرب فيها . .
ومن أقواله صلى الله عليه وسلم فى ذلك قوله : « اللهم إن ابراهيم حرم مكة فجعلها حراما ، وإنى حرمت المدينة حراما ما بين مأزميها أن لا يراق فيها دم ولا يحمل فيها سلاح لقتال ، ولا تخبط فيها شجرة إلا لعلف » .
وقوله : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق . . »

المدينة المنورة . . حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم . إنها معقل الاسلام ومنشأة الفتوحات وأول عاصمة للمسلمين ومصدر الحكم إلى العالم على زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وخلفائه الأربعة الراشدين . .

أبو بكر الصديق :

هو عبد الله بن أبى قحافة رضى الله عنه ، يلتقى فى النسب برسول الله صلى الله عليه وسلم فى جده السادس (مرة) وعناه صلى الله عليه وسلم بقوله : « من سره أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبى بكر » . وقوله : « لاينبغى لقوم فيه أبو بكر أن يؤمهم غيره » .

وقد كان من أعلم الصحابة ، ويعبر الرؤيا بصدق ، ويحفظ أنساب العرب ، كما كان هو وعمر بن الخطاب رضى الله عنه يفتيان المسلمين ، وهو أول من جمع القرآن وسماه مصحفا . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خصال الخير ثلاثمائة وستون خصلة إذا أراد الله بعبد خيراً جعل فيه خصلة منها يدخل بها الجنة . قال أبو بكر : يا رسول الله أفىَّ شىء منها ؟ قال : نعم جمعا من كل » .

وفى أبى بكر ـ قال حسان بن ثابت :

« إذا تذكرت شجوا من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
الثانى التالى المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدق الرسلا »

ولى الخلافة بعهد من رسول الله عليه الصلاة والسلام ، واشتغل بالفتوحات ، وتوفى فى عام ١٣ هـ أى أنه لم يبق سوى سنتين ـ وعمره ٦٣ سنه ، ودفن بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وممن رثوه . . ضفاف بن ندبه السلمى فى قوله :

« إن أبا بكر هو الغيث إذا ... لم يزرع الجوزاء بقلا بما
تالله لا يـــــدرك أيامه ... ذو مئزر ناش ولا ذو ردا

ومن يسع كى يدرك أيامه مجتهدا شذ بأرض فضا.

* * *

عمر بن الخطاب :

كنيته الفاروق رضى الله عنه.. يلتقى نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فى جده السابع (كعب)، خلف الصديق فى الخلافة. وقد كان الاول فى اتخاذ بيت مال المسلمين، وفى إرسال القضاة للبلدان، وفى ضرب شارب الخمر ثمانين جلدة، وفى وضع القناديل بالمسجد ليلا، وفى جمع الناس على التراويح، وكان أروى العرب للشعر، ومن المتحدثين الرواة التثبت فى النقل، وقد كثرت فى عهده الفتوحات الاسلامية، حتى وصلت إلى مصر وأنطاقية وأذربيجان وقنسرين، وإلى غيرها..

وفى عام ٢٣هـ مات مقتولا وعمره ٦٣ سنة، قتله عبد المغيرة بن شعبة اسمه ابو لؤلؤة المجوسى، وقد دفن رضى الله عنه بجوار سلفه فى الحجرة الشريفة حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم الخليفة الأول الصديق رضى الله عنه، وها هو الفاروق الثالث رضى الله عنه ينضم إليهما.. ومن رثوه عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل فى قولها :

« فجعتنى المنون بالفارس المعلم يوم الهياج والتأنيب

عصمة الدين والمعين على الدهر وغيث الملهوف والمكروب »

* * *

الحجرة الشريفة :

ضمت أكرم الأجساد، وجمعت بين رسول الهداية محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وبين خليفتيه الأولين اللذين ترسما خطاه وفتحا البلدان والأمصار ـ بدعوة الدين الحنيف ووحدانية الله جل شأنه،

وهذه نبذة من تاريخ هذه البقعة الطاهرة ـ على أصحابها أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

كانت الحجرة الشريفة مبنية نحو نصف قامة عن سطح المسجد بالآجر على هيئة حظيرة، ثم أقيمت عليها القبة الأولى سنة ٦٧٨ هـ والتى أمر ببنائها والد الملك الناصر محمد بن قلاوون.. وهى مربعة من أسفلها مثمنة من أعلاها، وقد عملت من الخشب وصب عليه الرصاص وطليت باللون الأزرق، ثم جدد القبة حفيده حسن بن محمد بن قلاوون، وجدد الواح الرصاص ـ الأشرف شعبان والظاهر جقمق عام ٧٦٤ هـ.

وفى سنة ٧٦٨ هـ وأمير المدينة نفير بن المنصور ـ عندما احترق المسجد للمرة الثانية ـ جدد بناء القبة حاكم مصر الملك قايتباى. وجعل بناءها على الحجرة الشريفة بالحجر الأسود ثم الابيض، وأصبح ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا من الحجرة إلى مركز هلال القبة، ثم بنى أيضا فى عام ٨٩٢ هـ على هذه القبة ـ قبة أخرى أكبر، لها دعائم قوية حول الدائر المخمس، ولكنها تشققت من أعاليها عندما كمل بناؤها فأعيد بإحكام. واستورد لها الجير الأبيض من مصر، وقد زينت بالنقوش وكتب عليها فى الجهة الغربية (أنشأ هذه القبة الشريفة العالية المعترف بالتقصير الراجى عفو ربه القدير قايتباى).. وفى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى تشققت بعض جوانب القبة فجددها السلطان محمود بن السلطان عبد الحميد العثمانى فى سنة ١٢٣٣ هـ وطليت باللون الاخضر بدلا من الازرق الذى كانت تصبغ به فى السابق، وأصبح يجدد لونها الاخضر فيما بعد ـ كلما بهت بتأثير حرارة الشمس.

عثمان بن عفان :

ذو النورين ـ رضى الله عنه . يلتقى نسبه برسول الله صلى الله عليه وسلم فى جده الثالث (عبد مناف) . تولى الخلافة منتخبا من بين الستة الذين أوكل اليهم الأمر ـ عمر الفاروق ، جمع القرآن وأمر بكتابته كلا من زيد بن ثابت وإبان بن سعيد بن العاص ـ وذلك سنة ٢٥ هـ وقد كتبت منه سبعة مصاحف أرسلها إلى مكة والبصرة والكوفة واليمن والبحرين والشام ، واستبقى واحدا فى المدينة بالمسجد الشريف ، وهو أول من أمر بالأذان الأول فى الجمعة قبل الخطبة . .

وقد ولىّ الكثير من بنى أمية ، فكره ولايته بعض الصحابة ، واشتكى إليه أهل مصر من الوالى عليهم ، فلم ينتصف لهم منه، قدموا اليه من جاء وتآمر عليه فى المدينة، حتى حاصروه فى بيته يطالبونه بتسليم كاتبه مروان الذى زوّر كتابا بختم الخليفة ـ ضبطوه موجّها لوالى مصر يستحل به قتل أحدهم ، فأباه الخليفة عثمان عليهم ، فتسوروا عليه البيت، وكانوا رجلين ومعهما محمد بن أبى بكر الذى دخل عليه، ولما ذكره بأبيه خرج ، فدخل عليه الرجلان واشتركا فى قتله رضى الله عنه ـ والمصحف فى حجره ـ وذلك فى شهر ذى الحجة سنة ٣٥ هـ وقد زاد عمره على الثمانين ودفن ببستان كوكب بالبقيع ، ومشهده معروف ، وممن رثوه كعب ابن مالك فى قوله :

« فكف يديه ثم أغلق بابه ... وأيقن أن الله ليس بغافل
وقال لأهل الدار لا تقتلوهم ... عفا الله عن كل امرىء لم يقاتل

فكيف رأيت الله صب عليهم ـ ... العداوة والبغضاء بعد التواصل ؟
وكيف رأيت الخير أدبر بعده ... عن الناس إدبار الرياح الجوافل؟ »

* * *

على بن أبى طالب :

ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضى الله عنهم . بايعه الناس بالخلافة ، كان النبى عليه الصلاة والسلام قد استخلفه على المدينة عند رحلته إلى غزوة تبوك . وكان أقضى أهل المدينة ، عرف بالشجاعة وقول الشعر . . ومن شعره قوله : ـ

« ولا تفش سرك إلا إليك ... فإن لكل نصيح نصيحا
فإنى رأيت غواة الرجال ... لا يدعون أديما صحيحا »

سافر إلى العراق لرد كيد (الزبير وطلحة) اللذين صحبا معهما (عائشة) وطالبوا بدم عثمان ، فكانت واقعة الجمل بالبصرة ، وقد ذهب فيها نحو ١٣ ألف قتيل من المسلمين . . فيهم الزبير وطلحة ، وخرج على رضى الله عنه إلى الكوفة ، وجاء إليه معاوية بن أبى سفيان ومن معه بالشام ، فالتقوا بصفّين سنة ٣٧ هـ . فكانت (موقعة صفين) التى رفع فيها المصاحف أهل الشام خداعا ، فتوقف القتال ، واحتكم الطرفان ، وكانت مكيدة ، فخلع على وبويع معاوية ، وهذا فى شعبان سنة ٣٨ هـ . إثر ذلك اجتمع نفر من الخوارج وانتدبوا منهم ثلاثة تعاهدوا فى مكة على أن يقتلوا كلا من على ومعاوية وعمرو بن العاص فى ليلة واحدة . . هى ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان سنة ٤٠ هـ

فعند خروج علي - رضي الله عنه إلى صلاة الفجر إعترضه في الطريق إبن ملجم ، وأجهز عليه بالسيف فأصاب جبهته إلى دماغه ، فلم يلبث أن توفى ليلة الأحد ودفن بدار الأمارة في الكوفة ، أما إبن ملجم المجرم ، فقد لقي جزاءه الصارم بأن قطعت أطرافه ثم أحرق بالنار . .

ومن رثوا علياً رضي الله عنه - أبو الاسود الدؤلي . . . قال :

«ألا ياعين ويحك أسعدينا ... ألا تبكي أمير المؤمنينا
وتبكي أم كلثوم عليه ... بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا ... فلا قرت عيون الحاسدينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ؟ ... بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... وذللها ، ومن ركب السفينا
وكل مناقب الخيرات فيه ... وحب رسول رب العالمينا
كأن الناس إذ فقدوا عليا ... نعام حار في بلد سنينا
فلا تشمت معاويه بن صخر ... فإن بقية الخلفاء فينا »

وعلى الرغم من الانقسام الشديد بعد ذلك على الخلافة ، فقد بايع أهل الكوفة الحسن بن علي رضي الله عنهما ، ولم يمكث نحوا من الستة أشهر حتى جاء اليه معاوية يتفاوض معه ، فطلب منه الحسن تسليم الأمر اليه - على أن تكون له الخلافة من بعده ، فاتفقا ، وسافر الحسن إلى المدينة ، وما هي الأيام قلائل حتى مات مسموما بيد زوجته جعدة بنت الأشعث ، وقيل بأن الذي أوعز اليها بذلك هو يزيد بن معاوية ، وقد دفن بالبقيع إلى جانب أمه فاطمة الزهراء رضي الله عنهما . .

وبذلك انتقلت الخلافة ومصادر الحكم من « المدينة المنورة » إلى الشام ، وابتدأت دولة بني أمية بولاية معاوية بن ابي سفيان عام ٤٠ هـ وتعاقب فيها على الخلافة أربعة عشر خليفة آخرهم : مروان بن محمد بن مروان ابن عبد الملك الذي قتل في ذي الحجة عام ١٣٢ هـ . ومن قبل هذا التاريخ بعدة أشهر ، إنتقلت الخلافة إلى بني العباس في العراق ، فوليها أول لهم ابو العباس السفاح ، وتعاقب على دولة بني العباس ٣٦ خليفة ، آخرهم المستعصم بن المستنصر الذي خلعه بطش التتار سنة ٦٥٦ هـ

وفي خلال هذه الفترة تعاقب الامراء على المدينة ، وكانت الامارة معها على مكة وحجر اليمامة - ايضا - وهؤلاء الأمراء من العلويين ، ونذكر هنا - ماحصلنا عليه من أسمائهم مع أزمان إماراتهم . .

في عام ٢٥٠ هـ - تولى الامارة إسماعيل السفاك بن يوسف الأخيضري ، أعقبه في عام ٢٥٥ هـ - عبد الله محمد بن يوسف ، وقد فتح اليمامة في آخر سني إمارته عام ٣١٦ هـ - وتولى بعده محمد بن يوسف الذي حارب القرامطة ، ولم يمكث سوى أربعة أعوام ، ولي بعده الحسن بن إسماعيل عام ٣٢٠ هـ ثم أبو جعفر احمد بن الحسن ، وبعد هذا تولى أبو عبد الله محمد بن أحمد عام ٣٥٠ هـ ، ولم نعثر بعد ذلك على تعريف آخر حتى عام ٥٨٢ هـ عندما يبدأ أمراء المدينة الحسينيون بعز الدين أبو فليته القاسم بن مهنا الذي اشترك في الحرب مع البطل صلاح الدين عند بيت المقدس ، ثم خلفه في سنة ٦٠٠ هـ سالم بن أبي فليته القاسم - وقد حارب (أبا عزيز) - شريف مكة - بعد سنة من ولايته الامارة ، وظل حكم الحجاز للاشراف إلى القرن العاشر الهجري - بين الفوضى والفتن حيث

وجدت الحكومة العثمانية الفرصة سانحة ليمتد نفوذها إلى البلاد المقدسة .

وكانت الخلافة قد انتقلت فى سنة ٦٦٠ هـ إلى الأسرة العلوية بمصر ، بينما التتار وصلوا إلى بغداد بقيادة (هولاكو) .. ويرجع قيام هؤلاء التتار بحروبهم إلى أوائل القرن السابع ، وهم من سكان الصين يسجدون للشمس ، ولهم ستة ممالك ، ومشهورون بالشر والغدر ، وكان يحكمهم (عفان الأكبر) ولم يكن له خلف ، فانقلب عليه (جنكيز خان) سلطان إحدى الممالك متعاونا مع رفيقه كشلوخان ، وانضم إليهما التكثير ، فاستولوا على الحكم ، ثم قصدوا إلى أرض الترك واستمروا فى زحفهم العاصف يهلكون الناس كالحشرات ، ويدمرون الممالك ويستولون على حكم بخارى وسمرقند ، ثم زحفوا إلى عاصمة الحكم الإسلامى يومها فى (بغداد) فخدعوا حكامها واستولوا عليها . وهم فى كل خطواتهم يريقون سيولا من الدماء الزكية . بما لم يعهد مثله فى التاريخ من الوحشية وجنون التحكم ، فقد كانت سياستهم : أقتل .. دمر » وفى ذلك قال تقى الدين بن أبى يسر .

« يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا   فما بذاك الحمى والدار ديار

تاج الخلافة والربع الذى شرفت   به المعالم قد عفاه إقفار

أضحى لعطف البلى فى ربعه أثر   والدموع على الآثار آثار

يا نار قلبى من نار لحرب وغى   شبت عليه ، ووافى الربع إعصار

على الصليبُ على أعلا منابرها   وقام بالأمر من يحويه زنار

وكم حريم سبته الترك غاضبة   وكم من دون ذاك الستر أستار

وكم حدود أقيمت من سيوفهم   على الرقاب وحط فيه أوزار »

ثم قصد التتار إلى الشام ، وآنذاك . كان قد سمع بهم المصريون ، فساروا إليهم فى جيش عظيم بقيادة حاكمهم المظفر وركن الدولة بيبرس ، والتقوا بالتتار فى «عين جالوت» ، فصدوهم وهزموهم شر هزيمه ، وبذلك انتصر المسلمون وراحوا يتعقبون ذلك الخطر المريع الداهم ، حتى أجلوا التتار عن بلاد العرب ..

وأصبح حكم الخلافة فى مصر للدولة العلوية عام ٦٥٩ هـ فى عهد الملك قلاوون . وأول خليفة هو المستنصر بالله أحمد ، ثم من بعدها المماليك ، حتى أوائل القرن العاشر الهجرى - حيث أصبح الحكم فى مصر منذ سنة ٩٢٣ هـ تحت رعاية الدولة العثمانية التى كانت تسيطر على أجزاء كبيرة من بلدان أوروبا وآسيا - بما فيها بلاد العرب - حتى ما قبل نحو قرن من الزمان ، حين أخذت شمس الإمبراطورية العثمانية تميل إلى الغروب ، ثم أخذت تتخلص الأقطار الباقية من حكمها واحدة بعد الأخرى . إبان الحرب العالمية الأولى ، وأهمها الحجاز ، حيث عاد إليه حكم الأشراف وأصبح الحسين بن على ملكا عليه بعد أن دمر كل سلطة الأتراك بمساعدة الحجازيين .

وكان الملك حسين أميرا لمكة من قبل الدولة التى أرادت وعملت على تتريك كل شىء - فسادت اللغة التركية فى كل الأعمال وشئون البلاد ، وقد وجد الفرصة ليعلن الحرب عليها وله سند من صداقة الانجليز أعداء تركيا - يومها - ومن مناصرة أهل الحجاز الذين انتظروا ذلك اليوم بفارغ الصبر ليقضوا على سلطات دولة مستبدة متقاعسة عن النهضة ببلادها .

ولقد كانت مطامع الملك حسين أكبر من أن تعقل فى مثل ظروفه وهو يسعى للخلافة ، بل ولان يحكم بلاد العرب قاطبة ..

حتى أن السلطان عبدالحميد العثمانى قال يوما : «ولقد خرجت الحجاز من يدنا واستقل العرب وتشتت ملك آل عثمان بتعيين هذا الرجل وياليت أنه ايكتفى بإمارة مكة واستقلال العرب فقط ولكنه سوف يعمل بدهائه إلى أن ينال مقام الخلافة العظمى» .

ولكنها كانت أحلاما طائشة، فلو اكتفى الملك حسين بملكه وبما نادى إليه من الوحدة العربية وتحرير فلسطين ، لفاز بموقفه الرائع وحصل على الثبات والتأييد .

قبل هذا التاريخ بنحو مائة عام جرت حوادث كانت المدينة المنورة مركزها أو قريبة منها ، وقد نالها منها نصيب ليس بالقليل .

فقد كانت السلطة على الحجاز للحكومة التركية، ومصر تابعة لها، وواليها عليها هو محمد على باشا الكبير - وكانت هنا فى الحجاز حركة دينية قامت للمرة الثانية من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب القادمين من نجد للتوسع فى الحكم باسم محاربة المعتقدات الفاسدة والبدع الدخيلة على الدين - مما قد يوجد فى كل عصر .

وكانوا مع أسرة آل سعود النجدية يناصر بعضهم بعضا ، وامتدت حروبهم إلى كربلاء بالعراق والحدود السورية ، وأقاموا حتى بمكة وبالمدينة ، وما كانت هذه الحركة لترضى عنها تركيا ، فأوعزت إلى واليها على مصر : محمد على باشا، بان يناوىء هذه الحركة ويخمد لهيبها ، فأرسل

جيشاً من الالبانيين فى (٨٠٠٠) جندى بقيادة إبنه طوسون ، جاءوا فى أسطول عن طريق البحر، ونزلوا من ميناء ينبع متجهين إلى المدينة المنورة - وذلك سنة ١٢٢٧ هـ - وبين قريتى بدر والصفراء ، قاومهم الوهابيون وأتباعهم فى معركة دامية ، فاضطروا إلى العودة إلى ينبع فى اليوم الثانى وقد فقدوا (٥٠٠٠) جندى ، ولكن راح محمد على يرسل بالنجدات إلى إبنه طوسون - مما عزز جيشه واستطاع أن يدخل المدينة المنورة، ويقهر الوهابيين ويأخذ مفاتيح الحجرة الشريفة، ثم يتجه إلى مكة عن طريق جدة، فيلاقى الترحيب من الامير الشريف غالب الذى سلمه مفاتيح الكعبة ، فبعث طوسون بالمفاتيح كلها إلى أبيه محمد على بمصر وهذا أرسلها بدوره إلى الباب العالى التركى ، وطمأنهم برجوع الحرمين إلى حوزتهم ، وحاول طوسون أن يتعقب الوهابيين ويقضى على نفوذهم ، فهزموه فى موقعة (طربة) بشرق مكة ، وخسر جيشه خسارة فادحة ، وتشجع سعود الثانى - آنذاك - وزحف على المدينة بجيشه واستولى عليها عنوة، فلما علم محمد على بذلك، جاء هو بنفسه يؤدى فريضة الحج، وقد عرف عدم ولاء الشريف غالب، فقبض عليه وأرسله إلى القسطنطينية، وبقى محمد على فى مناورات متواصلة مع الوهابيين حتى سنة ١٢٢٩ هـ عندما توفى سعود الثانى ، وفقد به الوهابيون أكبر سند، وخلفه إبنه عبد الله ، فاستمرت الحرب بينه وبين محمد على الذى هزمه فى موقعة عند «بيشة» سنة ١٢٣٠هـ ، وحدث فى مصر من توقع هجوم الاتراك - ما اضطر محمد على إلى العودة إلى بلاده بعد أن عقد صلحا مع الوهابيين الذين ما لبثوا أن نكثوا هذا الصلح ، فبعث محمد على جيشاً يحاربهم بقيادة إبنه إبراهيم باشا فى شوال سنة ١٢٣١ هـ ووصل هذا

الجيش - كالسابق - عن طريق ينبع إلى المدينة المنورة التى اتخذها ابراهيم باشا قاعدة حربية لجيشه . . . وبعد أن هزمه الوهابيون عند (الريس) أصر على مقاومتهم وظل يجالد . والامتدادات تصله لمدة سنة ، وهو يحاربهم حتى اقترب من (الدرعية) بالرياض قاعدة الوهابيين الرئيسية - على بعد ٤٠٠ ميل من المدينة المنورة - وحاصر (الدرعية) حتى قبض على عبد الله بن سعود، وبعث به إلى والده بمصر، حيث أكرمه هذا وأخذ منه ما كان قد استولى عليه من الحرم النبوى الشريف، ثم أرسله إلى الباب العالى التركى الذى تمرّغ فيما بعد ، فى وحل الهزيمة الساحقة - مع مطلع القرن الرابع عشر الهجرى .

كما عرفنا أن الملك حسين بن على قد استخلص البلاد المقدسة من الحكم العثمانى ثم ساسها سياسة حكيمة ولكنها قد تفتقر إلى الوعى والتبصر بالأمور البعيدة أيضا . . فبالرغم من رخاء العيش الذى ساد البلاد ونشاط المدارس الأهلية الجديدة ، إلا أن هنالك كانت أمورا حساسة تنتظر التطور والاندفاع مع طليعة الجيل الصاعد - ليس فى الحجاز وحده ، بل فى معظم البلدان العربية .

وكان هناك فى نجد، أميرها عبدالعزيز آل سعود - يجمع حوله القبائل ويتابع الحركات السياسية لحكم الحجاز - ويهتبل الفرص للتوسع فى حكمه بمساعدة تلامذة الشيخ محمد عبد الوهاب، وهو يدعو إلى توحيد العرب وإلى أن تستقر أقطارهم من التفرقة والفوضى والتنازع . .

وبعد أن كان السلطان عبد العزيز آل سعود، أيّد الملك حسين سنة

١٣٣٠ هـ فى حربه للاتراك ، أصبح منافسه بسبب التطورات التى كانت فى صالحه، وخسر الملك حسين جولته، وأخذ حكمه فى التقلص .

ثم . . . ثم وجد السلطان عبد العزيز . الطريق بعد موقعة « تربة » الدامية بالطائف - قد افتتح أمامه ليستمر فى زحفه، وهو يجد فى سياسته من يقره عليها . . وتتفق مع الأوضاع حوله . : ويلاقى من الترحيب ما شجعه على التقدم .

وهكذا تم له أن يحكم الحجاز ونجدا، ثم يضم اليهما الاحساء وعسيرا، وتصبح هذه المناطق الأربع تكوّن « المملكة العربية السعودية » التى كان عهده فيها عهد تأسيس ، وبعد وفاته وانتقال الملك إلى ابنه (الملك سعود) ثار عهد للنهضة والتقدم يرافق البلاد فى اتجاهات لازالت محدودة، ونرجو لها أن تشتمل قطاعات الحياة بمجموعها ، وقد توفرت فيها الموارد الاقتصادية بعد استثمار الزيت ومنتجاته(١). والعالم كله اليوم تجاه نهضة واسعة وحضارة شاملة تمتد إلى كل الجوانب .

(١) منذ أكثر من ربع قرن جرى اكتشاف الزيت واستخراجه فى المنطقة الشرقية للملكة - بالظهران وما حولها - بواسطة « شركة الزيت العربية الامريكية » - أرامكو - حتى أصبح الانتاج يزيد على ١٣٠٠ برميل يوميا من الزيت الخام .

من أحداث المدينة وأعلامها

« الشعر فى الجاهلية ، موقعة بدر ، موقعة أحد ، الخندق ، إنتقال الخلافة ، رفض البيعة ليزيد . موقعة الحرة . تعمير المساجد . الخليفة عمر بن عبدالعزيز . الغناء والترف . الأدب والولاة والفقهاء والأمراء . بقية الأعلام عبر القرون » .

الشعر فى المدينة المنورة ، طبيعة حاضرها الأول منذ الجاهلية وبدء الإسلام ، وكأنما هى الفطرة التى فطر القوم عليها ، وليس أدل على ذلك من الخبر الذى يقول بأن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : -

« قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فى الأنصار بيت الا يقول الشعر » ..

وإن غالبية هذا الشعر ، ليقال فى شئون البلاد السياسية منها والاجتماعية . وفى أحداثها وحروبها وفى المساجلات الجميلة . فى الفخـــر والشجاعة والكرم .. وفى المديح أو الهجو أو الغزل وتتسم بعض القصائد بالطابع القصصى ، كما أن معظمها من الشعر القوى البليغ الذى يبين عن فن اللغة وروائعها التى لم تتوفر لغير العربيـة . أو ليست هى لغة كتاب السماء : القرآن ؟ . .

وإنهم لكثيرون هؤلاء الذين كانوا يقولون الشعر من العرب فى الجاهلية ، وعندما جاء الإسلام وآمنوا بالهدى ، تطورت شاعريتهم

وترقرقت بصفاء العقيدة ، وهى تدعو إلى دين الله ، وتشيد به وبصاحب الرسالة الأعظم عليه الصلاة والسلام — تصور الوقائع والحرب بين المسلمين والمشركين .. بين فتوحات الإسلام وانهزام الضلال ، حتى تحققت إرادة الله وانتشر الدين الإسلامى إلى أكبر مساحة كانت معروفة من الدنيا فى تلك العصور .

ونبدأ هنا لنتعرف على بعض الصور من الحياة الأدبية مع بداية تاريخ الإسلام فى البلد الطاهر الذى شع منه الهدى وغمر العالم بفيض خيره وروحانيته .

كانت المدينة هى العاصمة الأولى للدولة الإسلامية من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الخلفاء الراشدين الأربعة - رضوان الله عليهم ..

فى السنة التى ولد فيها صلى الله عليه وسلم ، كان (أبرهة) ملك الحبشة قد أراد تشتيت وحدة العرب المتمثلة فى الكعبة المشرفة وإخضاعهم بهدمها بما جاء به من جيش وأفيال ، ولكن الله ردهم خاسرين ، وانتصر لبيته الحرام . فكانت الطير ترميهم بالحجارة ، فيولون هاربين . وفى ذلك قال شاعر من المدينة هو أبو قيس بن الأسلت - يعنى أبرهة :

« فولّى وأدبر أدراجه   وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصبا   يلفهم مثل لف القزم
تحض على الصبر أحبارهم   وقد ثأجوا كثؤاج الغنم »

وقال قيس بن الخطيم - يفتخر بموقعة تغلب فيها الأوس على الخزرج:

«ونحن الفوارس يوم الربيع   قد علموا كيف فرسانها
رددنا الكتيبة مفلولة   بها أفنها(١) وبها ذانها
وقد علموا أن متى نبعث   على مثلها تذك نيرانها»

وهو أيضاً القائل :

«وإنى فى الحرب الضروس موكل   بأقدام نفس ما أريد بقاءها»

ومن لون الفخر هذا، يقول عمرو بن الاطنابة :

«أبت همتى وأبى بلائى   وأخذى الحمد بالثمن الربيح
وإقحامى على المكروه نفسى   وضربى هامة البطل المشيح
وقولى كلما جشأت وجاشت   مكانك تحمدى أو تستريحى
لأدفع عن مآثر صالحات   وأحمى بعد عن عرض صحيح»

وفى تساؤل فلسفى يقول أصيحة بن الجلاح :

«وما يدرى الفقير متى غناه   وما يدرى الغنى متى يعيل ؟
وما تدرى وإن ألقحت شولا   أتلقح بعد ذلك أم تحيل ؟
وما تدرى وإن دمرت سقباً   لغيرك أم يكون لك الفصل؟
وما تدرى وإن جمعت أمرا   بأى الأرض يدركك المقيل؟»

وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نستمع إلى أبى قيس صرمة بن أنس ـ من بنى النجار ـ وهو شاعر شيخ كان راهباً ثم أسلم ـ نستمع إليه يدعو الناس إلى دين الهدى ـ فيقول :

(١) الأفن هى : الناقة

«سبحوا الله شرق كل صباح   طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا   ليس ما قال ربنا بضلال»

ويقول فى قصيدة أخرى :

«فأوصيكم بالله والبر والتقى   وأعراضكم والبر بالله أول
وإن قومكم سادوا فلا تحسدنهم   وإن كنتم أهل الرسالة فاعدلوا»

وفى موقعة بدر كانت هناك مناورات شعرية. وتفاخر بين المسلمين والمشركين، فمن ذلك مثلا ، قول إصرار بن الخطاب ـ من بنى محارب ـ فى قصيدة :

«عجبت لفخر الأوس والحين دائر   عليهم غدا ، والدهر فيه بصائر
وفخر بنى النجار إن كان معشر   أصيبوا ببدر كلهم ثم صابر
فان تك قتلى غودرت من رجالنا   فإنا رجال بعدهم سنغادر»

فيجيبه كعب بن مالك ـ من بنى سلمة ـ بقصيدة يقول فيها :

«وقد حشدوا واستنفروا من يليهم   من الناس حتى جمعهم يتكاثر
وسارت إلينا لا تحاول غيرنا   بأجمعها كعب جميعاً وعامر
فلما لقيناهم وكل مجاهد   لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره   وأن رسول الله بالحق ظاهر
فكب أبو جهل صريعاً لوجهه   وعتبة قد غادرنه وهو عاثر
وشيبة والتيمى غادرن فى الوغى   وما منهم إلا بذى العرش كافر»

وموقعة بدر حدثت فى شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فى اليوم الثامن منه بعد أن أوكل من يصلى بالناس : عمرو بن أم مكتوم ـ أخا بنى عامر بن لؤى ـ وبينما هو فى الطريق أرجع للمدينة (أبا لبابة) واستعمله عليها ، وفى بدر تشاور الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه حتى اختاروا فيها مكانا هو أدنى ماء لجيش قريش المتربص خلف كثيب بين بدر والعقنقل ـ وهم يزيدون على الألف ـ بينما كان المسلمون نحو الثلاثمائة والأربعة عشر رجلا، وعندما رأى صلى الله عليه وسلم قريشا مقبلة، رفع بطرفه إلى السماء وقال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها ، تحادك وتكذب رسولك ، اللهم فنصرك الذى وعدتنى . اللهم أحنهم الغداة ، ـ أى أهلكهم .

وأرادت فئات من قريش الرجوع عن الحرب ، إلا أن أبا جهل ابن هشام ، أصر عليها ، وفى يوم الجمعة السابع عشر من رمضان ، خرج إلى الميدان أول واحد منهم، هو الأسود بن عبد الأسد المخزومى يقول : أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه » .

وخرج إليه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم حمزة بن عبد المطلب، وبضربة سيف أطار إحدى رجليه فراح الأسود يزحف إلى الحوض ليبر بيمينه. فعاجله حمزة رضى الله عنه بضربات أهلكته، ثم برز ثلاثة من كبار قريش : عتبة ربيعة وأخوه شيبة وابنه الوليد ،وطالبوا

أن يخرج إليهم من هو كفؤ لهم ، فبرز إليهم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث رضى الله عنهم ، فما لبثوا أن صرعوا مبارزى قريش ـ ولم يصب إلا عبيدة بضربة جرحته ، ومن ثم بدأ زحف الفريقين على بعضهما البعض ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يلزم (العريش) الذى عمل له ومعه الصديق رضى الله عنه ، وكان يخرج بين كل حين وآخر ليعدل صفوف أصحابه ويرشدهم وهو يدعو ربه بالنصر، وذلك بعد أن رمى ـ وهو مستقبل قريشا ـ حفنة من الحصباء ويقول : شاهت الوجوه » . ثم أمر أصحابه أن يشدوا على العدو ، وقد اشتركت الملائكة فى هذه الموقعة للدفاع مع المسلمين كما يروى عنه صلى الله عليه وسلم ، وشهده بعض القوم ، وقال الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه : العمائم تيجان العرب وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيضاء . قد أرخوها على ظهورهم إلا جبريل فانه كانت عليه عمامة صفراء » . وروى أن الملائكة كانت تشهد المواقع لإظهار كثرة المسلمين ولم تقاتل إلا فى موقعة بدر كما أوضحنا . ولقيت قريش الهزيمة المنكرة ، فهرب رجالها بعد أن خسروا فى المعركة (٧٠) قتيلا و (٧٠) أسيرا بينما الذين استشهدوا من المسلمين كانوا اربعة عشر رجلا من الانصار والمهاجرين . .

ولقد كانت هذه النصرة للمؤمنين تؤكد ثقتهم بدينهم، وتشجعهم على أن يخوضوا غمار الحروب وهم أشد قوة وأقوى عزيمة . .

وفى ذلك قال حسان بن ثابت عدة قصائد ، ومنها قوله :

«لقد علمت قريش يوم بدر   غداة الأسر والقتل الشديد
بأنا حين تشتجر العوالى   حماة الحرب يوم أبى الوليد»

وقال فى موضع آخر :

«ألا ليت شعرى هل أتى أهل مكة إبادتنا الكفار فى ساعة العسر
قتلنا سراة القوم عند مجالنا   فلم يرجعوا الا بقاصمة الظهر
فكم قد قتلنا من كريم مرزأ   له حسب فى قومه نابه الذكر
تركناهم للعاديات ينبنهم   ويصلون نارا بعد حامية القعر
لعمرك ما حامت فوارس مالك   وأشياعهم يوم التقينا على بدر»

ولقد ظل حسان رضى الله عنه يقول الشعر فى معظم الغزوات والفتوحات الاسلامية .. إما مفاخرا أو مؤرخا أو رادا - على شعراء المشركين . .

فى العام الثالث للهجرة كانت موقعة (أحد) يوم السبت الخامس عشر من شوال، حيث قدم جيش كبير لقريش، يطلب الثأر مما قد أصابهم فى قتل كبارهم فى عام مضى — جاء هذا الجيش فى ثلاثة آلاف رجل، بقيادة ابى سفيان بن حرب ، ومعهم بعض النساء ، وفيهم خالد بن الوليد قائد الميمنة ، وعكرمة بن أبى جهل قائد الميسرة ، وقد نزلوا بالقرب من جبل أحد . .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتشاور مع أصحابه فى الخروج الى

هؤلاء المشركين المرابطين بالحدود، حتى قر رأيه على أن يحاربهم ، فخرج يوم الجمعة ومعه ألف رجل من أصحابه ، إلا أنه فى منتصف الطريق نقص منهم . عبد الله بن أبى بن سلول - ومعه نحو ثلاثمائة رجل منافق، وعادوا الى المدينة ، وواصل الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه حتى عسكروا فى الشعب بسفح (أحد) . . وفى اليوم التالى، وقد كانت دواب جيش العدو ترعى فى مزارع للمسلمين - مما أثار الحمية فى نفوسهم فتأهبوا للقتال ، وأعطى صلى الله عليه وسلم سيفه لبطل من صحابته هو أبو دجانة سماك بن خرشة الذى كان إذا نزل فى ساحة قتال - إعتصب بعصابة حمراء وتبختر فى مشيته . . وقد تقدم من قريش وهو يقول :

«أنا الذى عاهدنى خليلى   ونحن بالسفح لدى النخيل
ألا أقوم الدهر فى الكبول   أضرب بسيف الله والرسول»

وقد عرف عنه أنه لا يلقى أحداً إلا قتله . . والتحم الجيشان .. وكان من كبار القادة المؤمنين: حمزة بن عبد المطلب وعلى بن أبى طالب وسعد بن أبى وقاص وغيرهم رضى الله عنهم - وقد استشهد حمزة رضى الله عنه ، قتله عبد حبشى - اسمه وحش - مولى جبير بن مطعم الذى حرضه وأغراه بالعتق إن هو قتل حمزة رضى الله عنه - ووحش هذا أسلم فيما بعد ، وهو الذى قتل مسيلمة الكذاب ، فقيل عنه فى ذلك بأنه قتل خير الناس - بعد النبى صلى الله عليه وسلم - وقتل شر الناس . .

وقد أصيب صلى الله عليه وسلم فى هذه الموقعة بالحجارة عندما انكشف المسلمون ، وقد أتاهم العدو من خلفهم ، فروعهم ، وكانت

إصابة الرسول صلى الله عليه وسلم من يد عتبة بن أبى وقاص وعبد الله ابن شهاب الزهرى وابن قمئة ـ فشج فى جبهته وكسرت رباعيته اليمنى والسفلى ، وجرحت وجنته وشفته السفلى ، فكان صلى الله عليه وسلم يقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى ربهم ؟ » . فنزل عليه جبريل عليه السلام بكلام الله سبحانه : « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون » .

وفى ذلك قال حسان بن ثابت :

« فأخزاك الله يا عتيب بن مالك
ولقاك قبل الموت إحدى الصواعق
بسطت يمينا للنبى تعمدا ... فأدميت فاه .. قطعت بالبوارق »

ولقد بلغت الوحشية بالمشركين أن تركوا نساءهم يمثلون بالشهداء من المسلمين ، وقالت هند بنت عتبة ـ فى هذا ابياتا منها :

« شفيت من حمزة نفسى بأحد ... حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عنى ذاك ما كنت أجد ... من لذعة الحزن الشديد المعتمد »

ولكن هندا بنت أثاثة بن عباد بن عبد المطلب ردت عليها تقول :

« خزيت فى بدر وفى بعد بدر ... يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر ... ملها شميين الطوال الزهر
بكل قطاع حسام يفرى ... حمزة ليثى ، وعلى صقرى

إذا رام شيب وأبوك غدرى ... فخضبا منه ضواحى النحر
ونذرك السوء فشر نذر »

لقد كانت هذه الموقعة درسا كبيرا ـ تبين فيه من كانوا مخادعون ـ وهم مسلمون يطوون صدورهم على الخيانة ـ ولقد أسفرت عن استشهاد خمسة وستين رجلا من صحابته صلى الله عليه وسلم، بينما قتلى المشركين كانوا اثنين وعشرين رجلا ، وقد أنزل الله وحيه على رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ـ يعزيه فى مصاب المسلمين بقوله تعالى : (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) الى قوله سبحانه : وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين ، وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . .) والآيات كثيرة فى هذا المقام .

ولقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بدفن حمزة بن عبد المطلب وعبد الله بن جحش — رضى الله عنهما — فى قبر واحد .

وقد قيل الكثير فى رثاء حمزة رضى الله عنه . . . ومنه قول كعب بن مالك من قصيدة :

« ولقد هددت لفقد حمزة هدة ... ظلت بنات الجوف منها ترعد
ولو أنه فجعت حراء بمثله ... لرأيت رأسى صخرها يتبدد
عم النبى محمد وصفيه ... ورد الحمام فطاب ذاك المورد
وأتى المنية معلما فى أسرة ... نصروا النبى ومنهم المستشهد »

* * *

في العام الرابع الهجري في شهر صفر الخير جاء المدينة أبو براء عامر بن مالك من أهل نجد، فدعاه صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام، فلم يقبل، وما بعد عنه، ولكنه طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يرسل من أصحابه إلى القوم في نجد، علهم يستجيبون لدعوة الإسلام فخشى صلى الله عليه وسلم من ذلك، ولكن أبا براء أجابه: «أنا لهم جار». ولذا أرسل عليه الصلاة والسلام نحو سبعين رجلا من خيار المسلمين، ونزلوا في نجد عند (بئر معونة) وأرسلوا كتاب دعوة النبي صلى الله عليه وسلم - إلى أمير القبيلة الباغي عامر بن طفيل -. فما كان منه إلا أن قتل الرسول واستعدى فئات من قومه يقاتلون هذه البعثة الطاهرة، فأبيدت عن آخرها، وما نجا سوى كعب بن زيد، وجد جريحا بين القتلى.. وهكذا استشهد هؤلاء الصحابة الكرام رضى الله عنهم.. وفيهم يقول حسان بن ثابت::

«على قتلى معونة فاستهلي   بدمع العين سحا غير نزر
على خيل الرسول غداة لاقوا   مناياهم ولاقتهم بقدر
أصابهم الفناء بعقد قوم   تخوّن عقد حبلهم بقدر»

ولكن هذا الاستشهاد الجماعي لم يتكرر بعد تلك الموقعة، فقد كانت غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم تلاقي النصر تلو النصر. وفي شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة كانت (غزوة الخندق) - عندما جاءت كبار قبائل قريش في مكة بعشرة آلاف مقاتل لتحارب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقومه، فما أن سمع بهم حتى أمر بحفر خندق عظيم حول المدينة - من جانبها السهل المفتوح، وكان صلى الله عليه وسلم يعمل

مع أصحابه في الحفر ليالي وأياما، وكانوا ثلاثة آلاف مسلم، نقص قليل منهم وتراجعوا عن المشاركة في هذا العمل الجليل لجهاد في سبيل الله، وبقى جيش قريش محصورا أياما، إلا أنه استطاع بعض رجالهم أن يقتحموا جانبا من الخندق بخيولهم، ولكن منهم من هرب ومنهم من لاقى حتفه على يد الامام علي كرم الله وجهه ويد غيره من كبار الصحابة الاجلاء، ولقد أرسل الله على جيش قريش ريحا زمهريرا تقلب آنيتهم وتقتلع خيامهم — كما أنه دب الخلاف فيما بين قبائلهم حتى فضلوا الرحيل والرجوع من حيث جاءوا، وقد قتل منهم ثلاث رجال واستشهد من المسلمين ستة.

وكالمعتاد.. فقد قيل شعر كثير في ذلك، وهذا قول كعب بن مالك من قصيدة:

«ألا أبلغ قريشا أن سلعا   وما بين العريض إلى الصماد(١)
نواضح في الحروب مدربات   وخوص ثقبت من عهد عاد
رواكد يزخر المرار فيها   فليست بالجمام ولا الثماد
كأن الغاب والبردي فيها   أجش إذا تبقع للحصاد»

ومما قيل في (موقعة خيبر) في محرم من السنة السابعة للهجرة — قول أبي زيد الانصاري:

«قد علمت خيبر أني كعب   أني متى تشب الحرب
ماضى الهول جرىء صاب   معى حسام كالعقيق عضب
بكف ماض ليس فيه عتب   ندككم حتى يذل الصعب

(١) سلع والصماد: جبلان بالمدينة، العريض: واد معروف، الخوص: الآبار، المرار: نهر، البردي: نبات تصنع منه الحصر.

وقال حسان بن ثابت فى قصيدة :

« بئسما قاتلت خيابر عما … جمعوا من مزارع ونخيل
كرهوا الموت فاستبيح حماهم … وأقروا فعل اللئيم الذليل
أمن الموت يهربون فإن الـ … ـموت موت الهزال غير جميل »

وفى منتصف السنة الثامنة للهجرة لما كان القتال فى (غزوة مؤتة) من قرى الشام ـ قال عبد الله بن رواحة فى وداعه للرسول صلى الله عليه وسلم من قصيدة :

« أنت الرسول فمن يحرم نوافله … والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبّت الله ما آتاك من حسن … فى المرسلين ونصرا كالذى نصروا
إنى تفرست فيك الخير نافلة … فراسة خالفت فيك الذى نظروا »

وقال جعفر بن أبى طالب وهو يقاتل فى هذه الموقعة التى قتل فيها :

« ياحبذا الجنة واقترابها … طيبة ، وبارداً شرابها
والروم روم قد دنا عذابها … كافرة بعيدة أنسابها
علىَّ إذ لاقيتها ضرابها »

وقد قتل أيضا ابن رواحة، وكان يقول وهو فى المعركة ـ ويعنى فى البيت الثانى من سبقاه فى الاستشهاد : جعفر وابن حارثة :

« يا نفس إلا تقتلى تموتى … هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت … إن تفعلى فعلهما فقد هديت »

* * *

فى شهر رمضان من السنة نفسها ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيش كبير من المسلمين لفتح مكة التى استسلمت بعد لأى ، وكان البطل خالد بن الوليد قد استعمل القتال فى قيادته للسرية التى دخل بها من إحدى جوانب مكة بأسفل تهامة ، وفى أيام الفتح هذه أزيلت الأصنام من حول الكعبة ، وكانت تتساقط بإشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يردد : ـ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ، وفى ذلك قال تميم بن أسد الخزاعى :

« وفى الأصنام معتبر وعلم … لمن يرجو الثواب أو العقابا »

وقال حسان بن ثابت فى فتح مكة ـ من قصيدة :

ألا فاصبروا لجلاد يوم … يعين الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا … وروح القدس ليس له كفاء
شهدت به فقوموا صدقوه … فقلتم لا نقوم ولا نشاء
وقال الله قد سيرت جندا … هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد … سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا … ونضرب حين تختلط الدماء »

ومن بديع ما قيل فى الغزوات الإسلامية قصيدة شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ـ حسان بن ثابت ـ ذاكرا الوقائع بجملتها ـ فقال :

لستَ خير معدٍّ كلها نفرا ... ومعشرا إن هم عملوا وإن حصلوا

قوم هم شهدوا (بدراً) بأجمعهم ... مع الرسول فما ألوا وما خذلوا

وبايعوه فلم ينكث به أحد ... منهم ولم يك في إيمانهم دخل

ويوم صبحهم في الشعب من أحد ... ضرب رصين كحر النار مشتعل

ويوم (ذي قرد) يوم استثار بهم ... على الجياد فما خاموا وما نكلوا

و «ذا العشيرة» جاسوها بخيلهم ... مع الرسول عليها البيض والأسل

ويوم (ودّان) أجلوا أهله رقصا ... بالخيل حتى نهانا الحزن والجبل

وليلة طلبوا فيها عدوهم ... لله، الله يجزيهم بما عملوا

وغزوة (يوم نجد) ثم كان لهم ... مع الرسول بها الاسلاب والنفل

وليلة (بحنين) جالدوا معه ... فيها يعلهم بالحرب إذ نهلوا

وغزوة (القاع) فرقنا العدو به ... كما تفرق دون المشرب الرسَل

ويوم بويع كانوا أهل بيعته ... على الجلاد فآسوه وما عدلوا

وغزوة (الفتح) كانوا في سريته ... مرابطين فما طاشوا وما عجلوا

«ويوم (خيبر) كانوا كتيبته ... يمشون كلهم مستبسل بطل

بالبيض ترعش في الإيمان عارية ... تعوج في الضرب أحيانا وتعتدل

ويوم سار رسول الله محتسبا ... إلى (تبوك) وهم راياته الأول

وساسة الحرب إن حرب بدت لهم ... حتى بدا لهم الاقبال والقفل

أولئك القوم أنصار النبي وهم ... قومي أصير إليهم حين أتصل

ماتوا كراما ولم تنكث عهودهم ... وقتلهم في سبيل الله إذ قتلوا»

وهكذا كان الشعر يساير الحوادث، وظلت المدينة المنورة —

عاصمة الاسلام — تسير منها الوفود والجيوش تفتتح البلدان وتنشر الدعوة الإسلامية، ومنها تعيّن الامراء والحكام لبعض تلك البلدان..

وعندما انتقل رسولنا الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى وأراد بعض الناس أن يمتنعوا عن دفع الزكاة — قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: والله لو منعوا عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول صلى الله عليه وسلم لحاربتهم».

وسارت حكومات الخلفاء الراشدين على نفس السنن الذى كان فى عهد المشرع الاول سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وقد كانت حياته فى السنوات العشر بالمدينة حياة كفاح وجهاد بأسمى معانيهما، فما كان ليستقر شهراً أو آخر، حتى يخرج إلى غزوة أو موقعة ويبعث بالرسل إلى ملوك وحكام الاقطار الاخرى، يدعوهم الى دين الاسلام ويرسل لهم من يعلمهم تشريعاته وأصولها. وقام من بعده الخلفاء الاربعة يستكملون رسالة الفتح والدعوة المقدسة. إلا أنه منذ انتقال الخلافة والحكم من (المدينة المنورة) قبل منتصف القرن الاول للهجرة ... أخذت الفتن والقلاقل يلاحق بعضها بعضا.

وكانت ولاية يزيد بن معاوية، أشأم فترة مرت فى تاريخ هذه البلدة الطاهرة. وقد أرسل اليهـا يزيد يطالب أهلها لمبايعته بالخلافة فرفضها الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير — رضى الله عنهما، وسافرا إلى مكة وتشاورا، فكان أن بقى عبد الله بمكة، ولحق الحسين يلبى نداء أهل الكوفة فى العراق، وهناك بعث يزيد إلى واليه بالعراق - عبد الله بن زياد — يأمره بمحاربة الحسين وأتباعه من أهل بيته والصحابة،

وتخلى عنه أهل الكوفة ، وسار إلى كربلاء ودارت رحى المعركة بينه وبين القوى الباغية ، فاستشهد رضى الله عنه مقتولا فى كربلاء ، وقتل معه ستة عشر رجلا من أهل بيته فى اليوم العاشر من محرم سنة ٦١ هـ وصادف يومها كسوف الشمس ، وبقيت آفاق السماء محمرة ستة أشهر ، وكانت لموقعة قتله مأساة مؤلمة ألهمت الكثير من الكتاب والشعراء ، وأوجدت فئة من قتلته تتشيع له وتحتفى باللطم كل عام فى يوم إستشهاده — وتسمى (الشيعة) إلى يومنا هذا — وهى تخالف فى الكثير من الشرائع الإسلامية بالتقاليد المتناقضة التى إخترعتها .

وفى عام ٦٣ هـ عندما سمع يزيد بن معاوية بأن أهل المدينة خلعوه لما بلغهم من إسرافه فى المجون والمعاصى ، أرسل إليهم جيشا كبيرا بقيادة مسلم بن عقبة المرى ؛ يحارب أهلها حتى يبايعوه بالخلافة ، بعد أن كانت الموقعة الكبرى بحرة واقم ، والمعروفة بواقعة الحرة ، فى حدود المدينة ، وقد قتل فيها من أهل المدينة الكرام ما يزيد على أكثر من إثنى عشر ألف رجل ، منهم أكثر من ألفين من بقايا الانصار والمهاجرين وحفظة القرآن . . . واستبيحت المدينة ثلاثة أيام لجيش يزيد الباغى وعبثه ، حتى أن الخيل والكلاب دخلت المسجد الشريف ولوثت فيه . . وقد خلت المدينة من أهلها الذين خرجوا إلى الضواحى ولاذوا بالجبال ، بعد أن أكرهوا المبايعة يزيد على أن يكونوا إماء له ، وقد طلب أحد كبارهم — وهو يزيد بن عبد الله بن زمعة — من قائد الجيش مسلم بن عقبة أن تكون البيعة بحكم القرآن والسنة ، فما كان من مسلم إلا أن قتله ، ولكن الله أهلكه — وهو فى الطريق من المدينة بجيشه المتجه إلى مكة لضرب الكعبة بالمنجنيق .

وقد روى عن سعيد بن المسيب فقيه المدينة وعالمها الكبير آنذاك — أنه قال : لقد رأيتنى ليالى الحرة وما فى المسجد من خلق الله غيرى ، وإن أهل الشام ليدخلون زمرا يقولون : أنظروا إلى هذا الشيخ المجنون ، ولا يأتى وقت الصلاة إلا سمعنا أذانا من القبر ، ثم أقيمت الصلاة ، فتقدمت وصليت وما فى المسجد أحد غيرى » . وقد توفى هذا العالم الجليل فى سنة ٩٤ هـ وهو على عهده من رفض البيعة لخلفاء بنى أمية على الرغم مما لقيه من عنت وقسوة على يد أمرائهم ورسلهم .

لقد كانت واقعة الحرة من أسوأ ما مر من الأحداث فى المدينة ، ومن أزرى ما اقترفه خليفة أو حاكم بحقها يستحل دماء علمائها وأهلها وأعراضهم ، ويروى أن جيش يزيد إفتض فيها نحو ألف عذراء سفاحا ، (١) وقد قال الصحابى الجليل عبد الله بن حنظلة رضى الله عنه : والله ماخرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إنه رجل ينكح أمهات الاولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة » .

ولم يطل حكم اليزيد على ثلاثة أعوام ونصف ، وحكم إبنه على بن يزيد عشرين يوما ، وفى سنة ٧٣ هـ أرسل عبد الملك بن مروان — أى بعد توليه الخلافة بسبعة أعوام — جيشا إلى الحجاز بقيادة الحجاج بن يوسف ليحارب عبد الله بن الزبير حتى يأخذ له البيعة من هذه الديار ، فقتل عبد الله ، وجاء الحجاج إلى المدينة ينادى لخلافة عبد الملك ، وحارب أهلها وأساء إليهم ، وفى هذا العهد كان بالمدينة شقيق عبد الله أحد فقهاء المدينة والعالم بالسير : عروة بن الزبير بن العوام — يشترك

(١) يروى أن فئة « النخاولة » المعروفة بالمدينة — بالتشيع — هى من نسل النساء اللائى نكحن سفاحا يومها .

فى قيادة الرأى العام ، ولد سنة ٢٣ وتوفى عام ٩٤ هـ وهو الذى حفر « بئر عروة » الشهيرة المعروفة باسمه عند وادى العقيق .

فى خلافة الوليد بن عبد الملك بين عامى ٨٥-٩٦ هـ إزدهرت الحال ، حيث نشطت الفتوحات الإسلامية حتى بلغت سمرقند شرقا ، وإلى الأندلس غربا . . وجد على المدينة نوع من الاصلاح ، وقد تولى الإمارة عليها عمر بن عبد العزيز ، وكان متزوجا بفاطمة أخت الخليفة التى شبب بها بعض الشعراء ـ ومنهم عمر بن أبى ربيعة وفيها يقول :

« ضاق الغداة بحاجتى صدرى ويأسى بعد تقارب الأمر
وذكرت فاطمة التى علقتها عرضا ، فيالحوادث الدهر »

ومن الاصلاحات التى نالت المدينة يومها — بناء المساجد ، فقد كتب الوليد إلى عامله عليها عمر بن العزيز ما نصه : مهما صح عندك من المواضع التى صلى فيها النبى صلى الله عليه وسلم فابن عليه مسجدا » .

ولهذا فان معظم المساجد الأثرية ـ ما بقى منها أو اندثر ـ هى من بناء عمر بن عبد العزيز الذى تولى فيها بعد عام ٩٩ هـ الخلافة بعهد من الخليفة سليمان بن عبد العزيز بن عبد الملك ، وقد ولى إمارة المدينة وقضاءها أبا بكر حزم ، وأمره أن يجمع الأحاديث الشريفة ويدونها بالروايات الصحيحة ـ وذلك بالاشتراك مع عالم الحجاز والشام : محمد بن مسلم الزهرى الذى ولد عام ٥٠ هـ وتوفى سنة ١٢٤ هـ وقد ألف كتابا فى المغازى ، أما إبن حزم فإنه توفى سنة ١٢٠ هـ .

ولقد عرف عهد عمر بن عبد العزيز بالعدالة والإصلاح ، حتى أن رعاة الشاة ، كانوا يسألون : من هذا الرجل الذى قام على الناس خليفة ؟ عدله كف الذئاب عن شاتنا » .

حقا .. فقد أعاد سيرة الحكم الرشيد على عهد الخليفة ابن الخطاب رضى الله عنه ـ الذى روى أنه قال : من ولدى رجل بوجهه شجة يملأ الأرض عدلا » .. وهذا هو سليل صلبه النقى عمر بن عبد العزيز ، وكان ورعا تقيا ، حدثت زوجه فاطمة بنت عبدالملك بأنها دخلت عليه ، وهو فى مصلاه ، ودموعه تسيل على لحيته ، فقالت يا أمير المؤمنين أشىء حدث ؟ قال : يافاطمة إنى تقلدت من أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم أسودها وأحمرها ، فتفكرت فى الفقير الجائع والمريض الضائع والعارى المجهود والمظلوم المقهور والغريب الأسير والشيخ الكبير وذى العيال الكثير والمال القليل وأشباههم فى أقطار الأرض وأطراف البلاد فعلمت أن ربى سائلى عنهم يوم القيامة فخشيت أن لا تثبت لى حجة فبكيت » . . رضى الله عنه ، وقد مات فى حمص مسموما فى ٢٥ رجب سنة ١٠١ هـ ودفن بها وله من العمر ٣٩ سنة ، ومدة خلافته سنتان وخمسة شهور . .

فى هذا العهد كان مسلم بن جندب الهذلى هو إمام أهل المدينة وقارؤهم ، وكان يدرس العلم فى حلقة بالمسجد النبوى ، أما فى خلافة إبن جعفر المنصور بين عامى ١٣٧ - ١٥٨ هـ فكان الوالى على المدينة هو رباح المزنى ، كان قد سجنه ذو النفس الزكية المهدى محمد بن عبد الله المحسن

ابن الحسن بن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبي طالب ، ودعا إلى رفض البيعة للمنصور ـ وقد بايعه هو أهل المدينة وعلماؤها ، وعلى رأسهم الإمام مالك وأبو حنيفة ـ رضى الله عنهما . .

فبعث إليه المنصور جيشا بقيادة عيسى . . . وجاء الى المدينة يوم ١٢ رمضان ١٤٥ هـ يحارب أهلها . . . وقد قاد معركة الدفاع عنها محمد نفسه وبيده سيف على بن أبي طالب رضى الله عنه . . . وقتل يومها سبعين رجلا ، وقتل الوالى رباح وأخاه ، ثم عاد إلى القتال يوم ١٤ منه فاستشهد رضى الله عنه ـ دون مبادئه وكرامة بلاده . .

فى سنة ١٦٨ هـ وفى خلافة موسى الهادى ، والأمير المدينة هو الحسين ابن على بن الحسن المثنى ـ خرج إلى مكة ، فبايعه أهلها بالامارة ، ولكن الهادى أرسل إليه من حاربه فقتل ومعه مائة من رجاله ،

ولا يفوتنا هنا أن نستعرض ما كانت عليه الحالة الاجتماعية فى المدينة ، وما بلغته من ترف فى هذا الوقت . وقد كان لها نصيب من الحضارة على العهد الأموى ، هذا بالرغم مما كان يجرى عليها من أحوال الحرب والسياسة المضطربة ، وروى أن معاوية ـ إبان خلافته ـ كان قد أرسل إلى المدينة نحو أربعة آلاف رقيق من سبى (قيساريه) بعد أن افتتحها ، فكانت الأموال لا تنقطع من خزائن دمشق إلى المدينة ، حتى أكل الكثير من أهلها فى أوانى الذهب والفضة ، وفرشوا الديباج والاستبرق ، ونعموا بالحياة الرغدة . وحتى انتشر الغناء ومجالس الشراب وقد أسرف البعض حتى المجون . .

وطبيعة الشعر كانت هى الغالبة على نفوس القوم فى مشرق الإسلام ، وقد كانت السيدة سكينة بنت الحسين بن على ـ رضى الله عنهم ، شاعرة وناقدة حصيفة ، يجتمع عندها كبار شعراء العرب ، بحيث تراهم ولا يرونها ، تناقشهم وتنقد أشعارهم ، وإليها ينسب كتاب (الطرة السكينة) .

هذه الطبيعة الرقيقة وعواطف الناس الجياشة ، لازمت الكثيرين ، واندمج فيها أولئك الذين جاءوا من خارج المدينة من النازحين إليها ومن الموالى الذين كان لهم الدور الكبير فى إظهار الشعر الغنائى بالمدينة وفيهم النساء الجميلات من مختلف الأجناس : الشاميات والروميات والفارسيات ... وغيرهن .. ومثلهن من الغلمان والرجال ، وقد افتتح بعضهم الحانات ، واحتضن البعض الآخر ذوى الصوت الجميل ، فاستشرت أسباب اللهو وكثرت سبل الغناء ، ومن أشهر المغنين فى هذا العهد بالشعر : معبد بن عائشة ، وطويس ، ومالك بن أبى السمح الطائى ، والدلال ، وصائب خاثر ، وعطرد ، ويونس الكاتب ، ودحمان ، ومن النساء : سلامة القس (١) وحبابة ، وعزة الميلاء ، ولذة العيش ، وبلبلة ، وعزة ، جميلة ، وعقيلة ، والزرقاء ، وفيهن الأديبات والقائلات الشعر .

كل ذلك نتج عما كان قد دبره الخليفة معاوية وأرسله إلى المدينة من الرقيق ، ليشغل الناس بلهوهم وعبثهم حتى يحد من نشاط الشعور الوطنى ويخضع أهل المدينة المبايعة بالخلافة دون مقاومة إيجابية .

(١) أحبها حبا روحيا : فقيه مكة وقارئها عبد الرحمن بن أبي عمار ، وكان يدعى القس لكثرة عبادته ولهما قصة جميلة فى كتب التاريخ ـ كما لغيرها فى هذا العهد الحافل بالشعر والحب والغناء .

وقد أنشأ هارون الرشيد داراً فى قصره ببغـــداد سماها (دار المدنيات) واشترى لابنته من المدينة المغنية« فضل » وصاحبتها «علم» ومثلها فى المدينة أيضاً « قلم » وهى فتاة أندلسية جىء بها صبية وتعلمت فيها ، ثم طلبها الرشيد كسابقتها من المحظيات الأدبيات . وهى جميلة حسنة الخط ، وتروى الشعر ، وكان ثابت بن يسار الليثى المتوفى سنة ٦٣ هـ أول من عمل العود وغنى عليه بالمدينة — وهو حسن الصوت وأول صوت غنى به فى الإسلام قوله : « لمن الديار رسومها قفر » .

ومن الشعراء فى هذه الفترة .. عبد الله بن عمر (الأحوص) لقب به ، لحوص فى عينيه ، وقد أخرجه من المدينة إبن حزم ـ عند ولايته لمجونه ، ثم عاد إليها فى عهد يزيد بن عبد الملك ، وولى إمارتها ـ عندئذ ـ عثمان بن حيان .

ومن شعر الاحوص أقواله الرقيقة هذه :

« إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى
فكن حجراً من يابس الصخر جلداً
ستبقى لها فى مضمر القلب والحشا
سريرة حب يوم تبلى السرائر
فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت حتى ما أكاد أجيب»

وله أيضاً من قصيدة يمدح بها الخليفة عمر بن عبد العزيز :

« رأيناك لم تعدل عن الحق يمنة ولا يسرة فعل الظلوم المجادل
ولكن أخذت القصد جهدك كله وتعفو مثال الصالحين الأوائل»

قال الشعر فى أغراض شتى .. يمدح الخلفاء والأمراء ، ويهجو من

يناوئه ، كابن حزم والفضل بن العباس . . وقد ألف عنه إبن بسام الحسن بن على المتوفى سنة ٢١٣ هـ كتاب « أخبار الأحوص » ..

وحفل تاريخ المدينة بثروة كبرى من عمالقة العلم والأدب فى القرن الأول الهجرى ، فكان منهم مثلا : الشاعر العالم أبو الاسود الدؤلى ، وورد الأسود بن سريع ـ أول من كان يقول القصص ، والبارع فى قصص الأولين : كعبد الله بن سلام . الذى أسلم عند الهجرة ، وكعب الأحبار ـ أسلم فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ وتوفى سنة ٣٢ هـ و وهب بن منبه المتوفى سنة ١١٤ هـ ، والرواة للعلوم : كالخلفاء الراشدين الأربعة رضى الله عنهم ، والعباس بن عبد المطلب ، وعمران بن حصين ، وأبى عبيدة عامر بن الجراح ـ القائد المعروف ، وابن دأب ، والسيدة عائشة الصديقة التى قال عنها رسول صلى الله عليه وسلم : خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ، وتوفيت سنة ٦٨ هـ .

والفقهاء : كعروة بن الزبير ، وقبيصة بن ذؤيب ، وعبيد بن مسعود المتوفى سنة ١٠٢ هـ وهو أخو عبد الله بن مسعود العالم المتوفى سنة ٣٢ هـ ، وربيعة الرأى المتوفى فى النصف الأول من القرن الثانى للهجرة .

ورواة الحديث عن النبى عليه الصلاة والسلام كثيرون أيضا من الصحابة الأجلاء ، ومنهم : أبو هريرة ـ عبد الرحمن صخر الدوسى الذى أسلم فى السنة السابعة للهجرة ، وتوفى سنة ٥٩ هـ عن ٧٨ عاما ، وروى ٥٣٧٤ حديثا ، وممن كان يدون الحديث : عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، وغيره من أجلاء الصحابة .

أما بداية الحفظ . . فكانت بعبد الله بن عباس رضى الله عنهما ،

فانه لم يكن يسمع شيئا إلا يعيه .. ومن العلماء المؤلفين : الشيخ على الجمل الذى وضع أول كتاب فى النحو . . ومن كبار المقرئين : نافع ويعقوب ابن عبد الرحمن - توفى الأول أيام المهدى والثانى فى عهد الرشيد ، ثم عيسى ابن ميناء بن وردان بن عيسى المدنى - ابو موسى مولى الأنصار - ولد بالمدينة سنة ١١٠ هـ وتوفى بها سنة ٢٢٠ هـ وكان أصم ، يقرأ عليه القرآن ، وهو ينظر إلى شفتى القارىء فيرد عليه اللحن والخطأ - وكان يعتبر رأس العلوم الدينية والقراءة فى الحجاز ..

* * *

فى سنة ١٦١ هـ ولى إمارة المدينة ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس - من بنى هاشم - وتوفى سنة ١٦٧ هـ وكان القائم بالقضاء فيها محمد بن عمران الطلحى ، وكاتبه نمير المدنى - على عهد الخليفة المنصور المتوفى سنة ١٥٨ هـ - ثم ولى الامارة جعفر بن سليمان ، ولما ولى عليها داود بن عيسى ولى معها إمارة مكة أيضا سنة ١٩٧ هـ - وقبله كان أمير المدينة بكار بن عبدالله بن مصعب الزبيرى لمدة ١٢ عاما وتوفى سنة ١٩٥ هـ - ثم ولى مكة والمدينة أيضا عبيد بن الحسن بن عبد الله بن العباس - من قبل الخليفة المأمون - ثم سليمان بن عبد الله ابن سليمان على العباسى - وتوفى فى سنة ٢١٣ هـ .

فى منتصف القرن الثالث أصبحت الامارة تشمل المدينة ومكة وحجر واليمامة . . فوليها سنة ٢٥٠ هـ - اسماعيل السفاك بن يوسف الاحيصر ، مات بعد سنتين بالجدرى ، فوليها عيسى بن محمد بن اسماعيل المخزومى ، فعلى بن الحسن الهاشمى .. ثم يتعدد الأمراء وهم بين عزل

وقتل حسبما كانت توجه إليه الخلافة فى بغداد ، ثم نعرف فيها بعد أن عبد الله محمد بن يوسف الذى فتح اليمامة سنة ٣١٦ هـ كان أميرا فى تلك الفترة ، وفى هذه السنة إنتقلت الامارة إلى محمد بن يوسف الذى حارب القرامطة ، وولى بعده الحسن بن اسماعيل ، ثم ابو جعفر محمد بن الحسن ثم أبو عبد الله محمد بن أحمد . .

فى سنة ٣٥٨ هـ على عهد الاخشيديين - حكام مصر - تولى الحكم فى الحجاز الاشراف الموسويون ، وأولهم جعفر بن محمد بن الحسين - من سلالة الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه - وكانت قد وقعت بالمدينة فتنة بين أصحابها : بنى حسين وبنى حسن ، - وكان جعفر بن محمد هذا فيها ، فاهتبل الفرصة وتقدم إلى مكة فحكمها ، ثم قام بالدعاء للمعز العبيدى - حاكم مصر - فكتب له هذا بولاية مكة ، والمدينة تابعة له . .

فى ذلك الحين من سنة ٣٦٥ هـ بعث العزيز العبيدى من مصر أميرا علويا لمكة ، فحاصرها واشتد الغلاء بها وبالمدينة من التضييق عليهما ، ولم يدعهما حتى خطبوا له فيهما - على المنابر . .

ويمضى أكثر من قرنين ، والولاة الاشراف ، يتعاقبون على إمارة مكة والمدينة وما حولهما ، وهم فى حروب ومنازعات لا تنتهى ، سواء

١ - عدوان القرامطة على مكة بزعامة ابن الطاهر القرمطى له قصة طويلة مؤلمة فى التاريخ لما ارتكبوه من سفك دماء المسلمين وانتهاك حرمة بيت الله الحرام وسلب الحجاج .

قيما بينهم، أو بما يؤثر عليهم، من الحكام فى مصر وفى اليمن. فكل جانب يناصر فئة على الاخرى، وهكذا لم يكن هنالك شىء من الاستقرار إزاء ذالك التنافس على حكم بلاد الحرمين بالقوة والعنف..

فى حوالى منتصف القرن السادس، وليت إمارة المدينة أسرة بنى فليتة، فكان القاسم بن مهنا الحسينى أميرها سنة ٥٧١ هـ، وتلاه السيد عز الدين أبو فليتة بن مهنا سنة ٥٨٣ هـ وكان قد حارب مع حاكم مصر صلاح الدين الأيوبى عند بيت المقدس، وفى عهد هذا من سنة ٥٩٧ هـ ألغيت الضريبة التى كان يأخذها سلطان مصر بالاتفاق مع أمير مكة - وقدرها سبعة دنانير مصرية. فى مطلع القرن السابع ولى إمارة المدينة الشريف سالم بن أبى فليتة القاسم، واشتبك سنة ٦٠١ هـ فى حرب مع أمير مكة الشريف قتادة بن إدريس الذى كان أديبا وشاعرا، وقال فى ذلك:

«مصارع آل المصطفى عدن مثل ما | بدأن، ولكن حرب بين الاقارب»

فى سنة ٦٣٥ هـ ولى إمارة المدينة: الشريف شيحة بن قاسم الحسينى حتى سنة ٧٠٤ هـ - وفى عهده حدث بالمدينة ليلة الاربعاء ٣ جمادى الثانية سنة ٦٥٤ هـ دوى وزلزلة ساعة بعد ساعة إلى اليوم الخامس، ثم ظهرت نار الحرة المعروفة قريبا من أمكنة قبائل قريظة، وسالت على الجبال حتى رؤى ضوؤها فى مكة، واستمرت شهرا..

فى سنة ٦٣٧ هـ كان قد أرسل الملك الصالح - حاكم مصر - إلى الشريف

شيحة - أمير المدينة - بألف فارس لمحاربة أمير مكة الشريف راجح بن قتادة، وإعادة ولايتها إلى حكومة مصر، ولكن ملك اليمن السلطان نور الدين، قام بمساعدة الشريف راجح، حتى استرد مكة سنة ٦٣٩ هـ. وهكذا فان الحروب كانت متصلة بين شريفى مكة والمدينة أكثر من قرنين من الزمان، وسلطات الحكم فيهما تابعة حينا لمصر وحينا لليمن..

وقد تولى بعد الشريف شيحة إمارة المدينة — ابنه جماز بن شيحة، وبعد هذا، إبنه منصور بن جماز، فابنه عطية بن المنصور سنة ٧٥٧ هـ الى سنة ٧٦٠ هـ التى ولى فيها أخوه نفير بن المنصور، ثم فى سنة ٧٨٠ هـ تولاها هيازع بن هبة بن جماز بن منصور، ثم جماز الحسينى - الى سنة ٧٩٩ هـ عندما غضب عليه الظاهر برقوق حاكم مصر - واعتقله ونقله الى سجن بالاسكندرية، إلى أن توفى، وولى إبنه محمد الامارة، غير أنه لم يستكمل العام، فولى جمال الدين الحسينى، وأعقبه إبن أخيه ثابت، ثم إبن أخيه: عجلان، فعزيز هيازع بن نقبه بن جماز الحسينى لمدة ثمانى سنوات وتوفى فى سنة ٨٢٥ هـ وولى بعده من نفس سلالة هذه الأسرة عجلان، فالحسين، فعجلان، فأميان، فمانع بن على بن عطية بن منصور ابن جماز - وتوفى سنة ٨٣٩ هـ مقتولا بيد حيدر بن دوغان - من بنى عمومته - بدم أخ له إسمه حشرم، ثم ولى بعده - وثبان، فسليمان، فأميان - فابنه زهير بن أميان، فأخوه ضيغم بن أميان سنة ٨٧٤ هـ، أعقبه قسيطل بن زهير، فزهرى، فابنه حسن بن زهرى..

فى القرن العاشر كان الحكم العثمانى التركى - قد بسط نفوذه على معظم

جزيرة العرب ، وفوض الشريف أبو نمي بن أحمد بن أبي نمي ـ أمير مكة ـ بعد والده ليتولى حكم الحجاز بكل أقطاره سنة ٩٧٤ هـ . وفي عهده استقرت الأمور بعض الشيء ، وخمدت تلك الفتن المتلاحقة برقاب بعضها البعض .

ويومها أصبحت في المدينة مشيخة للحرم النبوي الشريف ، يتولاها مفوض من قبل الحكومة التركية .. فكانت هذه المشيخة سنة ١٠٥٦ هـ لبشير أغا ، والشيخ زفر أفندي ـ قاضي الشرع بالحرم ، وقد قتل القاضي سنة ١٠٥٩ هـ أثناء زيارة أمير مكة الشريف زيد بن محسن للمدينة ، فاتهم في تدبير الحادث ، ولكنه استطاع أن يقنع أهل المدينة ببراءته وتولى البحث عن أصحاب المؤامرة ، فقبض على بعضهم ، في سنة ١٠٨٥ هـ توفي أمير المدينة السيد أحمد محمد الحارث الذي كان قد ولاه عليها حسن باشا ، وفي سنة ١١٠٧ هـ بعث الشريف سعد أمير مكة ـ بابن أخيه الشريف محسن بن حسين أميرا على المدينة ..

وفي سنة ١١٣٤ هـ أثناء إمارة الشريف مبارك بن أحمد بن زيد ـ على مكة ، حدثت فتنة بين الاغوات وأهل المدينة ، إقتتلوا فيها ، فأحضرهم الشريف مبارك إلى مكة لمحاكمتهم ـ بحضور مفتي المدينة يومها السيد محمد أسعد ، فحكم على الاغوات بالسجن للبعض ، وبالعزل للبعض الآخر ، فأسروها في نفوسهم ، وظلوا يكيدون لبعض أهل المدينة ، حتى تسببوا في قتلهم وتشريدهم ، وكان منهم السيد عبدالكريم البرزنجي الذي قتل في جدة سنة ١١٣٦ هـ ـ وهو من فضلاء المدينة ، وأسرته من العلماء .

في سنة ١١٩٤ هـ ـ زار أمير مكة الشريف سرور ـ المدينة ، وفي

الطريق إليها ، تعرض للمحاربة في بدر ، ثم في المدينة . وظل يقاوم في قتال مرير ، حتى وصل به الأمر إلى أن رجاله نهبوا القلعة ـ وكانت فيها ذخائر نفيسة لأهل المدينة ، اعتادوا حفظها بها ـ ووضع وزيره على القلعة . وقبض على من تسببوا في هذه الفتنة وسجنهم ـ وكانوا خمسين رجلا ـ صحبهم معه إلى مكة ، ولكن أهل المدينة لم يسكتوا ، فحاصروا الوزير في القلعة فأرسل له الشريف سرور ـ سرية في نحو ٨٠٠ من الخيل ، فقاتلهم بنو حرب حتى اضطروهم إلى الهرب عن المدينة بعد أن قتل الكثير من الطرفين ، وفيما بعد أطلق الشريف ـ نصف المساجين الخمسين وأرسل النصف الآخر إلى القنفدة لسجنهم ، ثم أعادهم إلى جدة ولكنه عاد فأطلقهم ، وقام بزيارة للمدينة سنة ١٢٠١ هـ فاستقبل بالتكريم ولم يتعرض لشيء من شئونها ..

وفي هذه السنة وصلت في شهور الحج صدقات من سلطان المغرب ومن علي خان بالهند ومن غيرهما ، لتوزع على أهل الحرمين ، كما كانت تصل هذه الصدقات في مثل ذلك الوقت ـ من سلاطين الدول إلى فقراء بلاد الحرمين الشريفين مساهمة في عون أصحابها والتعبير عن تقديرهم ..

في سنة ١٢٠٢ هـ : كان الوالي على الحرمين هو الشريف غالب بن مساعد الذي اشتبك في حرب مع تلامذة الشيخ محمد عبد الوهاب سنة ١٢٠٥ هـ ودامت خمسة عشر سنة وكانت بينهم أكثر من خمسين واقعة .

في سنة ١٢٦١ هـ كان شريف باشا شيخا للحرم النبوي الشريف ثم نقل إلى مكة ، وولي بعده عثمان باشا . وكلاهما من الاتراك ..

فى سنة ١٢٧٧ هـ زار المدينة - والى مصر سعيد باشا ، وكان فى استقباله : شريف مكة — عبد الله بن على — الذى تولى بعد وفاة والده الشريف محمد بن عون سنة ١٢٧٤ هـ ، وكان الحاكم حينئذ فى المدينة - يدعى المحافظ ، وليس الأمير كجارى العادة .

فى سنة ١٢٨٤ هـ كانت مشيخة الحرمين الشريفين - لمحمد وجيهى باشا ، عندما كان واليا على مكة - معمر باشا الذى عزل ، وتولى بعده رشيد باشا - سنة ١٢٨٧ هـ ، وقاسم باشا محافظا على المدينة ، وقد نقل هذا إلى مكة ، بعد عزل خورشيد عنها ، وعين محمد رشيد باشا - محافظا المدينة - ثم من بعده تولى الشريف الحسين الذى قتل سنة ١٢٩٧ هـ .

وهكذا كانت تمر سنين كثيرة ، والحكومة العثمانية تعين الأمراء على مكة والمدينة - من الأشراف والأتراك ، وقد أصبح أهلها يضيقون ذرعا من الاستبداد العثمانى فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى ، وحاول كبار أهل المدينة قتل (الزنجى على باشا مرحين) الذى كانت وظيفته - آنذاك - شيخاً المسجد النبوى الشريف ، وذلك بسبب صلفه وتجبره ، ولكنه هرب إلى عشة المحتسب يومها - ولم يخرج إلا بالحرس إلى بيته ، حيث غادر المدينة ، وجاء بعده - حسن حسنى باشا الذى لم يمكث طويلا ، إذ انضمت مشيخة الحرم والمحافظة - إلى عثمان فريد - محافظ المدينة فى ذلك الحين - وفى حادثة الاتهام السياسى هذه سجن فى قلعة الطائف أربعون رجلا - نقلوا من أعيان المدينة - لمدة سنة ونصف ، وفى هذا يقول الشاعر المدنى السيد أنور عشقى المتوفى سنة

١٣٣٦ هـ - وكان بين من هؤلاء السجناء ، واشترك فى محاولة قتل الزنجى على باشا - :

« نساق للسجن لا جرمٌ ندان به … إلا تلافيق زور من ذوى الفتن
كنا نطالب بالعدل الذى حرمت … منه المدينة : دار العدل والمنن
أى الذنوب اللواتى نستحق بها … هذا العقاب سوى الأغراض والإحن
ما ضرنا غير قول الشامتين لنا … ذوقوا جزاءكم فى السجن والوهن
قضت علينا الليالى وهى ظالمة … بعداً عن الأهل والإخوان والوطن
قاض تهور فى أحكامه فقضى … بما يصوره الواشون من درن
فكيف يقضى بما تملى غباوته … ألا يفرق بين الخمر واللبن ؟ »

• • •

وما أسرع ما انزاحت السلطة التركية بعد ذلك ، وأعقبها حكم الهاشميين الذى لم يدم طويلا أيضاً — وقد وجد القوم فى حكم آل سعود القادم — شيئاً من الأمن والسلام ، فرحبوا به ، واستقبلت المدينة الملك الراحل عبد العزيز سنة ١٣٤٥ هـ باستبشار وأمل ، فولّى إبنه محمداً أميراً عليها . . غير أن هذا الأمير أناب غيره ، وبقيت أمارة المدينة باسمه ، ومن يتولاها يكون وكيلا لها ، فكان الأمير عبد العزيز بن إبراهيم ، وفى عام ١٣٥٥ هـ تولاها الأمير عبد الله السديرى — من أخوال الملك — ، وبعد وفاته فى هذا العام ١٣٧٩ هـ خلفه

لابنه عبد الرحمن حاليا — وكيلا لإمارة المدينة المنورة .

* * *

نعود إلى سير الاعلام فى هذا البلد العظيم . . نستوفى ما ذكرناه من كل قرن ، كأنموذج للحركات العلمية والأدبية والدينية عبر العصور :

• العلامة ربيعة الرأى بن فروخ التيمى . فقيه وحافظ ، صاحب الفتوى فى المدينة ، وعليه تفقه الإمام مالك ، وتوفى سنة ١٣٦ ﻫ ، وهى السنة التى توفى فيها الفقيه المفسر بالمدينة : زيد بن أسلم العدوى العمرى ، وكانت لهذا حلقة بالمسجد النبوى يدرس فيها ، وله كتاب فى التفسير . .

• قبل هذين . وفى نحو سنة ١٣٢ ﻫ توفى داود بن سلم ، المعروف بالآدلم — لسواده وطوله — وهو شاعر من المدينة — كان يتخايل فى مشيته مما دعا أمير المدينة يومها — سعد بن إبراهيم — إلى ضربه تأديباً له . .

— قبل هذا أيضاً — المغيرة بن شعبة بن أبى عامر الثقفى — أبو محمد — أسلم زمن الخندق ، وروى الحديث ، وشهد مواقع اليمامة واليرموك والقادسية ، ويعد من كبار المفكرين ، وقد أحصن ألف إمرأة ، وتوفى فى سنة ٥٠ ﻫ .

• سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أميه ـ صحابى ـ ولى على المدينة فى عهد معاوية ، وهو أحد كتبة المصحف للخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ـ توفى سنة ٥٩ ﻫ .

• الإمام ـ أبو عبد الله ـ مالك بن أنس الأصبحى ، ينسب إليه المذهب المالكى ـ أحد المذاهب الأربعة ، ولد سنة ٩٥ ﻫ بالمدينة ، ونشأ وتعلم بها ، إتصلت أسبابه ـ وهو فى الأربعين من عمره ـ بالعلامة ربيعة الرأى ، فدرس عليه وأخذ عنه ، ثم راح يتعمق فى العلوم الدينية حتى أصبح إماماً فى الفقه وحجة فى الحديث ، وقد روى أنه أفتى فى زمانه بخلع الخليفة المنصور ، ومبايعة محمد بن عبد الله ـ من آل الإمام على ابن أبى طالب رضى الله عنهم ، ووضع كتابه المشهور فى الحديث : (الموطأ) وكان علماً يقصد ويستفتى فى أمور الدين ، حتى توفاه الله ، وكان يقول عن نفسه : « قل رجل كنت أتعلم منه ماما ت حتى يجيئنى ويستفتينى . . » ومن هنا أخذ المثل المعروف : « لا يفتى ومالك فى المدينة » ، توفى سنة ١٧٩ ﻫ .

• وفى عصره كان سلمة بن دينار المخزومى ـ والياً وقاضياً بالمدينة وتوفى سنة ١٤٠ ﻫ .

• ومن الأعلام فى هذا القرن ـ الثانى أيضا ـ يعقوب بن إسحاق الربعى المخزومى ـ من ولد عبد الرحمن بن أبى ربيعه بن المغيرة ـ كان شاعراً : وفى إحدى قصائده الغزلية يقول :ـ

« هل تعلمين وراء الحب منزلة تدنى إليك ، فإن الحب أقصانى »

وله فى الرثاء ومواضيع أخرى ـ شعر كثير ، وتوفى حوالى سنة ٢٠٠ ﻫ وقد توفى سنتها أيضا : أبو البحترى : وهب بن وهب بن كبير ابن عبد الله بن زمعة ـ من بنى عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى ـ من

قريش ، وكان قاضياً ومن العلماء بالأخبار والأنســاب ، ولد ونشأ بالمدينة ، ثم انتقل إلى بغداد فى خلافة الرشيد ، حيث ولى القضاء بها ، ثم رجع إلى المدينة وتولى قضاءها وحربها وصلاتها ، ولكنه عزل وعاد إلى بغداد حتى توفى بها ، وله مؤلفات منها : « فضائل الأنصار » والرايات ، وطسم وجديس ، ونسب ولد إسماعيل » .

• وفى عام ١٣٠ هـ ولد الواقدى محمد بن عمر بن واقد السهمى الأسلمى المدنى - المؤرخ الإسلامى الشهير - ولد ونشأ بالمدينة ، واشتغل بتجارة الحنطة ، ثم أفلس ورحل إلى العراق سنة ١٨٠ هـ واتصل بالخليفة هارون الرشيد ، فولى القضاء ببغداد ، وبقى إلى أن توفى سنة ٢٠٧ هـ ومن مؤلفاته المطبوعة : المغــازى النبوية ، فتح العجم ، فتح مصر والاسكندرية ، فتح إفريقية فتوح العراق ، فتوح الشام ، أخبار مكة ، سيرة أبى بكر ووفاته ، مقتل الحسن ، تفسير القرآن - خطى) وكان يروى عنه كاتبه العلامة محمد بن سعد صاحب الطبقات الكبير - من كبار الأعلام المفكرين . وقد قال عنه الخطيب البغدادى : « كان الواقدى كلما ذكرت له واقعة ذهب إلى مكانها فعاينه » .

• أما إبراهيم بن على بن سلمة بن عامر بن هرمة الكنانى القريشى فشاعر غزل - من سكان المدينة ، ولد عام ٩٠ وتوفى سنة ١٧٦ هـ وروى عن الأصمعى أنه قال عنه : « ختم الشعر با بن هرمة » .

• وهناك أيضاً الشاعر الفقيه : عروة بن يحى — الملقب بأذينة — ابن مالك بن الحارث الليثى . والذى قال فى شعره : -

« ولقد علمت - وما الاسراف من خلقى -
أن الذى هو رزقى سوف يأتينى
أسعى إليه فيعيينى تطلبه
ولو قعدت أتانى لا يعنينى »

— وقد توفى سنة ١٣٠ هـ .

• وأقدم مؤرخى العرب — محمد بن إسحاق يسار المطلبى بالولاء — ولد ونشأ بالمدينة ، وسافر إلى الإسكندرية سنة ١١٩ هـ ، ثم إلى بغداد حيث أقام بها إلى أن توفى فى سنة ١٥١ هـ ، وقال عنه إبن حيان — المؤرخ المعروف — : ولم يكن أحد بالمدينة يقارب إبن إسحاق فى علمه أو يوازيه فى جمعه ، وهو من أحسن الناس سياقا الأخبار ، ومن مؤلفاته - « السيرة النبوية ، كتاب المبدأ » .

ومن أعلام القرن الثالث : —

• العلامة يحى بن الحسن بن جعفر (الحجة) ابن عبد الله الأعرج - ابن الحسين الأصغر ، ابن الإمام السجاد زين العابدين — العبيد ابن العقيقى — مؤرخ ونسابة ، من أهل المدينة ، بها ولد ونشأ سنة ٢١٤هـ ، ومن مؤلفاته : « أخبار المدينة ، وأنساب آل أبى طالب » ، توفى بمكة سنة ٢٧٧ هـ .

* * *

وتمضى نحو أربعة قرون هى : الرابع والخامس والسادس والسابع ، فلا ينقل لنا التاريخ نشاطا وافراً — فى الفكر والعلوم

من أهل هذا البلد الطاهر ، وقد كان الإزدهار الأدبي ، في ذلك الوقت قد انتقل إلى شمال الجزيرة العربية ، وكثرت المنافسات بين الدول على الحكم والخلافة . .

ولكننا نجد من الأعلام في القرن الخامس : —

• ظهير الدين بن الحسن بن محمد بن عبد الله — أبو شجاع الروذراوري ، المولود سنة ٤٣٧ هـ ، وهو أديب من — همذان بفارس ، ولي الوزارة للمقتدي العباسي في بغداد سنة ٤٧٦ هـ ، وعزل سنة ٤٨٤ هـ ، ثم حج سنة ٤٨٧ هـ وزار المدينة وأقام بها إلى أن توفي سنة ٤٨٨ هـ ، وله كتاب « ذيل تجارب الأمم — لمسكويه » .

وفي القرن السادس : —

• أبو الحسن الانصاى الجياني — من أهل المدينة ، عالم وأديب ، توفي بها سنة ٥٩٣ هـ ، نظم كتابه — « شذور الذهب في صناعة الكيمياء » . .

وفي القرن السابع : —

• عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر النكزاوي — معين الدين أبو محمد — من أهل المدينة ، كان عالما ومقرئا : ولد سنة ٦١٤ هـ ، وقد رحل إلى الإسكندرية وسكنها ، وبها توفي سنة ٦٨٣ هـ ، ومن كتبه : « الشامل في القراءات السبع ، الاقتضاء في معرفة الوقت والابتداء — خطي » .

وفي القرن الثامن :

— تعود الإنطلاقة الثقافية الأولى سيرتها . . فنرى من الأعلام :

• نور الدين علي بن محمد بن أبي القاسم ابن فرحون اليعمري المدني — أديب ، ولد بالمدينة سنة ٦٩٨ هـ وبها تثقف ، وتوفي سنة ٧٤٦ هـ . وهو تونسي الأصل ، وقد قام برحلات عديدة إلى الشام ومصر ، له ديوان شعر صغير ، ومن كتبه : « الزاهر في المواعظ والحكايات والذخائر — خطي ، و الاعتبار وتواريخ الاخبار والتعريف بالنسبة إلى النبي المختار ، ونزهة النظر وتحفة الفكر — في شرح لامية العجم » .

• الشيخ ابراهيم بن عبد الله الحكري — برهان الدين ، من كبار النحويين ، أصله من أهل الحكرة — قرب مدينة الطائف . . سافر إلى مصر وعاد إلى المدينة حيث تولى بها القضاء ، ثم إلى القدس والخليل — حيث ناب بالحكم فيهما ، وله « شرح الألفية » لابن مالك في النحو ، وتوفي سنة ٧٨٠ هـ .

• الشيخ عبد الله بن محمد بن أحمد بن خلف المطري الخزرجي العبادي — أبو السيادة عفيف الدين — ولد بالمدينة سنة ٦٩٨ هـ ، نسبته إلى المطرية بمصر ، من ذرية سعد بن عبادة الانصاري ، وهو مؤرخ حافظ للحديث ، كان رئيس المؤذنين بالمسجد النبوي ، قام برحلات في طلب العلم إلى العراق والشام ومصر ومكة ، ومن كتبه : « الاعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام » .

• العلامة نور الدين الزرندي : — محدث بالمسجد النبوي ، قام برحلات كثيرة في طلب العلم . . له كتاب « المفاخرة بين مكة والمدينة »

بالنظم والنثر مخطوط - وقد كتب عن علمه وفضله كبار العلماء وسجلوا تقاريظ جمة عن كتابه (المفاخرة) هذا ... ومن هؤلاء العلماء :

« العلامة مفتى الفرق شيخ الاسلام - شرف الدين بن شيخ الحل الحنبلى الدمشقى .. والعلامة شهاب الدين أحمد بن ابى حجلة المغربى .. والعلامة شيخ الصناعتين ذى البلاغتين - شمس الدين بن نباته ..

والعلامة برهان الدين القيطراطى المصرى ، والعلامة شمس الدين ابن الصائغ الحنفى ، والعلامة - جامع بلاغتى النظم والنثر - شهاب الدين الشهير (بأبى الركب) ، والعلامة شرف الدين بن الريان الحلبى ، .

والعلامة ناصر الدين بن الشرف يعقوب — صاحب ديوان الانشا بحلب ودمشق ، والعلامة بدر الدين بن حبيب الحلبى — الذى قال : « ولعمرى لقد أوجز قائل هذه المفاخرة فأعجز ، وأظهر من كنوزه لديها إبريز البلاغة وأبرز ، وحاز قصب السبق فى ميدان البيان وأعجز ، وعنى ببرودها المفوفة — فرقّم ورقش وطرّف وطرز ، وأتى بما لم يسبق إليه من محاورة الحرمين ، وأعلم أنه العَلَم الفرد حيث حلا حين مرّ بين العلمين ..

ونونية قد حار ناظمها فما ... إذا لم تكن ألفاظه جواهرا فمن
خجازية لو عاين الصب لفتة ... على النأى منها والتباعد لافتتن » .

— وقد توفى الامام الزرندى سنة ٧٦٢ هـ - وكان ولده شيخ المحدثين ورث عنه العلم والفضل . .

● الشيخ عبد الله بن محمد فرحون اليعمرى المالكى - أبو محمد فقيه من العلماء بالحديث ، ولد ونشأ بالمدينة سنة ٦٩٣ هـ أصله من تونس

توفى بالمدينة سنة ٧٦٩ هـ وله مؤلفات منها : « الدر المخلص من التقصى والمخلص — فى الحديث ، وكشف الغطا فى شرح مختصر الموطأ — ٤ مجلدات ، وإعراب عمدة الأحكام — فى الحديث — مجلدان ، والعدة — خطى » .

● الشيخ ابراهيم بن على بن محمد بن فرحون برهان الدين اليعمرى — ولد ونشأ ومات بالمدينة عن سبعين عاما سنة ٧٩٩ هـ — وبها تولى القضاء سنة ٧٩٣ هـ كان عالما بحاثة ، ومن مؤلفاته المطبوعة : (الديباج المذهب وتبصرة الحكام فى أصول الأقضية ومناهج الأحكام) والمخطوطة : « طبقات علماء الغرب ، ودرر الغواص فى محاضرة الخواص ، وتسهيل المهمات فى شرح جامع الأمهات لابن الحاجب فى الفقه » ..

● الشيخ محمد بن يوسف بن الحسن شمس الدين الزرندى : من أهل المدينة ، بها ولد سنة ٦٩٣ هـ ، درس فيها زمنا .. وهو فقيه محدث من كبار علماء الحنفية ، سافر فى سنة ٧٤٣ هـ إلى (شيراز) وتولى قضاءها حتى توفى سنة ٧٤٧ هـ ، ومن كتبه : « السمطين فى مناقب السبطين ، وبغية المرتاح - شرح أربعين حديثا - وهو خطى » .

ومن أعلام القرن التاسع :

● الشيخ محمد بن أبى بكر بن الحسين أبو الفتح شرف الدين القرشى المراغى - من سلالة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ، أصل والديه من مصر ، وقد ولد بالمدينة سنة ٧٧٥ هـ وبها نشأ وأقام ، وكان فقيها عارفا بالحديث واشتغل بالتأليف ، ومن كتبه : « المشروع الروى فى

شرح منهاج النووى ـ أربعة مجلدات ، وتلخيص الفتح لمقاصد الفتح ، اختصر به كتاب (فتح البارى) لابن حجر ـ فى أربعة أجزاء ، وتوفى بمكة سنة ٨٥٩ هـ .

● ــ السخاوى ــ الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين ــ السخاوى العلامة الشهير والمؤرخ المعروف ــ ولد سنة ٨٣١ هـ ، وتوفى بالمدينة سنة ٩٠٢ هـ وضع كتابا عن المدينة باسم « التحفة اللطيفة فى أخبار المدينة الشريفة » ... وله كتاب « تاريخ المدينتين » ـ يعنى مكة والمدينة .

● ــ العلامة المراغى ـ الشيخ أبو الفتح شرف الدين محمد بن زين الدين ابى بكر المدنى الشافعى ابن الحسين بن عمر بن محمد بن يونس بن ابى الفخر بن عبد الرحمن بن نجم بن طولون العبشمى العثمانى ـ ولد سنة ٧٧٥هـ وتفقه كثيرا على أبيه والعلامتين : السراج القلينى والكمال الدميرى ـ وغيرهما ـ اعتزل فى أواخر أيامه بالبيت ، وتوفى سنة ٨٥٩ هـ . وأخوه العلامة محمد ناصر الدين أبو الفتوح بن أبى بكر ـ المراغى ـ من أئمة العلم والأدب .

ومن أعلام القرن العاشر :

● ــ الشيخ عبد العزيز بن عبد الواحد بن محمد بن موسى المغربى ـ أصله من المغرب ، هاجر للمدينة وتزود فيها العلوم ، واعتبر فى زمانه شيخ قرائها ، وبها توفى سنة ٩٦٤ هـ ، ومن مؤلفاته المخطوطة : « منهج

الوصول فى أصول الدين ، ونظم سور القــرآن ، ونظم جواهر السيوطى ، ولب لباب المصطلح ، ومنظومة فى البلاغة » .

● ــ الشيخ على بن محمد بن على بن عبد الرحمن بن عراق الكنانى ـ نور الدين ـ ولد فى دمشق وهاجر الى المدينة وتولى بها الإمامة ، وهو متصوف فقيه وناقد للشعر ، من مؤلفاته : « تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة ، ونشر اللطائف فى قطر الطائف » .

● الشيخ محمد بدر الدين الرومى الآقحصارى الحنفى : أصله من « آق حصار » من أعمال صارخان ، مفسر وأديب . . تولى مشيخة المسجد النبوى سنة ٩٨٢ هـ . وأقام بالمدينة حتى توفى سنة ١٠٠١ هـ ، ومن مؤلفاته المخطوطة : « المثنى ــ فى اللغة ، والألفاظ ــ التى وضعت على صيغة الجمع » والمطبوع : « التنزيل ــ فى تفسير القرآن » .

● الشيخ فتح الله بن عبد الله الشهير بابن النحاس : أصله من حلب ، رحل إلى مصر والحجاز ، وهاجر للمدينة وأقام حتى توفى سنة ١٠٢٥ هـ أديب ، وله ديوان شعر » .

ومن أعلام القرن الحادى عشر :

● السيد محمد بن عبد الله بن محمد ـ من أحفاد شرف الدين بن يحيى الحزى الحسنى ـ ويعرف بمحمد الكبريت . ولد بالمدينة سنة ١٠١٢هـ وبها توفى سنة ١٠٧٠ هـ ، كان أديبا . قام برحلات إلى تركيا ومصر والشام ، ومن مؤلفاته : « رحلة الشتاء والصيف ، وحاطب الليل ، والعقود الفاخرة فى أخبار الدنيا والآخرة والجواهر الثمينة فى محاسن

المدينة ، وتراجم الفضلاء من المدينة ، وبسط المال فى القيل والقال ، ونصر من الله وفتح قريب » . كان قد اتهمه بعض معاصريه بالإلحاد لأنه يخالف أساليبهم فى البحث .

● الشيخ إبراهيم بن حسين بن أحمد بن بيرى : فقيه ، ولد بالمدينة سنة ١٠٢٣ هـ ، ونشأ ـ ثم انتقل إلى مكة المكرمة وولى فيها الإفتاء ، وبها توفى سنة ١٠٩٩ هـ .

● الشيخ أحمد بن محمد يونس ـ صفى الدين الدجانى القشاشى ـ أصله من القدس ، كان قد هاجر جده إلى المدينة ، وهو يفتى بالمذهبين المالكى والشافعى ، واشتغل بالتأليف حتى بلغت مؤلفاته نحو السبعين معظمها فى التصوف ومنها : السمط المجيد وشرح الحكم العطائية ، وحاشية على المواهب اللدنية .

● السيد محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد الحسنى البرزنجى : ولد سنة ١٠٤٠ هـ وتعلم بشهرزور ، ثم سافر إلى همذان فبغداد ومصر والشام وهاجر إلى المدينة وقام بالتدريس فيها إلى أن توفى سنة ١١٠٣ هـ . وله مؤلفات منها المطبوع : « الاشاعة فى أشراط الساعة » والمخطوط : أنهار السلسبيل ـ فى شرح تفسير البيضاوى ، والنواقض للروافض ، وشرح ألفية المصطلح ، وحل مشكلات ابن العربى ـ ترجمه عن الفارسية ، وخالص التخليص ـ مختصر لكتاب تلخيص المفتاح » .

● الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن على المدنى : أصله من مصر وبها ولد سنة ١٠٢٧ هـ ، هاجر إلى المدينة شابا وأقام إلى أن توفى سنة ١٠٨٣ هـ إشتغل بالأدب . وله كتاب : « تحفة الأدباء وسلوة الغرباء » .

● الشيخ محمد بن محمود بن صالح بن حسن الطاربزونى المدنى : أصله من تركيا ، هاجر إلى المدينة . أديب لغوى وفقيه حنفى ، كان مدرسا وقيما على الكتب بجامع السليمانية فى استامبول ، توفى بالمدينة سنة ١٢٠٠ هـ وله مؤلفات منها المطبوع : « السنية فى الأحاديث القدسية » والمخطوط : « رسالة فى بيان ما فى الصحاح من الأوهام ـ فى اللغة ، ورسالة فى المثلثات ـ فى اللغة ، ورسالة فى الاضداد ، وتحفة الإخوان فى الحلال والحرام من الحيوان » .

● الشيخ إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهرانى الشهرزورى الكورانى ـ برهان الدين ـ ولد سنة ١٠٢٥ هـ بشهران ـ من أعمال شهرزور بجبال الكرد ، درس الحديث بين مصر والشام ، وجاء إلى الحجاز يتزود العلم وهاجر إلى المدينة سنة ١٠٦٣ هـ حيث استوطن ، وفيها اشتهر إلى أن توفى سنة ١١٠١ هـ وهو عالم ، يجيد الفارسية والتركية ، إشتغل بالتأليف حتى بلغت كتبه أكثر من ثمانين كتابا فى علوم اللغة والدين والأدب ـ ومنها المطبوع . « الأمم لإيقاظ الهمم » ، وإتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف ، ولوامع اللآل فى الأربعين العوال » .

ومن أعلام القرن الثانى عشر :

● الشيخ محمد بن إبراهيم بن حسن ــ أبو العطار المدنى الشافعى ــ عالم . ولد بالمدينة سنة ١٠٨١ هـ وولى فيها إفتاء الشافعية زمنا ، وبها توفى سنة ١١٤٥ هـ وله كتاب « إختصار شرح شواهد الرضى ــ للبغدادى » .

• الشيخ يوسف بن إبراهيم بن محمد ـ أكمل الدين الزهرى الشروانى — ولد بشروان ، ثم هاجر إلى المدينة وبها اشتهر كعالم فقيه ، وتوفى سنة ١١٣٤ هـ ، ومن كتبه : « شرح ملتقى الابحر ـ فقه ، وهدية الصبيح شرح مشكاة المصابيح ـ فقه فى ٣ مجلدات ، ورسائل أخرى » .

• الشيخ إسماعيل بن عبد الله الإسكندرانى الحنفى . عالم ولد سنة ١١١٩ هـ وهاجر إلى المدينة وألف بها كتبه ، وتوفى سنة ١١٨٢ هـ ، ومن كتبه : « مختصر صحيح مسلم ـ فى الحديث ، ومختصر شرح الشفا ـ للشهاب أحمد الخفاجى » .

• الشيخ يوسف بن عبد الكريم الانصارى الحنفى : عالم . . ولد بالمدينة سنة ١١٢١ هـ وبها توفى سنة ١١٧٧ هـ ، من مؤلفاته : منظومة فى المناسك نظم فيها (المنسك الصغير) لرحمة الله السندى .

• الشيخ على بن محمد بن على الزهرى الشروانى المدنى : عالم . . ولد بالمدينة سنة ١١٣٤ هـ ـ وبها توفى سنة ١٢٠٠ هـ ، كان رئيس علماء الحنفية ، ويقول الشعر ـ ومن كتبه : « احاشية على ديباجة الدرر ، هوامش على المختصر » .

• الشيخ جعفر بن محمد باعلوى السقافى : عالم وشاعر . . ولد بالمدينة سنة ١١١٠ هـ وبها توفى سنة ١١٨٢ هـ ، قام برحلات إلى فارس واليمن ، له كتاب مطبوع باسم « مواسم الأدب وآثار العجم والعرب » وله ديوان شعر مخطوط فى ١٠٤ صفحات بدار الكتب المصرية .
ومن شعره فيه :

« تجاوز عن مرام النطق منى ... أرانى ما يطاوعنى اسانى
أخافك أولا إن قلتُ صدقا ... وإن أكذبْ أخاف الله ثانى
فأسكت مطرقا حتى أرجح ... مقالا معك فيه صلاح شانى »

وله فى التوسل بالرسول الأعظم — قوله :

« لى من دمة الجوار مجير ... إن يكن جارى البشير النذير
وبظنى إن أسأت فعالا ... أن حظى من جاهه موفور »

• الشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندى المدنى : عالم ومحدث ، ولد فى السند ، ثم هاجر إلى المدينة . وبها اشتهر وتوفى سنة ١١٦٣ هـ ، وله مؤلفات منها المخطوط : « تحفة المحبين ، وشرح الترغيب والترهيب — المنذرى ، ومقدمة فى العقائد ، وشرح الحكم العطائية » .

• السيد جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجى ـ زين العابدين ـ عالم ، ولد بالمدينة وكان فيها مفتى الشافعية ، وبها توفى سنة ١١٧٧ هـ ، مؤلفات عديدة ، منها المطبوع : « قصة المولد النبوى ، وقصة المعراج » له والمخطوط : « جالية الكرب بأصحاب سيد العجم والعرب ، والبرء العاجل بإجابة الشيخ محمد غافل ، ورسالة فى أسماء البدريين والأحديين » . يعنى شهداء بدر وأحد

• الشيخ محمد بن الطيب محمد بن محمد بن محمد الشرقى الفارسى المالكى : عالم . ولد بفارس سنة ١١١٠ هـ ، ثم هاجر إلى المدينة . وبها توفى سنة ١١٧٠ هـ ، له مؤلفاته منها : « المسلسلات فى الحديث ، وإضاءة

الراموس - وهو حاشية على قاموس الفيروز آبادى ، وفيض نشر الإنشراح - وهو حاشية على كتاب (الاقتراح)للسيوطى - فى النحو ، وموطئة الفصيح لموطأة الفصيح - وهو شرح لنظم (فصيح ثعلب)لابن المرحل، وشرح كفاية المتحفظ ، وشرح كافية ابن مالك ، وشرح شواهد الكشاف » .

• الشيخ محمد بن سليمان الكردى: عالم ولد بدمشق سنة ١١٢٧ هـ وهاجر صغيرا إلى المدينه حيث تلقى العلم واستوطن ، بها توفى سنة ١١٩٤ هـ ، وتولى فيها إفتاء الشافعية ، وله مؤلفات - المطبوع منها : « الفتاوى ، والحواشى المدنية - على شرح ابن حجر - والمقدمة الحضرمية ، والمخطوط منها : « شرح فرائض التحفة ، والفوائد المدنية فيمن يفتى بقوله من أئمة الشافعية ، وفتح الفتاح فى شروط الحج ، وجالية الهم والتوان عن الساعى لقضاء حوائج الإنسان ، وزهر الربا فى بيان أحكام الربا ، والثغر البسام عن معانى الصور التى يزوج فيها الحكام » .

• الشيخ محمد بن عبد الكريم المدنى الشافعى الشهير بالسمان : عالم ولد بالمدينة سنة ١١٣٠ هـ ، وبها نشأ ، وتوفى سنة ١١٨٩ هـ ، وله كتب مخطوطة ، منها : الاستغاثة ، والنفحة القدسية ، ومختصر الطريقة المحمدية ، والفتوحات الالهية فى التوجيهات الروحية » .

• الشيخ عبد الرحمن بن عبد الكريم بن يوسف الأنصارى الخزرجى. مؤرخ المدينة وصاحب القرمية الشهير - ولد سنة ١١٢٤ هـ ، وقد قام برحلات عدة فى طلب العلم إلى المغرب واليمن ومكة ومصر والشام . وكانت له حظوة عند الحكام الاتراك ، وله مؤلفات مخطوطة قيمة ، منها: «تحفة المحبين والأصحاب فى معرفة ما للمدنيين من الأنساب ، وهو كتاب

ترجم فيه لأكثر من ٣٧٠ أسرة من أهل المدينة من معاصريه . . وهذا كتاب نادر إذ وصف فيه المؤلف أحوال المترجم لهم وأنسابهم وأسماء الشوارع والأماكن والبساتين . . وأسرته كانت أسرة كبيرة فى عهده - وتوفى بالمدينة سنة ١١٩٥ هـ .

• السيد أحمد بن علوى بن باحسن باعلوى جمل الليل ، أصل أهله من حضرموت ، عالم وأديب . . ولد بالمدينة سنة ١٢٧٢ هـ وبها توفى سنة ١٣١٦ هـ - وله مؤلفات مخطوطة . وهو جد الأسرة العلوية المعروفة اليوم بآل جمل الليل . . ومن شعره قوله :

« وإذا خشيت من الحوادث ريبها   أو خفت وقع صروفه وضراره
فاقصد إلهك فى المقاصد كلها   وحذار أن تقصد سواه حذاره »

• • •

ومن أعلام القرن الثالث عشر :

• الشيخ عبدالله بن غانم الدراجى الهذالى النجاعى - أصله من الجزائر ولد بها ، وهاجر إلى المدينة ، وهو عالم متصوف وله كتاب « إرشاد أهل الهمم العالية فى الأدعية النبوية » توفى بالمدينة سنة ١٢٩٦ هـ .

• الشيخ يوسف شكرى بن عثمان الخربوتى - رومى الاصل - من كبار علماء الحنفية ، كان مدرسا بالمدرسة المحمودية فى المدينة إلى أن توفى سنة ١٢٩٢ هـ ، وله كتب منها : سلسلة الصفا لمحمد المصطفى صلى

الله عليه وسلم، ورموز التوحيد ، وناموس الايقاظ فى شرح البرهان ـ فى المنطق .

* * *

ومن الأعلام بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر :

• الشيخ عبد الجليل بن عبدالسلام بن عبدالله بن عبد السلام برادة : أديب وشاعر . . ولد بالمدينة سنة ١٢٤٣ هـ ـ وبها تثقف ، ونظم الشعر وهو فى الخامسة عشر من عمره ، ودرّس فى المسجد النبوى فى العشرين من عمره ، ومن أول شعره قوله :

« يطيب لى أن أسهر الليالى   فى طلب العلوم والكمال
على سراج واهى الذبال   حتى أُرى فى العلم كالغزالى
وأستمد الشعر من خيالى   بذاك أضحى فارس المجالى
وقدوة فى فضل الرجال »

وله شعر سياسى كثير ـ ومنه قوله :

« قدر الله أن أعيش غريبا   فى بلاد أساق كرها إليها
وبفكرى مخدرات معان   نزلت آية الحجاب عليها »

وذلك عندما كان مبعدا فى الاستانة على عهد حكومة الاتراك التى أبعدته عن وطنه لتحريضه الشباب عليهم ، ولكنه عاد وتوفى بالمدينة سنة ١٣٢٦ هـ ـ وقد كان أستاذا لبعض العلماء ممن جاؤا بعده . .

• الشيخ محمد فالح بن محمد بن عبد الله بن فالح أبو النجاح المهنوى الظاهرى . . عالم ومحدث من أهل المدينة ، ولد سنة ١٢٥٨ هـ وهو ينسب إلى قبيلة (مهنا) من عرب الظواهر بالحجاز ، وله مؤلفات مطبوعة منها : صحائف العامل بالشرع الكامل ـ فى الفقه ، والمنهل العذب فى تاريخ طرابلس الغرب ، وحسن الوفا لاخوان الضفا ، وأنجح المساعى فى الجمع بين صفتى السامع والداعى ، وقد توفى بالمدينة سنة ١٣٢٨ هـ ، وهو من أجداد الدكتور محمد الظواهرى ، الطبيب المصرى المعروف الآن والمختص فى الامراض الجلدية .

• الشيخ أحمد بن إبراهيم بن منصور عباس الصديقى : أديب وعالم ولد بالمدينة سنة ١٢٦٥ هـ ، وبها توفى سنة ١٣٣٧ هـ قام برحلة إلى مصر وتزود من جامعة الازهر ، وكان يدرس العلوم الدينية والادبية فى المسجد النبوى ، وله بستان فى قباء فكان ديوانه يعتبر ناديا للادب والعلم ، يقول الشعر فى الفخر والحماسة والمديح ، وله من قصيدة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ـ

« ياصاح إن وافيت طيبة والحرم   حرم المدينة من به خير الامم
صل بروضتها الشريفة واتجه   لله فى ذاك المقام المزدحم
هذى المدينة وهى أكرم موطن   نزل الرسول فقوبل بالكرم
فدعا لها فى مدّها وصاعها   وبرفع ضر من وباء أو حمم »

• الشيخ محمد على بن ظاهر الوترى الحسنى المدنى ـ نور الدين أبو

الحسن – ولد بالمدينة سنة ١٢٦١هـ وبها توفى سنة ١٣٢٢ هـ قام مرتين برحلة إلى المغرب ، فأقبل عليه الناس يتزودون من علمه ، وهو ممن انتعش بهم فن رواية الحديث فى المشرق والمغرب ، وله كتب مخطوطة منها ٥٠ حديثا مسلسلا مسماة التحفة المدنية فى المسلسلات الوترية ورسالة فى الكلام على قول الغزالى : (ليس فى الامكان أبدع مما كان ، ورسالة فى (الأوائل) مجموعة بها أوائل أربعين كتابا من كتب الحديث .

● الشيخ عثمان بن عبد السلام بن أبى بكر الداغستانى ولد سنة ١٢٦٩ أديب وعالم ، درس على والده علوم الدين وأخذ الفقه والتفسير عن الشيخ عبد الله المجددى الدهلوى وتحصل أيضا من الدراسة على الشيخ عبد القادر الطرابلسى والشيخ حبيب الرحمن الكاظمى ، وكان مفتيا للحنفية خمسة عشر عاما ، وهذه الفتاوى عنى بها إبنه الشيخ محمد وجمعها فى مجلدين لديه الان ، ومن مؤلفاته المخطوطة أيضا : سر الحرف - وهو كتاب قيم فى هذا الفن البديع ، وفى حياته كان يعنى بمكتبة آبائه ومؤلفاتهم ، وتعد مكتبة الداغستانى فى المدينة حاليا من كبار المكتبات الخاصة تضم مؤلفات أسرة واحدة ، وكان يقوم بالإمامة بالمسجد النبوى الى جانب رفاقه من العلماء الاجلاء بالمدينة كالشيخ إبراهيم الاسكوبى الشاعر والشيخ مأمون برى والشيخ يحي دفتردار والشيخ عارف برى .. وغيرهم ، وقد توفى بالمدينة سنة ١٣٢٥ هـ .

● السيد أنور بن مصطفى بن عمر عشق - جده السيد عمر : عالم كبير .. يسمى صاحب النطاق الذهبي ، وقد هاجر إلى مكة سنة ١١٠٠ ثم الى

المدينة سنة ١١٥٠ هـ ، أديب وشاعر ، ولد بالمدينة سنة ١٢٦٤ هـ ، وكان له ناد يجتمع فيه الادباء والأعيان من أصدقائه ببستانه قرب ثنية الوداع ، وهو من أجمل البساتين - حتى لقد أغراه بعض الاثرياء لابتياعه ، ولكنه ضن به إعتزازا ، وقال مضمنا إسمه :

« وروضة مارضيت عنها ... بملك كسرى ولا بقيصر
فكيف وهى المنى وعشق ... بها زهر الربيع أنور »

وله شعر غزل رقيق .. وفى الفخر والسياسة ، وكانت وظيفته محتسبا للمدينة سنة ١٣٠٣ هـ لحفظ الأمن ومراقبة الاسواق ، ثم رئيسا للبلدية فى أواخر عهد الاتراك ، وقد تجرأ ومنع الشريف عون بن حسين أن يخرج الأرزاق من المدينة . فهدده هذا ، فما كان منه إلا أن استقال وسافر بأهله إلى دمشق حتى توفى بها سنة ١٣٣٦ هـ .

● الشيخ ابراهيم بن حسن بن حسين بن رجب الأسكوبى : شاعر وطنى ، أصله من أسكوب بألبانيا ، ولد بالمدينة سنة ١٢٦٤ هـ وقام برحلات عدة وأقام مدة بمكة حيث كان جليس أميرها الشريف عون الرفيق وأحد شعرائه ، وكان يجيد اللغات التركية والأردية والفارسية ، وله قصائد سياسية أزجى بها النصح الدولة العثمانية ، فسجن بسببها فى بلاد الغربة وتوفى سنة ١٣٣١ هـ .

ومن الأعلام فى هذه الفترة أيضا : - خطيب المدينة الشيخ عمر زاهد الذى أنشأ بستان الزاهدية المعروف الى اليوم ، والشيخ عبد القادر شلبى العالم الذى كان وزيرا المعارف فى عهد حكومة الاشراف ، والشيخ العمرى العالم والاديب ، والشيخ عمر برى الاديب والعالم والشاعر

الذى خلف ديوانا مخطوطا ضخما من الشعر .

وغيرهم : وغيرهم عليهم رحمة الله ورضوانه . .

* * *

ومن الأعلام فى القرن الرابع عشر : —

* محمد الطيب بن اسماعيل بن الزبير بن محمد الانصارى الخزرجى ينسب إلى الخزرج من الأنصار ، عالم – ولد بالمغرب سنة ١٢٩٦ هـ وهاجر الى المدينه سنة ١٣٢٥ هـ ، وكان يدرس بالمسجد النبوى وفى مدرسة العلوم الشرعية ، وله مؤلفات منها : « الدرة الثمينة — نظم به شذور الذهب فى النحو ، والبراهين الموضحات فى نظم كشف الشبهات فى التوحيد ، والسراج الوهاج فى إختصار صحيح مسلم بن الحجاج ، وتحبير التحرير فى اختصار تفسير الامام ابن جرير » . ويروى ان أحد جدوده القدامى نزح من المدينة إلى المغرب ، وتوفى سنة ١٣٦٣ هـ وقد حضرت أنا بعض دروسه فى المسجد النبوى قبيل وفاته بعامين . .

* حمزة بن على بن محمود ملا السندى — ينحدر نسبه من الشيخ محمد حياة الذى ذكرناه فى أعلام القرن الثانى عشر ، ولد سنة ١٢٩٥ هـ وكان يقول الشعر فى مختلف أغراضه ، فهو شاعر وعالم متصوف ، وله ديوان شعر – يقال أنه مفقود – ومعظمه فى مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن شعره هذا الحداء لركب حجاج أهل المدينة – كما هى العادة قديما – يحجون جماعات جماعات برآسة شيخ يؤمهم : –

« إلهى سهِّل الدربَ لنا   قصدنا البيت الحرام

لاتخيب ظننا وردّنا   للنبى خير الأنام »

وعند دخولهم مكة – نظم هذا الحداء :.

« جيران طه المصطفى قد أقبلوا   قصدوا إنجاز المرام

لحماكم سادتى قد يمموا   أهل زمزم والمقام »

وقال عند العودة إلى المدينة :

« أشرقت أنوار طه المصطفى   وبدا باب السلام

وتجلت قبة الهادى لنا   بين طيات الغمام »

وقد توفى سنة ١٣٤٤ هـ ، ووالده من أثرياء المدينة على عهد الدولة التركية ، وكان يدير بيت المال والأوقاف والخزينة ، كما كان أخوه إبراهيم ثريا أنفق من الخيرات الكثير وأعتق عشرين رقبة من الرقيق وعمر مائة عام – وتوفى سنة ١٣٦٣ هـ . . .

* — السيد محمد زكى برزنجى – عالم. ولد بالمدينة سنة ١٢٩٢ هـ حفظ القرآن فى العاشرة من عمره ، كان مفتى الشافعية فى عهد حكومة الاشراف ثم أصبح قاضيا للمستعجلة فى عهدنا ثم قاضيا للمحكمة الشرعية ثم رئيسا للمحكمة الكبرى بمكة سنة ١٣٥٧ هـ وبها توفى سنة ١٣٦٥ هـ وهو سليل أسرة كلها من العلماء فى المدينة المطهرة . .

* — الشيخ محمد الخضر بن مايابى الجكنى الشنقيطى – ولد بشنقيط ثم هاجر الى المدينة وتولى بها إفتاء المالكية ، وله مؤلفات – منها :

مشتهى الخارف الجانى فى رد زلقات التيجانى » ـ وتوفى بالمدينة سنة ١٣٥٣ هـ . .

● الشيخ حميدة بن الطيب بن علال : ولد بالجزائر ـ وطنه ـ ثم هاجر شابا الى المدينة فرارا من الاستعمار الغاشم حيث كان يحرض المواطنين لمقاومة الطغيان الفرنسى ، وهو محدث وعالم ـ ومن سلالة الشهيد الحسن بن على رضى الله عنهما ، يقول الشعر ، وقد حفظ القرآن والموطأ وشعر كثير من أدباء العرب ، وله مؤلفات منها : « الثمر الدانى فى التوجيه الربانى ـ فى القصيدة السلفيه ، والمسالك الى ألفية ابن مالك ؛ وآراء فى أحوال أهالى طيبة ودمشق الفيحاء ، والإثارة فى بلدة المختار ، والتمكين فى الوصول لطريق سيد المرسلين » ، توفى بالمدينة سنة ١٣٦٢ هـ

● السيد جعفر هاشم المدنى : أديب وعالم ، ولد ونشأ وتوفى بالمدينة سنة ١٣٤٢ هـ ، وله مؤلفات منها : كتابه « تاريخ المدينة » موجود لدى أسرته الشهيرة فى المدينة بأسرة ـ هاشم .

● عمى السيد ـ عبد القادر بن عثمان بن على بن محمود حافظ . .
ولد بالمدينة المنورة سنة ١٢٩٩ هـ . . إنسان . إنسان ، أو « السوبرمان » ، كما يسمون الشخص المثالى . . رجل دين وأمانة وخلق وفضل ، حياته المتصوفة لم تعرف إلا عمله المعيشى وبيته وأولاده والمسجد النبوى الشريف حيث يؤدى أكثر الصلوات ، فى مطلع شبابه تزوج بفاطمة ابنة الشيخ محمد السعيدى من علماء الجزائر المهاجرين إلى المدينة ، وهى أخت المشائخ محمد الصادق ومحمد الصغير وأحمد صادق ـ معاون مأمور بيت

المال بالمدينة حاليا . . وقد خلف عمى منها من البنين أربعة أولادهم :
أبو السعود ـ وقد توفى صغيرا الى رحمة ربه ـ والسادة على وعثمان وخالد . وبعد وفاة زوجه فاطمة هذه ، تزوج بوالدتى السيدة « ملكة جليدان » ابنة المرحوم الشيخ ابراهيم جليدان ، وخلف منها أخواتى لأمى : زهير وسعود وثريا وبلقيس : (١) .

فى أثناء الحرب العالمية الأولى ـ والحكومة التركية ترحل الناس عن المدينة ، رحل عمى بأسرته إلى دمشق وتولى فيها أمانة الصندوق الذى يوزع المخصصات على أهل الحجاز فى الشام ، وقد عرفت عنه الأمانة والحرص على أموال الناس ، وهذه حادثة طريفة نرويها عن ذلك : إذ أنه ذهب إلى السوق لصرف آلاف من الجنيهات عند أحد اليهود فى الشام ، ولما عاد بالمبلغ المصروف إلى الدار وقام بتعداده وجده زائداً بمبلغ ٤٠٠ جنيه ، فكرر التعداد مستعيناً بذوى قرباه ـ حتى تأكد من صحة هذه الزيادة ، فذهب بها إلى اليهودى وأعادها إليه .

وعمى ـ السيد عبد القادر ، شديد التقوى مع طيبة النفس ورقة القلب والخوف من ربه ، والإخلاص فى تعامله مع الناس الذين كان يؤتمن على حقوقهم ، وكان يوزع إنتاج بساتين المدينة واشتهرت عنه هذه الأمانة .

وقد خلفه أخى السيد زهير ـ وقام بعبء الأسرة بعده ، وقد تزوج

(١) تزوجت ثريا بالأستاذ عبد القادر البكرى ـ من أهل المدينة ، وزميل الدراسة الأولى لنا ـ والموظف حاليا بوزارة الخارجية فى جدة . وتزوجت بلقيس مؤخرا بالأخ إبراهيم كردى ـ من أهل المدينة أيضا والموظف الآن بمكتب الخطوط السعودية بالمدينة . أما أخونا سعود فيواصل دراسته فى نجاح متصل .

في حياته - من إبنة خالتي زوج الشيخ عبد الرحمن أركوبي من علماء وأفاضل أهل المدينة اليوم..

وكثيراً ما كنا نجلس لعمي نستمتع بمواعظه وطرائف رواياته التاريخية وحديثه عن أخيه : والدي المرحوم السيد هاشم الذي كان يرتل القرآن كله غيباً ويحفظ الكثير من الأحاديث الشريفة وأوراد التصوف (١) .

وقد توفي عمي لرحمة ربه في ٩ رمضان سنة ١٣٧١ هـ إثر عملية جراحية لاستئصال البروستاتا . . ونشرت جريدة المدينة يومها كلمات وقصائد الرثاء بأقلام الأساتذة : محمد حسن زيدان وعلي عامر وحسن صيرفي وكاتب هذه السطور وأبناء الفقيد - عليه الرحمة والغفران .

(١) من بني العمومة السيد عبد الكريم حسن حافظ - عالم يبشر بالدين في الهند منذ ربع قرن ، وقد عاد للمدينة بأسرته مع أخيه السيد رضا - ولكنه يواصل سفره ودعوته للهند . . وكان أخوه السيد عبدالله حافظ من أفاضل الرجال ، وقد توفي - ومن أبنائه السيد فؤاد حافظ الذي تزوج من ابنة - أختي الكبرى لأمي - وموظف حاليا بالاذاعة السعودية .

من الأعلام المعاصرين

في بحر القرن الرابع عشر الهجري

يحفل عصرنا اليوم بعدد كبير من ذوي العلم والمعرفة والأدب — في هذه البلدة المقدسة « المدينة المنورة ».. وقد إزداد الوعي وتنوعت فنون الثقافة وسبل التعليم .

ونحن هنا عندما نترجم لبعض هؤلاء الأعلام الأفاضل إنما نقدم أمثلة ولا نعني الحصر . . كما أننا أيضاً نأسف على أن تظهر هنا أسماء بعض الزملاء الكرام مجردة دون تراجم لهم . . وذلك لأنهم تخلفوا عن موافاتنا بما طلبناه منهم من معلومات عن أنفسهم ، تساعدنا على ما قصدنا . ولذا يتضح أن التقصير كان منهم وليس منا .

ولنبدأ . . . .

• الشيخ السيد أحمد ياسين الخياري : ولد بالمدينة سنة ١٣٢١ هـ وبها نشأ وأخذ تعاليمه الأولى .. ثم رحل إلى مصر لاستكمال دراسته بالجامع الأزهر — حيث حصل على الشهادة العلمية سنة ١٣٤٤ هـ — وعاد للوطن ، وضم إسمه إلى قائمة علماء المسجد النبوي ، وأصبح معلما بمدرسة النجاح ، ثم مديراً لمكتبة المسجد النبوي والمكتبة المحمودية ، وكان عضواً في أكثر من مصلحة للاستفادة من خبراته وأفكاره ، وأخيراً

فهو الآن يدير مدرسة القراءات لتحفيظ القرآن وتجويده ، ويعد من كبار الفضلاء ، وهو كثير الاطلاع واسع الثقافة ، وله مؤلفات مخطوطة معظمها فى فنون القراءات السبع والعشر وكتاب فى تاريخ المدينة المنورة ..

* السيد على حافظ والسيد عثمان حافظ : الشقيقان المثاليان فى الأخوة والتفانى لبعضهما البعض .. وهما إبنا عمى — السيد عبد القادر الذى نشأت فى كنفه ..

وتنحدر أسرتنا : (آل حافظ) .. من سلالة السيدة فاطمه الزهراء رضى الله عنها — إبنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكان جدنا — قبل نحو قرنين — سافر إلى تركيا وأقام بها ثم عاد أحفاده إلى المدينة .

ولد السيد على سنة ١٣٢١ هـ والسيد عثمان سنة ١٣٢٢ هـ وفى المدينة تلقيا التعليم الأولى التحضيرى والابتدائى .. ولم يكن بالمدينة غير ذلك ، فاستكملا الدراسة لدى الشيخ عبد القادر شلبي وعلى بعض علماء المسجد النبوى ، وحصلا على شهادة بالتدريس سنة ١٣٥٢ هـ وكانا فى أواخر عام ١٣٤٩ هـ قد اشتريا مطبعة طيبة الفيحاء ، وجعلا اسمها (مطبعة طيبة ومكتبتها) حيث كونا لها مكتبة حديثة .

وقد بدأ السيد عثمان عمله فى إستيراد الكتب والمجلات وأدوات الكتابة من الخارج — بعد أن كان موظفاً بهيئة الأمر بالمعروف ثم فى التدريس لمدة قصيرة ، بينما السيد على بدأ موظفاً بالمحكمة

الشرعية ، وقد غدا رئيساً لكتابها ، وفى عام ١٣٥٥ هـ أحضرا مطبعة كبيرة بمعداتها ولوازمها من مصر ، واستصدرا أمراً لإخراج أول صحيفة فى البلد الطاهر — فصدرت باسم (المدينة المنورة) .. فى محرم عام ١٣٥٦ هـ أسبوعية — ولا زالت تصدر إلى اليوم ، ولكن مرتين فى الأسبوع ، وقد أسسا « مدرسة الصحراء الخيرية » فى المسيجيد سنة ١٣٦٥ هـ لتعليم أبناء البادية ، وكانت أول مدرسة تؤسس فى الصحراء ، وبعدها أنشأت الحكومة بعض المدارس ، وقد رأس تحرير الجريدة السيد على ، ويديرها السيد عثمان ، وقاما بعدة رحلات إستطلاعية وصحفية إلى بلدان المملكة والبلدان الخارجية ، واشتركا فى كثير من المؤتمرات الصحفية ، وكما يغلب الأسلوب الأدبى على كتابة السيد على — وهو شاعر أيضاً — كذلك يغلب الأسلوب الصحفى على كتابة أخيه السيد عثمان ، وقد عين هذا مديراً للجنة شئون الحج بالمدينة إلى الآن . أما السيد على فبعد أن عمل مديراً لفرع وزارة الزراعة بالمدينة أحيل للتقاعد بطلبه ليتفرغ للجريدة وأعمالها(١) ..
وللشقيقين شقيق ثالث هو السيد خالد : تقلب فى عدة وظائف وهو مدير لمطبعة جريدة المدينة — منذ إنشائها . ومتزوج من أختى لأمى . كذلك كان السيد عثمان متزوجا من أختى لأبى - وقد توفيت وخلفت له ولداً(٢) ، فتزوج من إبنة لخالى عبد الفتاح ، أما السيد على - فزوجه إبنة المرحوم الشيخ زاهد — من كبار أفاضل المدينة ، وللأشقاء الثلاثة الآن بنين وبنات ، فيهم الكبار ، ومنهم المتزوجون والخالفون أيضاً .

(١) أنتخب رئيسا لبلدية المدينة فى محرم ١٣٨١ هـ .
(٢) هو : مأمون — تزوج من ابنة السيد رضا حافظ — من بنى العمومة .

• الأستاذ عبد القدوس الأنصارى : ولد وتثقف بالمدينة ، وهو صاحب مجلة « المنهل » . أديب بحاثة : وله عدة مؤلفات طبع منها : آثار المدينة المنورة ، ورجالات الحجاز ـ الحلقة الأولى ، وغيرهما . ـ كان قد إنتقل (بالمنهل) إلى مكة فأقام بها حيث عمله الوظيفى بالحكومة .

• الشيخ محمد بن محمد سعيد بن يحى دفتردار :

ولد سنة ١٣٢٢ هـ بالمدينة وتلقى التعليم الأول ، وقد سافر إلى دمشق وبيروت بقصد التعليم ، ثم التحق بالجامع الأزهر بمصر سنة ١٣٤٨ هـ وأكمل دراسته وتخرج عام ١٣٥٩ هـ بالشهادة العالية وقد درس فى كليتى اللغة العربية والشريعة وتخرج سنة ١٣٦١ هـ بتخصص التدريس ، وعاد للوطن بعد عام ـ حيث تعين مديراً للمدرسة الثانوية ومعتمدية المعارف ، وقد امتهن الأدب منذ صغره ينظم الشعر ويكتب كثيراً ، وقد طلب إعفاءه من إدارة المدرسة ليعمل مدرساً سنة ١٣٧٤ هـ ، وله مؤلفات عديدة أهمها : « تاريخ الأدب والبلاغة » وكتابه الضخم عن أعلام المدينة المنورة ... وقد نشرت حلقات منه فى جريدة المدينة المنورة ومجلة (المنهل) ـ ولا زالت تنشر .

• الشيخ عبد الحق النقشبندى : ولد سنة ١٣٢٢ هـ بالمدينة ، كان قد هاجر جده إلى مكة ، ثم هاجر والده إلى المدينة ، وبها إستقر المقام بالأسرة ، وتلقى فيها تعليمه الابتدائى ثم رحل إلى الهند يستكمل دراسته وعاد إلى المدينة سنة ١٣٤٥ هـ حيث عمل مدرساً بمدرسة العلوم الشرعية ، ثم بالمدرسة الابتدائية السعودية ، واشترك مع السيد أحمد الفيض أبادى ،

فى تأسيس (مطبعة طيبة الفيحاء) التى اشتراها فيما بعد السيدان على وعثمان حافظ ، ثم عمل محامياً المالية ونجح فى مهمته ، ولكنه طلب التقاعد ، وهو يقول الشعر وذواقة الأدب منذ شبابه .

• السيد أحمد العربى ـ من مواليد المدينة المنورة : أديب وشاعر ـ تنقل فى وظائف عدة بالدولة . وهو الآن مدير الأوقاف "عامة بمكة المكرمة.

• السيد عبيد مدنى : ولد بالمدينة سنة ١٣٢٤ هـ ، أديب وشاعر . شغل عدة مناصب فى الحكومة ، ثم طلب التقاعد .

• السيد أمين مدنى : ـ من مواليد المدينة أيضاً وهو شقيق السيد عبيد . . أديب ـ كان قد رأس البلدية سنة ١٣٧٥ هـ . وهو الآن فى التقاعد .

• السيد أسعد طرابزونى : إشتغل بعض الوقت بالأدب ، وقد حقق بعض الكتب التاريخية المتعلقة بالمدينة ونشرت منذ سنوات ، وهو الآن مدير إدارة الجوازات .

* * *

وهؤلاء من إخواننا أدباء الشباب فى المدينة ، حيث ولدوا ونشأوا وتثقفوا ـ ومعظمهم مقيم بها : ـ

• الأستاذ عبد الرحمن رفه : أديب وشاعر ، له ديوان مخطوط ، وبعد أن كان فى عمله الحر منذ سنوات قريبة ، دخل سلك الوظيفة الحكومية ، ويرأس مكتب قلم المطبوعات والرقابة بالمدينة حالياً ، وهو معروف بوطنيته وتغنيه بها وبالوطن الحبيب المدينة المنورة .

• الأستاذ حسن مصطفى صيرفى ـ شاعر وزجال ، يعد الآن ديوانه الأول للطبع باسم «كبرياء ودموع» .

• الأستاذ السيد محمد هاشم رشيد الغزى ـ شاعر مجيد ، صدر له أول دواوينه «وراء السراب» سنة ١٣٧٣ هـ .

• الأستاذ السيد ماجد أسعد الحسينى ـ شاعر ، صدر له ديوان باسم «حيرة» ، وله ديوان آخر ، وموظف الآن فى مكة .

• الأستاذ محمد عالم الأفغانى — أديب قصاص ، صدرت له عدة مجموعات قصصية خلال العشر سنوات الماضية .

• الأستاذ عبد العزيز الربيع — جامعى وأديب ، وهو الآن مدير التعليم بمنطقة المدينة .

ومن ولد أيضاً ونشأ وتثقف بالمدينة ثم اضطرته ظروف الحياة للاقامة خارجها هؤلاء الأدباء :

الأستاذ محمد حسين زيدان — وهو الآن رئيس تحرير جريدة «البلاد» التى تصدر فى جدة ..

الأستاذ محمد عمر توفيق ، الأستاذ السيد على عامر ، الأستاذ عبد الحميد عنبر ، الأستاذ محمد العامر الرميح ، السيد أحمد عبيد ، الأستاذ يسين طه .. وسواهم .

ولا يفوتنا هنا أن نأتى بأسماء بعض رفقاء لنا اليوم فى الميدان الأدبى من حوالنا فى الحجاز أو فى باقى أجزاء المملكة :

أدباء وشعراء وعلماء يكونون معنا رمز النهضة الفكرية فى هذا الجزء الهام من العالم :

الأساتذة : أحمد إبراهيم الغزاوى ، ضياء الدين رجب ، عزيز ضيا ، عبد الله عمر بلخير ، حسين عرب ، عبد الله عريف ، علوى مالكى ، محمد أمين كتبى ، محمد حسن عواد ، فؤاد شاكر ، أحمد السباعى ، أحمد قنديل ، محمد شطا ، صالح شطا ، فؤاد الخطيب ، محمد سعيد باعشن ، شكيب الأموى . عبد الفتاح أبو مدين ، محمد زيدان ، إبراهيم هاشم فلالى ، حمد الجاسر ، عبد الله عبد الجبار ، أحمد محمد جمال ، صالح محمد جمال ، سيف الدين عاشور ، حسن عبد الله قرشى ، محمد سعيد العامودى ، حسن عبد الحى قزاز ، محمود عارف ، محمد عبد الله مليبارى ، عبد العزيز الرفاعى ، على حسن غسال ، عبد الغنى قستى ، عبد العزيز أحمد ساب ، حمزة شحاته ، طاهر زمخشرى ، سعد البواردى ، محمد على السنوسى ، عبد الله أحمد شباط ، أمين سالم الرويحى ، عبد السلام الساسى ، محمد أمين يحيى ، عبد الله الحصين ، حسين سرحان ، محمد أحمد باشميل ، أحمد عبد الغفور عطار ، هاشم على نحاس ، محمد أحمد فقى ، عبد العزيز مؤمنه ، عبد الله بن خميس ، عبد الكريم بن جهيمان ، محمد السليمان الشبل ، محمد حسن كتبى ، عبد الله خياط ، ثانى المنصور ، محمد على قطب ، أحمد على ، إبراهيم أمين فودة ، عبد الله جفرى ، محمود عبد الوهاب ، ناصر قاسم ، سعيد آدم ، عبد الوهاب آشى ، عمر عبد الجبار ، عبد الحميد الخطيب ، خالد الفرج ، عبد الله إدريس ، عبد الرحمن العبيد ، صالح العثيمين ،

محمد عمر عرب ، أحمد زكى يمانى ، محمد سعيد عبد المقصود ، عبد الله الفاطى ، سليمان قاضى ، محمد على مغربى ، أحمد عبد الله الفاسى ، إبراهيم العلاف ، عبدالله احمد الدارى .. وغيرهم .. وغيرهم .

• • •

وأخيراً هذه سطور من حياة المؤلف لهذا الكتاب :

« عبد السلام بن هاشم بن عثمان بن على بن محمود حافظ ..

ولد بالمدينة المنورة — الوطن — مع أذان العشاء ليوم الاثنين السابع من جمادى الآخرة سنة ١٣٤٧ هـ الموافقة لشهر ديسمبر من عام ١٩٢٩ م وكانت ليلة شاتية لعلها حفرت بزمهريرها فى أعصابى ما جعل فى جسمى الاستعداد لإصابتى بالروماتيزم فى سن مبكرة وأنا فتى وأظل أعانى به طيلة عمرى ..

توفى والدى السيد هاشم إلى رحمة الله فى أوائل سنة ١٣٤٨ هـ وأنا بعد لم أستكمل عامى الأول ، وهو بعد فى العقد الخامس من عمره ، وكان قد تزوج مرات ثلاثة ، الأولى من بيروت ولها نسب فى تركيا وكان هو يتنقل فيما بين الحجاز وأضنة بتركيا — فى رحلتين كل عام حيث يبيع ما ينقله من الحاجيات منهما وإليهما ، وقد يأتى من هناك ببدل حج يقوم بأدائه لمن يوكلونه به ، وهو فى ورعه وتقواه مضرب الأمثال كما حدثنى عمى رحمه الله — وهو متصوف بحفظ القرآن عن ظهر قلب كما يحفظ الكثير من الأحزاب والدعاء والصلوات لمشائخ الصوفية .. وما كان بحريص ليجمع مالا أو عقاراً .. وخلف من زوجته تلك إخوانى السادة : أحمد وعلوى وأمينة ، وأراد نقلهم

إلى المدينة ، فرفضت زوجته لتشبثها بأهلها هناك ، فاضطر الزواج بالمدينة من أخت الشيخ عليم سنبل وتوفيت ، ثم بوالدتى فى منتصف سنة ١٣٤٦ هـ وكانت هى قد توفى عنها زوجها الأول الشيخ حمزة رشيدى مخلفاً لها بنتاً — هى اليوم زوجة إبن عمى السيد خالد حافظ — ولقد جاء والدى بابنه (أحمد) وابنته (أمينة) إلى المدينة وبقى (علوى) عند والدته فى بيروت (١) ...

ووالدتى السيدة ملكة إبنة الشيخ ابراهيم جليدان الذى كان له فى عصره مكانة اجتماعية مرموقة — كما لأبنائه اليوم فى المدينة .

بعد وفاة والدى بقيت وأمى وأختى لأبى ، فى منزل أحد الأخوال — وهو الشيخ يوسف جليدان — وأرضعتنى زوجته كثيراً ، بينما بقيت أختى لأمى فى كفالة عمها الشيخ محمد رشيدى الفقيه والفلكى المعروف فى المدينة ، رحمة الله عليه — وقد سبق أن توفيت زوجة عمى السيد عبد القادر — فما لبث أن تزوج بوالدتى وكفلنى وأنا فى نحو الرابعة .. وفى ذلك الحين أصبت بحمى . فاستدعى محمد خاشقجى (٢) وكان فيما أعتقد تمرجيا يتعلم الطب فى أجسام الناس فى عهد لم تكن لدينا فيه الوسائل الطبية متوفرة ، فأعطانى حقنة فى العضل الأيمن ثم بالعضل الأيسر ، ولما أصبحت فى اليوم الثالث كان النصف السفلى لا يتحرك .. أليست هذه جناية ومأساة ؟ .. ولكنهم اعتبروها قضاء محتوما

(١) انتقل أخى علوى إلى العراق ثم إلى أضنة بتركيا وأقام بزوجه التى خلف منها ثلاثة أبناء .

(٢) أصبح فيما بعد مستشارا لوزارة الصحة ثم مديراً لاحدى الشركات بالمملكة .

على الطفل فى غير لوم أو محاكمة لمن تسبب فى ذلك ، وكانت علاجاته بدائية : من تدليك ودهانات وكىّ - كرروه على وأنا فى سن الثانية عشرة أيضا . . وكان قد لطف بى ، وحمدته والدتى كثيرا على نجاتى ، وقد بقى أثر بين من ذلك ، — هو ضعف فى عضلات الساقين وقصر بسيط فى اليسرى .

فى السادسة من عمرى أى سنة ١٣٥٣ هـ — أدخلت (الكتّاب) وكان مجاورا لمسكننا — حيث حفظت نحو نصف القرآن ، ومنه انتقلت سنة ١٣٥٥ إلى المدرسة التحضيرية وفى سنة ١٣٥٨ هـ كان النجاح إلى المدرسة الناصرية الابتدائية ، حيث درسنا بنظام (١) الابتدائى القديم ، أربع سنوات ، تلقينا فيها دروس اللغة الانجليزية أيضا .. ونلت الشهادة الابتدائية العالية سنة ١٣٦١ هـ بتفوق(٢) ، وفى هذه السنة تعرضت لأزمات الخفقان الشديد فى القلب ثم إلى آلام فى المفاصل الأمر الذى حال دون مواصلتى للدراسة الجامعية ، وكنت تحت تجارب الأطباء الذين قالوا فيما بعد بأن الروماتيزم وجد القلب ضعيفاً فاستقر فيه ،ورحت أرضى هواياتى فى المطالعة والبحث ، ومن يومها وأنا فى شبه عزلة للدراسة والتحصيل ، وترددت على بعض علماء المسجد النبوى آخذاً منهم وأسأل عما يشكل علىّ فى قراءاتى . كما لازمت بعض الوقت التردد على (الكتبخانة) — مكتبة عارف حكمت — باحثا ودارسا لفنون الأدب فى أصوله ومراجعه الكبرى ، وما كان يعنينى شئ فى أمور

(١) يعادل هذا النظام السابق دراسة النظام الثانوى فى أيامنا هذه وكانت السنة التى تخرجنا فيها هى السنة التى انتهى فيها ذلك النظام القوى للتعليم .

(٢) من زملائنا فى التخرج - آنذاك - الأساتذة حمزة عابد وأحمد ملا وعبد الله الصهيل وعلى الشاعر . وسواهم ممن واصلوا الدراسات الجامعية واختار كل منهم اتجاهه فى الحياة وأصبح يشغر مركزا فى الدولة .

الحياة المعيشية ، إذ كان عمى — رحمه الله — موفرا لى وسائل الراحة التامة ، بل وينصحنى أن لا أفكر بالاشتغال فى شىء ، وأن أنصرف إلى قراءاتى ودراستى - إذ ربما يكون لى بها شأن فى المستقبل .. وكان مخصصا لى بضعة قروش يوميا ، فأقتصدها وأشترى بها ما يستهوينى من الكتب الأدبية قديمها وحديثها فى الشعر والقصة والبحوث المختلفة ..

وهكذا كان قد تهيأ لى الجو المناسب للدراسة ، وإن كانت أزمات القلب تعاودنى بين كل فترة وأخرى ، ولقد تأثرت كثيرا بحياة عمى المتصوفة ، ونشأت فى ظل تقاليدنا الشرقية السامية ، وأنا قوى الإيمان أحرص ما أكون على مقوماتنا الروحية فى الأخلاق الفاضلة وفى المثل العليا التى نبعت من هذه البــلاد المطهرة ، وما أحرانا بأن نقدسها ونحرص عليها ونشيعها وندعو لها فى كل وقت ومكان .

فى أوائل عا ١٣٦٢ أردت أن أسلك فى ميدان الوظيفة ، وبقيت أعمل سكرتيرا لمعتمدية المعارف عاما كاملا بدون أجر ، إذ كان ينتظر الموافقة على هذه الوظيفة إعتبارا من الشهر الذى عملت فيه .. وطـال الانتظار ، وتركتها بصدمة نفسية للوظائف .

فى ربيع عام ١٣٦٣ رفرف القلب فى هيكل حب حالم لطفلة لم تكن قد جاوزت الثامنة إلا قليلا ، فاستمد اليراع إلهامه ، والفكر خواطره ، وظل هذا الحب البرىء بين وهم وأحلام وأمانى — سبع سنوات ، سجلتها فى مذكرات كتابى (الحب القدسى) . . هذا عدا ديوانين : من الشعر ، ولكن أثر تلك العاطفة لا تنفك تصاحب الخيال كلما مرت

بى التجارب فى الهــــوى العفيف وفى الغزل والنجوى ، وقد اتجهت الى الشعر القومى منذ أكثر من عشر سنوات ..

وماكان شيء ما ليثنني عمـا أنا منصرف إليه فى دراسة الأدب بعمق ، سواء فى متونه القديمة وفى ألوان الثقافة الحية وفى المذاهب الأدبية الحديثة التى تأثرنا بها وما رسناها ، فكما درست المعرى والمتنبى وابن الرومى وسواهم، كذلك درست جبران ومصطفى الرافعى وطاغور والشابى وعمر بن أبى ربيعة وغيرهم. فإن ماكان هواية واستطلاعا ، أصبح رسالة ومسئولية . وهـكذا فان كل حلقات أيامى بين الاطلاع والتثقيف والتركيز والانتاج . . حركة فكرية دائبة فى كل وقت . . فى السفر والحضر . . ألم أقل إنها رسالة ومسئولية ؟ ..

فى منتصف عام ١٣٦٩ قمت بأول رحلة خارج مسقط رأسى المدينة، حيث قمت باتصالات ببعض المسئولين فى الحكومة فى مكة وجدة ؛ وسافرت إلى مصر لمـــدة شهرين بقصد العلاج وأجريت لى عملية استئصال اللوزتين .

فى عام ١٣٧٠ عملت محاسبا فى مكتب تجارى ، ثم تركته حيث اشتركت مع أخى زهير فى افتتاح دكان للبقالة — وذلك فى منتصف عام ١٣٧١ هـ — على أمل واستعداد للزواج بصاحبة ذلك الحب الحالم ؛ ولـكن مشروع الزواج يفشل . وأشعر بنوع من اليأس . . والفـكر

فى اضطراب ! فنظمت يومها ديوان « مذبح الأشواق » وبعثت به إلى صديق بمصر(١) لطبعه كأول أثر يظهر من إنتاجى .

وإننى لفى لج من الوهم والحيرة ، يتوفى عمى السيد عبد القادر فى رمضان سنة ١٣٧١ هـ . وأجد نفسى فى حالة قلقة ، ويستبد بى الإحساس لأترك وطنى ، وأسافر بعيدا عن الأمكنة التى تثير على الحزن والأشجان ، فتركت العمل مع أخى ، وبعت مكتبتى وتهيأت للهجرة إلى مصر ، وبعد أن أديت فريضة الحج ، رحلت فى أوائل شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هـ حيث أقمت ثلاثة عشر شهرا فى القاهرة ، بين العلاج والإتصال بالنوادى الأدبية والتعرف على عدد من الأدباء، ثم محاولة إيجاد عمل أتعيش منه ؛ وكنت أنفق بحساب دقيق من المبلغ الذى كونته قبل رحيلى ، ولأول مرة آخذ أجرا على ما أكتب حيث اتفقت مع صاحب مجلة (الفصول) ونشرت بها ثلاث مقالات ، ويومها أكملت قصة « سمراء الحجازية » وسعيت عبثا لإخراجها سينمائيا ، بالرغم من الحـكم لها بصلاحيتها وجدية موضوعها ومكانتها ، وكنت قد حققت فى دار الـكتب المصرية كتاب (الأحكام النبوية فى الصناعة

(١) هذا الصديق هو الأستاذ فهمى عويس الذى كان موظفا بوزارة الأوقاف . بمصر ، وأحيل للمعاش ؛ وقد عرفت فيه مثال الصداقة الحقة والمحبة الأخوية الخالصة ؛ وهو أديب ومكافح — ظهر له كتاب « شهيد كربلاء » وكانت كبرى أمانيه حج بيت الله الحرام والزيارة . ولـكن توفى فجأة فى رمضان سنة ١٣٧٨ هـ .

بى التجارب فى الهـــوى العفيف وفى الغزل والنجوى ، وقد اتجهت الى الشعر القومى منذ أكثر من عشر سنوات ..

وماكان شىء ما ليثنينى عمـا أنا منصرف إليه فى دراسة الأدب بعمق ، سواء فى متونه القديمة وفى ألوان الثقافة الحية وفى المذاهب الأدبية الحديثة التى تأثرنا بها وما رسناها ، فكما درست المعرى والمتنبى وابن الرومى وسواهم ، كذلك درست جبران ومصطفى الرافعى وطاغور والشابى وعمر بن أبى ريشة وغيرهم . فإن ماكان هواية واستطلاعا ، أصبح رسالة ومسئولية . وهكذا فان كل حلقات أيامى بين الاطلاع والتثقيف والتركيز والانتاج .. حركة فكرية دائبة فى كل وقت .. فى السفر والحضر .. ألم أقل إنها رسالة ومسئولية ؟ ..

فى منتصف عام ١٣٦٩ قمت بأول رحلة خارج مسقط رأسى المدينة ، حيث قمت باتصالات ببعض المسئولين فى الحكومة فى مكة وجدة ، وسافرت إلى مصر لمـــدة شهرين بقصد العلاج وأجريت لى عملية استئصال اللوزتين .

فى عام ١٣٧٠ عملت محاسبا فى مكتب تجارى ، ثم تركته حيث اشتركت مع أخى زهير فى افتتاح دكان للبقالة — وذلك فى منتصف عام ١٣٧١ هـ — على أمل واستعداد للزواج بصاحبة ذلك الحب الحالم ، ولكن مشروع الزواج يفشل . وأشعر بنوع من اليأس .. والفكر

فى اضطرام ! فنظمت يومها ديوان « مذبح الأشواق » وبعثت به إلى صديق بمصر(١) لطبعه كأول أثر يظهر من إنتاجى .

وإننى لفى لج من الوهم والحيرة ، يتوفى عمى السيد عبد القادر فى رمضان سنة ١٣٧١ هـ . وأجد نفسى فى حالة قلقة ، ويستبد بى الإحساس لأترك وطنى ، وأسافر بعيدا عن الأمكنة التى تثير على الحزن والأشجان ، فتركت العمل مع أخى ، وبعت مكتبتى وتهيأت للهجرة إلى مصر ، وبعد أن أديت فريضة الحج ، رحلت فى أوائل شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هـ — حيث أقمت ثلاثة عشر شهرا فى القاهرة ، بين العلاج والإتصال بالنوادى الأدبية والتعرف على عدد من الأدباء ، ثم محاولة إيجاد عمل أتعيش منه ؛ وكنت أنفق بحساب دقيق من المبلغ الذى كونته قبل رحيلى ، ولأول مرة آخذ أجرا على ما أكتب حيث اتفقت مع صاحب مجلة (الفصول) ونشرت بها ثلاث مقالات ، ويومها أكملت قصة « سمراء الحجازية » وسعيت عبثا لإخراجها سينمائيا ، بالرغم من الحكم لها بصلاحيتها وجدية موضوعها ومكانتها ، وكنت قد حققت فى دار الكتب المصرية كتاب (الأحكام النبوية فى الصناعة

(١) هذا الصديق هو الأستاذ فهمى عويس الذى كان موظفا بوزارة الأوقاف . بمصر ، وأحيل للمعاش ؛ وقد عرفت فيه مثال الصداقة الحقة والمحبة الأخوية الخالصة ؛ وهو أديب ومكافح — ظهر له كتاب « شهيد كربلاء » وكانت كبرى أمانيه حج بيت الله الحرام والزيارة . ولكن توفى فجأة فى رمضان سنة ١٣٧٨ هـ .

الطبية) للامام الحموى ، واشتراه منى بثمن بخس صاحب مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ونشره فى عام ١٣٧٤ هـ .

فى أوائل سنة ١٣٧٣ إتصل بى إبنا عمى : صاحبا الجريدة لأعود إلى الوطن والعمل معهما فى تحرير الصحيفة بالمدينة ، فأعود فى أواخر شهر ربيع الثانى ١٣٧٣ ، ولكن العمل لم يتيسر لى بالجريدة ، فعملت كأمين لمكتبة مشروع توسعة المسجد النبوى الشريف — إعتبارا من شهر جمادى الثانية ١٣٧٣ هـ وبمرتب ضئيل .

فى تلك السنة بدأت والإخوة من الأدباء بالمدينة ، ندعو لتكوين رابطة أدبية أسميناها (رابطة الأدب الجديد) وحاولنا أن ننتج بها — ولكنها ظلت إسما فقط ، حتى عندما سعينا لتطورها وأردنا النشاط والخروج بها إلى حيز العمل ودعوناها (المجمع الأدبى) — ودعوت أنا لها فى أواخر سنة ١٣٧٧ فى صحيفة المدينة وفى غيرها ، ودعت الصحف وبعض الأدباء لمناصرتها . . ولكن الأوضاع حولنا لم تشجعنا . . وحالت ظروفها دون العمل ، وظلت الرابطة إسما إلى الآن ، وإننى لأجو الله ، أن يأتى اليوم القريب ، ليؤدى (المجمع الأدبى) عن المدينة عملا نفخر به ، ولا ندخر وسعا حتى يتحقق ذلك بمشيئة الله .

فى منتصف عام ١٣٧٤ سافرت إلى مصر للمرة الثانية — إلتماسا أيضا لما يجد من علاج — وكنت قد اتفقت مع الزملاء الادباء بالمدينة لنصدر مؤلفاتنا فى سلسلة كتب شهرية ، يساهم كلنا فى إصدارها ، بالإتفاق مع شركة توزيع ، ولكنهم لم ينفذوا الإتفاق . .

فأخرجت أنا ثلاثة من كتبى . هى : مجموعة قصص « قلوب كليمة » وتاريخ « ثورة الجزيرة » وملحمة (راهب الفكر) الشعرية . . وفى هذه الرحلة قدر لى أن أتزوج فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٧٤ هـ . من إبنة الاستاذ حسين فريد محمد(١) — وهو من أسرة مصرية محافظة من أهالى بورسعيد أصلا . والفتاة مثقفة متدينة مخلصة

وعدنا إلى المدينة فى محرم سنة ١٣٧٥ هـ . ولم يمض عام حتى رزقنا بالزهراء ثم بشقيقها (عبد الناصر) فى منتصف سنة ١٣٧٨ هـ .

كنت فى أوائل ربيع الثانى سنة ١٣٧٥ قد دخلت فى سلك الوظيفة الحكومية — محررا لقسم المباحث والتحقيقات ، ثم محققا لقسم التنفيذ بالشرطة ، وقد تيسر لى أمر العلاج لحساب الحكومة ، كموظف بها — بعد أن خابت كل المساعى السابقة ، ولم يمض عام حتى تقدمت للكشف الطبى على أثر أزمة صدرية فى منتصف عام ١٣٦٧ وجاءت الموافقة لسفرى إلى مصر لاجراء عملية جراحية لفتح الصمام المترالى بالقلب ومعالجتى لحساب الدولة ، وكانت العملية دقيقة خطيرة ، وقد أراد الله نجاتى ، ولكن ضربات القلب بقيت على حالها من الإختلاط ، وبقى الروماتيزم فى مفاصل الكتفين يتحرك علىّ كلما وجد إلى النشاط سبيلا . فيتمدد على عضلات الصدر بينما يشتعل الجسم بالحماء ، وتتكرر بذلك الأزمات العنيفة التى كأنما قدرت لجسمى تلازمه كنبضات الحياة . . وبسببها سافرت إلى مصر مرات ثلاث بعد ذلك التماسا للعلاج وفى هذه المره الثالثة إضطررت إلى طلب التقاعد عن العمل وأقمت بمصر منذ شعبان

(١) موظف الآن باشكاتب فى مصلحة المناجم والوقود بالدقى .

سنة ١٣٧٦ حتى يتهيأ الوقت المناسب أصحتي وظروفي ونعود إلى الوطن المقدس وكلي حنين إليه وإلى ربوعه الحبيبة وأجوائه الطاهرة . . وقد شملني العطف الملكي حيث أصبح يصرف لي الراتب البسيط كاملا .

في جمادى الثانية سنة ١٣٧٧ إلتزمت تحرير الصفحة الادبية بجريدة المدينة المنورة وإلى الآن . وذلك استجابة لرجاء بعض الناشئة والقراء (١) . ومنذ بداية عام ١٣٨٠ هذا ـ أصبحت أكتب صفحة الحركة الادبية في العالم العربي ، المجلة (قافلة الزيت) الشهرية التي تصدر في الظهران .

في أثناء رحلتي لمصر سنة ١٣٧٦ ظهرت لي ثلاث مؤلفات أخرى هي : « العذراء السجينة . وسمراء الحجازية ، والديوان القومي : صواريخ ضد للظلم والإستعمار » وفي السفرة التالية سنة ١٣٧٧ قمت برحلة إلى أضنة بتركيا لزيارة أخي السيد علوي والتعرف عليه حيث يقيم بأسرته ، وفي سنة ١٣٧٨ ظهر كتابي « حواء عارية ، دراسة عن المرأة ، ثم مجموعتي القصصية « فاطمة وقصص أخرى » . سنة ١٣٨٠ هـ .

كما أن بعضا من مخطوطاتي التالية رهن للطبع بمشيئة الله وهي في الشعر هذه الدواوين ـ وبها نحو مائتي قصيدة في مختلف فنون الشعر وأغراضه : « الفجر الراقص ، قلبي المناضل ، وحي الهاجرة ، ألحان الأمل ، أضواء ونغم ، سمراء ـ مأساة شعرية ثم « تلميذتي » شعر وقصة .

وفي القصة : « الأم » قصة طويلة ، ثم هذه المجموعات ـ وبها نحو خمسين قصة قصيرة من واقع بيئتنا العربية :

---

(١) توقفت عن تحرير هذه الصفحة في حوالي منتصف هذه السنة ١٣٨٠ لأن ظروف الجريدة أرادت ذلك .

« رجع الصدى ، بين عهدين ، من الحياة » ـ فمجموعة « إغراء » ـ من البيئة المصرية .

اما في النثر الآخر فهذه المؤلفات : « ملاكان في الأرض ـ دراسة عن الرافعي ومي ، وراء القضبان ـ تاريخ ، في المحراب ـ مقالات أدبية واجتماعية » ، الحب القدسي ـ مذكرات الصبا ، ثم « كيف تكون إنسانا مثاليا ؟ » . .

وأخيرا (صفحات من حياتي) ، وهي مذكراتي الخاصة التي أكتبها بين كل حين وآخر ، وستبقى أسجل فيها من خواطري وشئوني وما يحيط بي حتى اليوم الأخير من حياتي .

وهكذا فان الأيام سوف تمضي وستولد مؤلفات أخرى في شتى هذه الفنون الأدبية التي أزاولها وأتابعها بالدراسة والإنتاج في إيمان كبير بهذه الرسالة ـ ولو على حساب صحتي ، بل وإن كنت في قلق وحيرة متصلين ولا يكاد ان يسلواني ، ولاني ابينهما وبين الألم الخالد أحيا الحياة بآمال كبار ، وبعزاء على واجده في يوم ما . . فعندما قلت عن هذا الفنان في ملحمتي الشعرية « راهب الفكر » :

هو قمة شماء تضرمها الفنون   لتضيء للناس الطريق وتحترق

قلت أيضا :

عشق الحياة لفنه وعذابه   وهل الحياة سوى عذاب دائم

وقلت في ختام قصيدة الفجر الراقص :

ظل فجرا حالم الإشعاع . . معطار الندى زاهى المرائى
ظل حلما فى خيالى . . عاش أشواقا يناجيها رجائى
عدت أحيا . . واللظى سكرى وما أجنيه من ذكرى بقائى
عدت أشدو واهما . واللهب المشبوب يكوى فى دمائى
قسوة الأيام ما أبقت على حلمى ولا ردت عزائى
يرقص الفجر عليها ، شهقة المفجوع فى ليل الشتاء !

ومن الشعر الوطنى قلت فى قصيدة « سنعود ياوطنى الحبيب » قلتها عن فلسطين :

أنا لم أنتم أبدا ولا عاقنى   عن تضحياتى حكم قوم عتاه
عاشوا على ظلمى فما هابنى   سيف ولا نار تذل الجباه
أنا يا فلسطين الحبيبة ان أهون
أنا ثورة الشعب الأبىّ المجيد   وصراع إخوان لنا فى النضال
سنوحد الأمل السنىّ العتيد   ونزيل أحقاد الورى والليال
ونثير بركانا يريع الطامعين

وفى قصيدة (الثائر الأعظم) سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قلت :

ياليلة الميلاد عودى بالجهاد   عودى علينا بالكرامة والوداد
وهدى البشير محمد يسمو بنا   ويوحد الأهداف فى نيل المراد
ويطهر الأوطان من شر العدا   فتنير أضواء الهدى سبل العباد
ونعود قوما ناقين على الرقاد

وفى قصيدة (أخلد حب) المهداة لأبطال الجزائر المجاهدة قلت :

عيدنا القومىّ أن نجلو عدانا   من طغاة الحكم عاشوا فى ربانا
عيدنا نصر الأمانى فى حمانا   وحياة العز والعليا هوانا

فى ديار العرب والشعب الذى صاغ الحسام
نفتديها بالدم الزاكى ونسقيها هيام
حبنا المعبود يبقى بينها أغلى وسام
فهى حلمى . . وهى عشقى . . وهى عز فى السلام

وفى نشيد « صرخة البعث » المهدى للجامعة العربية قلت :

سنعلنها ثورة للزمان   ونرخص أرواحنا الطاهرة
ونمشى على الدم فى عزة   نشيد بآمالنا الزاهرة
ونبعث فى الكون طهر الحياة   لنرفع فى الخلد أسمى عماد
فنحن شعوب الهدى والرشاد

والشواهد كثيرة فى دواوينى التى أرجوا أن أوفق لإظهارها إلى دنيا النور مع المؤلفات الأخرى قبل أن يحم القضاء ، ويتوقف النبض ، ومن ثم يتوقف هذا القلم ويرتاح صاحبه .

* * *

من بناة النهضة فى الحجاز

فى بلادنا اليوم نهضة متشعبة قائمة ، هذا لا شك فيه ، ولكن ظروفها التى لا مفر منها تحدد لها خطوها وتركز اتجاهاتها فى مناطق دون أخرى مما يقره الأمر الواقع : أننا لا نزال فى أول الطريق نتطلع إلى تقدم حقيقى ، ونرقب الفجر الجديد بآمال كبار .. لتستغل كافة مالدينا من إمكانيات بأمانة ، ولتنطلق عجلات التقدم من عقالها إلى كل ميدان من ميادين الحياة الصاعدة ..

وهنالك فى كيان الدولة الفتية أكثر من شخصية ، يحمد نضالهم ويثنى على أعمالهم الخاصة كبناة للنهضة .. وهم منذ بدأوا فى جهاد متواصل الحلقات لمصلحة الوطن ورفعة شأنه ، ونعتقد أنهم لو وجدوا المجالات الملائمة لأدوا واجبهم كاملا ، وقدموا لبلادهم كل ماالتزموا به من مسئوليات - هم محاسبون عليها لأنهم حملوا عبأها وأمانتها .

والحديث عن البعض من بناة النهضة الحديثة فى بلادنا طويل طويل .. بل وعسير أن نأتى به هنا فى كتاب إختص بتاريخ المدينة المنورة ، ولهذا رأينا أن نختار لكتابنا هذا أحد هؤلاء البناة الذين قاموا بأدوار هامة فى التاريخ المعاصر للمملكة .. وقد أصبح له المركز الكبير فى الدولة وخارجها ، وله فى نفوس أهل المدينة الطيبة بالذات تقدير ومحبة

على لفتاته الإنسانية وإعزازه الكبير لهم - كما له المكانة السامية فى قلوب الكثيرين .

ذلك هو بدون ألقاب : الشيخ محمد سرور الصبان - الرائد الفكرى الاول عندنا ،

ولد فى جدة عن أب تاجر فى أواخر عام ١٣١٦ هـ .. وفيها وفى مكة تلقى تعليمه الأول واستكمله فى مدرسة الحياة الكبرى ، وقد انصرف إلى الحياة العملية - وهو بعد فتى - ولكنه ظل يغذى نفسه وينمى ذهنه بما يقرأه ويدرسه من فنون التاريخ والآداب القديمة والحديثة ، حتى لقد نال الحظ الأوفى من الثقافة والمعرفة ، فاذا هو فيما بعد - السياسى والوزير .

كانت نشأته والحجاز فى ظلال الحكومة الهاشمية التى ما كانت إمكانياتها لتنهض بكل شئون البلاد ، فساءت أحوالها فى أكثر مرافق حياتها ..

ولم يكن هذا إلا مشجعا وموجها إلى نقلة جديدة تزيل ظلام الجهل الرازحة تحته البلاد المقدسة - كما كان يعبر الشيخ محمد سرور آنذاك - فى مقالته « لا إصلاح مع الرياء » وفيها يقول متسائلا : أين هى الدعامة التى يرتكز عليها هذا القول : الحجاز للحجازيين ؟ إنها يا قوم كلمة أكبر مما تظنون وأعظم مما تتصورون ، إن هذه الكلمة لا ينبغى أن يتلفظ بها إلا من تربى فى وسط تحت راية الاستقلال التام ومن يستطيع أن يكون له رأيا مقبولا فى إدارة شئون أمته » .

هذا مشعل من مشاعل الحقيقة التى تكشف عن الأدواء وتبدد الظلمات وتنير الطريق إلى المستقبل الأفضل . مشعل لوعى الفكرى والطموح فى آن . . وقد كان الشيخ محمد أحد الرواد الأوائل للادب الحديث فى الحجاز : شاعر ثائر وكاتب له مقالات توجيهية عدة كانت تنشر باسم مستعار فى جريدة « القبلة » .

وهو المواطن الصالح الذى ما كانت وظيفته كوكيل لرئيس بلدية مكة - فى عهد الأشراف - لتحول دون ما قدر له أن يقوم به فى سنة ١٣٤٢ هـ من دور ، عندما تشكل (الحزب الوطنى) فى جدة ، للعمل على قلب الحكومة . . واختير هو لإيصال رسالة الحزب الشفوية إلى الملك حسين ليتنازل عن العرش لابنه الأمير على .

ويروى الشيخ محمد عن ذلك فى مقالة مما نشر له فى مجلة (المنهل) بعنوان « من ذكريات الأمس » قال فى ختامها بعد تفصيل لهذه المهمة التى كلف بها : كانت الساعة - إذ ذاك - حوالى الثامنة ظهرا وصعدت متثاقلا درج القصر - قصر الغزة - ثم استأذنت فى الدخول ، فأذن لى فدخلت ، فإذا بى أبصر الرجل ، وهو فى مجلسه الكبير الذى اعتاد منه أن يدير شئون ملكه ، وقد سربلته الهيبة وجلله الوقار ، فتسرب إلى قلبى الوجيب وداخلتنى الخشية ، ولكن لم يكن من الإقدام بد ، وإن يكن أثر فى نفسى مظهر الرجل . فقد كان هادىء النفس غير مبلبل الخاطر ولا موزع الحواس ، مما دلنى على أنه ملم بالتيارات التى حوله وعلى علم سابق بها ، فدنوت منه وأبلغته النبأ بنفس متبصرة وجأش رابط ، وقال

بالحرف الواحد : (حتى الاشراف معهم ؟ من الذى أخبرك ؟ قلت له : لم أتبين صوت من أبلغنى أهو السيد طاهر أم عبد الحى ، قال : لا بأس نفذ ما أبلغت به نفذه ودعنى أسمع صوت المنادى من مكانى هذا وأبلغ القلعة كى تطلق الاحدى والعشرين طلقة ، ولكن تعرف أنا وعلى شىء واحد . . إيش أنا وإيش على ؟ إن إبن سعود سيدخل مكة على كل حال والتغيير لا يحل المشكلة . وصمت الملك وانتهى ذلك الموقف العاصف ومر موكب الزمن مفسحا الطريق للقافلة أن تسير . . » ــ ا . هـ .

وبعد أن أصبح الحكم لآل سعود فى منتصف سنة ١٣٤٣ على مكة وتشكلت البلدية فيها ، عين الشيخ محمد سرور - كالسابق ، رئيسا لكتابها ، ثم انتخب عضوا فى المجلس الأهلى فسكرتيرا له . ومن ثم كانت حادثة اعتقال السياسيين وهو بينهم ، ولكن أخلى سبيلهم عندما تم فتح جدة فى نفس العام ١٣٤٤ هـ - وتعين هو معاونا لأمين العاصمة . غير أنه ما تكاد تبدأ سنة ١٣٤٦ هـ حتى نقل إلى الرياض سجينا فى تهمة سياسية ، وبقى نحو العام ثم أفرج عنه . وكان قد قال قصيدته الشهيرة « عاطفة النفس » وفيها يقول بهذه الروح المتحفزة للبناء :

« من لى بشعب باسل متحمس   حتى يقوم بأعظم النهضات
من لى بشعب لا يكل ولا ينى   يسعى إلى العليا بكل ثبات
إن البلاد بأهلها ، فبجهلهم   تشقى ، وتلقى أعظم النكبات
وإذا توحدت الجهود لخيرها   سعدت ونالت أرفع الدرجات »

ورجع الشيخ محمد إلى تنشيط عمله الحرفي (المكتبة الحجازية)
التي كان قد أنشأها بمكة لاستيراد مختلف الكتب التاريخية والعلمية
والأدبية والقومية .. وأخذ على عاتقه نشر بعض المؤلفات الحديثة .

وأصدر أولها سنة ١٣٤٤ كتابه الذي جمعه من شعر ونثر الناشئة الحجازية ونشره — بمقدمة له — كصورة لمعارفهم ومناهلهم الفكرية، وأخرج كتابه الثاني « المعرض » في شئون وشعوب العرب ولغتهم ، واستمر إصدار الشيخ محمد الكتب هامة في المكتبة العربية حتى وقتنا اليوم ، وهو يشجع الأدباء ويناصر جهودهم أدبيا وماديا .. والشيخ محمد شعر رائع ملىء بالمشاعر الوطنية الخالصة .. فهذه قصيدته « وطني » نسمعه يقول فيها :

« أنا لا أزال شقي حبك هائما في كل واد
زعم العوازل أنني أسلو وأجنح للرقاد
كذبوا وحقك لست أقدر أن أعيش بلا فؤاد
ولسوف أصبر للمصائب والكوارث والعواد
حتى أراك ممتعا بالعز ما بين البلاد »

ويقول في قصيدته « إلى أبناء الغد » ناصحا موجها :

« يا بني اصبر ولا تيأس إذا ... مسك الهم وجافاك الخدين
إن في الصبر سلاحا واقيا ... من شرور الناس والداء الدفين
فانهج الحق ودع طيش الصبا ... واتبع خطو الجدود الأولين »

* * *

في محرم سنة ١٣٥٠ هـ عاد الشيخ محمد إلى سلك الوظيفة .. وقد جرى انتخابه عضوا في المؤتمر الوطني ومضى نحو شهر ، فيعين بعده رئيسا لقلم التحريرات بوزارة المالية .. وما تكاد تنقضي عامان حتى نراه قد تعين مديرا عاما لإدارة هذه الوزارة حيث برزت كفاءته النادرة، وحسن تقديره للمسئولية التي أنيطت به .

وفي خلال اثنين وعشرين سنة تمضي - وهو في وظيفته هذه .. كانت تؤسس بعض الشركات في البلاد ويرأسها وهو باذلا من جهوده وخبرته، ومن هذه الشركات : شركة الطبع والنشر ، شركة السيارات ، شركة التوفير والاقتصاد ، شركة الصادرات ، وجمعيات الإسعاف ، والدفاع عن فلسطين والقرش ، وغيرها :

وكان يساهم في بعض المشروعات والمؤسسات الوطنية الهامة ، كما يشجع أعمال مواطنيه ويكرمهم وينفق من ذات يده ما يعتقده واجبا عليه في مساعدة المحتاج وإسعاف المصاب ابتغاء وجه الله ومرضاته وهو بذلك إنما يؤدي رسالته كانسان .. الانسان الذي أوتي العقل والبصيرة فحفظهما وعمل بارشادتهما وبوحي من إنسانيته وفطرته التي كرم الله بها بني آدم فحق عليه وهو يتمثل بقوله سبحانه « وأما بنعمة ربك فحدث »

ثم .. ثم جاء عام ١٣٧٤ هـ عندما أسندت وزارة المالية إلى هذا الرجل المفكر والخبير بشئونها فيصبح معالي الشيخ محمد سرور الصبان وزيرا للمالية والاقتصاد الوطني، وقد اجرى فيها من التنظيمات ماجعلها تيسر أعمال المسئولين والمتعلقين بها كوزارة حساسة يتركز فيها نشاط باقي الوزارات .

وفى منتصف عام ١٣٧٧ ﻫ اعتزل الشيخ الوزارة ومسئولياتها بسبب تشكيلات جديدة طرأت فى الجهاز الحكومى ، وآثر هو أن يستجم وأن يزاول مباشرة عمله التجارى الحر . . وكان ولا يزال هو هو نفسه هذا الانسان الشهم الذى لم تغره الوزارة فى شىء ، ولم يغيره مركزه كمليونير فى أن يتباهى أو يتعالى . . كلا . . بل هو ذاك الانسان فى تواضعه ونبله وضيافته . وهو فى نفسيته الطيبة التى تضم اليها الصحاب وتستقبل الرواد وتستمع الطالب وتلبى نداءات النجدة وتواصل المنح الجزيلة ؛ ان كل هذا طبيعة فى الرجل ، ودليل على إيمانه الخالص وثقته فى توفيق الله له . فلا غرابة أن تلتهب القلوب بالدعاء له وأن تلهج الألسنة بالثناء عليه . والمشاعر والأقلام تصوغ فيه البيان والأشعار مما يسير بذكرها الركبان وقد أصبحت مضرب الأمثال . ومن هناك ، من واشنطن . . كتب الأديب الكبير أحمد زكى أبو شادى (١) مقالة نشرتها مجلة المنهل — يستعرض فيها بعضا مما كتب عن الشيخ محمد سرور الصبان ، فنراه يقول : « لقد راجعنا سيرة الصبان ، لا فى هذا كتاب القيم (رجل وعمل) فحسب ، بل فى كتب ودراسات أيضا اعترفت له بأنه زعيم الحركة الادبية منذ نشأتها ، ومن أصحاب الرعيل الاول الذين أسهموا فى بناء صرح الادب الحجازى ، وبانه شاعر وجدانى وكاتب اجتماعى من المبرزين . . إن الصبان علم ورائد فى خلقه وسلوكه وأثره ، وسيرته عظة وقدوة لابناء العروبة فى كل الأقطار ، وستبقى كما هى الآن — مضربا للأمثال » ا . ﻫ .

(١) توفى هذا الأديب مغتربا قبل عامين ، وقد خلف عشرات المؤلفات فى فنون الادب المختلفة .

أجل فلقد كتب أدباء وشعراء عن الشيخ محمد وأفاضوا فيما حدثوا عن مكانته وجهوده وحياته المناضلة . ولقد ألفت فيه الكتب ، كما قيلت القصائد العديدة فى تكريمه ، فهناك كتاب الاستاذ عبد الله عريف (رجل وعمل) الذى كتب مقدمته الدكتور طه حسين ، وفيه يقول المؤلف بأحد فصوله : (عندما يجىء اليوم الذى نؤرخ فيه حياة الحجاز فى العهد السعودى فان صفحه خطيرة ستفرد — ولا شك لحياة محمد سرور الصبان ، وذلك أن تاريخ حياته الفكرية جاء من تاريخ الصحوة الذهنية التى جاءت فى حياة الحجاز عقب الثورة العربية الكبرى - وما وليها من انقلاب سياسى تبعته حيوات اقتصادية وأدبية وإدارية ، وكان لمحمد سرور الصبان من التأثير فى تلك الحيوات - وهى أظهر مظاهر نهضتنا - ماجعل منه قوة بارزة الاثر فى كل حركة يراد منها تدعيم وإنشاء مظهر يبين عن حيوية الامة ويدل على مشاركتها الامم فى الميراث الانسانى العام . .) ا ﻫ .(١)

وهناك أيضا تراجم خاصة عن الشيخ محمد فى كتاب « وحى الصحراء » الصادر سنة ١٣٥٥ من وضع الاستاذين عبد الله بلخير ومحمد سعيد العامودى ، وفى كتاب « عند مشرق العروبة » للاستاذ محمد السوادى صاحب (جريدة السوادى) التى كانت تصدر فى القاهرة ، ثم فى كتاب (أدباء الشرق) للاستاذين طه عبد الباقى سرور ومحمد عبد المنعم خفاجى

(١) فى شعبان ١٣٨٠ ظهر كتاب (سيرة من الحرمين) من تأليف الدكتور ابراهيم عبده — فى ١٧٠ صفحة يترجم فيه ويؤرخ لمعالى الشيخ محمد سرور — بطريقة جديدة : وللشاعر الاستاذ محمد علـى الحومانى ديوان مطبوع باسم « معلقات العصر » فى أفضال معالى الشيخ وإنسانياته .

وهنا نستطيع أن نقولها كلمة حق بأن هذا الرجل الإنسان قد استحق أن يكون موضع التجلة والاحترام ، وأن يكون نبع إلهام للاقلام ، وأن يكون مع طليعة من دخل التاريخ بعلمه وعمله وصلاحه وموفور جهاده . . وتعتبر مجالسه — التي تمثل فيها أسمى معانى الديمقراطية — محافل للمعرفة وشجون الحديث ، يلتقى فيها الادباء والصحب والوجهاء وطلاب العون على السواء . . أليس هو الذى قال :

« إذا أحببت ذاتك خسرت أصدقاءك ، والكلمة الطيبة كالغصن المثمر فى حقل النفوس المطمئنة » :

إن الجوانب المتعددة فى حياة هذا الرجل جعلت منه شخصية نادرة حصلت على أسباب المجد بالعرق والصبر والجهد المتواصل وأفعال الخير .

ولكاتب هذه السطور بضعة قصائد فى هذه الشخصية الفاضلة ، فاننا نرى فيه الوالد الطيب الامين . . ومن هذا الشعر قولى فيه : .

« أنت قد أوجدت بين القوم أمثالا لأعمال جليلة »
« يا أديبا متع الله حياته بنعماء جزيلـــة »
« ياوزيرا زاده العزّ تقى حتى تغنى بالفضيلة »
« إنها دنياك . . دنياك الطهر والعرفان والخير العميم »
« خلدتها يدك البيضاء والاخلاص والفكر الحكيم »
« نعمة متعتَ فيها بالضمير الحى والروح الرؤوم »

وقبل أن نختتم هذه الترجمة لا يفوتنا أن ننوه عن شخص مثقف واع يلازم الشيخ محمد سرور كأنه الظل . . ذلك هو سكرتيره منذ سنين طويلة الاستاذ محمد خليل العنانى المولود فى مكة المكرمة بمحلة سوق الليل يوم ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٢٦هـ ، وقد نشأ وتلقى تعليمه بمدرسة الفلاح بمكة — وهو مفكر واسع الاطلاع وقد استهوته حرفة الادب فمارسها . . وكون مكتبة ضخمة فيها الكثير من النفائس وذخائر الفكر العربى ، كما أنه حركة نشطة دائبة لا تفتر فى محيط عمله المتصل .

وطبيعى أن يكون مثقف مطلع كالاستاذ العنانى أمينا للسر ومخلصا لاعمال رجل مكافح عرف كيف يسلك سبيله وكيف يصل ، وسلاحه الآخر : التقوى مع الله والفضل مع الناس .

هذا هو الشيخ محمد سرور الصبان أحد بناة النهضة الحديثة فى بلادنا وهو أيضا راعى الحركة الادبية الى اليوم ؟

المدينة فى العصر الحديث

قبل نحو نصف قرن ، كانت بعض ألوان الفوضى والاهمال — لاتزال سائدة فى الحجاز ، وكان الحجاج إلى الديار المقدسة معرضين لقطاع الطرق فيما بين مكة والمدينة وجدة . . . ومعظم هؤلاء كانوا من أهل البادية الشرسين ، حتى أن الأهالى كانوا يتعرضون لغاراتهم وسلبهم .

وهناك من الشواهد حتى فى أدب أعلام تلك الفترة . . ومنها قول العالم والأديب المدنى الشيخ محمد العمرى — من قصيدته سنة ١٢٣٠ هـ فى قبيلة (بنى حرب) الذين كانوا يعتدون على أطراف المدينة : —

ذروبدا بنى حرب تغاديكم الحرب ويجتاح ما خولتم الطعن الضرب
فأنتم قد حتم بالزناد شرارها فأضحت سعيرا لايبوخ ولايخبو

كان ذلك والسلطات الهاشمية الحاكمة منشغلة بالمنازعات سواء مع حركيزتها المتمثلة فى الدولة الانجليزية ، أو مع تلك الحركة القادمة من شرق الجزيرة العربية — لآل سعود سنة ١٣٤٣ هـ للتوسع فى سلطانهم ، وضم بلاد الحرمين الشريفين إلى حكمهم .. وقد كان الحظ حليفهم ، وأراد لهم الله النصرة ليتولوا أمر هذه المنطقة الطاهرة .. ومنذ هذا العهد

عاد الأمن إلى الحجاز يضرب أطنابه ، وقد قضى على كل تلك الايدى العابثة التى ظلت سنين طويلة تروع وتهدد سلامة المواطنين والحجاج .

ولا ننسى أن نشير الى ما أصاب حياة المدينة من تغيير — فى تلك الفترة ، بسبب ما قامت به السلطات التركية الحاكمة ، بإرغام جميع أهالى المدينة على السفر إلى الشام .. حيث خلت المدينة ، ولم تبق بها أية عناصر المقاومة .. لقد خلت إلا من نفر قليل ، وتتكرر نفس السيرة التى كانت عليها المدينة منذ أكثر من ألف عام — أيام العالم الجليل سعيد بن المسيب الذى رفض البيعة لبنى أمية وكان ما كان من قصته المعروفة .

وقد بقى أهل المدينة فى الشام قرابة عامين — عادوا بعدهما إلى هذا الوطن المقدس ، والبعض منهم بقى فى الشام يزاول عملا وفق إليه .. وكان أن أثرت هذه التصرفات فى كافة أوضاع المدينة التى نهبت مساكنها ونفقت أرصها .. وكأنما هى موعودة بهذه المصائب ومتاعب الحكام ، ولكن هذا هو وضعها الاستراتيجى لمن كانوا يطمعون فى السيطرة على حكم الحجاز .. ومرت الأيام والمدينة تأخذ بنصيبها من التطور ولكن فى إطـــار ضيق . كنصيب بعض المدن الهامة فى المملكة السعودية المترامية الأطراف اليوم .

ولعل الحركة التعليمية تعتبر أبرز نشاط يسود البلاد اليوم .. وقد عمت فى المدينة وضواحيها المدارس الابتدائية والثانوية ، وفيها معاهد المعلمين ومدارس الأيتام وتعليم البنات ثم أخيرا الجامعة الإسلامية التى اعتمدت الحكومة إنشاءها قريبا فى مهد الهدى بالمدينة المنورة كمنارة لنشر العلوم والثقافة الدينية . ونأمل أن تتحقق بها الرسالة التى

وجدت من أجلها . وهناك أيضاً مدرسة العلوم الشرعية التى كان قد أسسها فى عام ١٣٤١ هـ المرحوم السيد أحمد الفيض آبادى ، وتولى إدارتها بعد وفاته إبن أخيه الوجيه السيد حبيب محمود التاجر المعروف بالمدينة ، ثم مدرسة الصحراء الخيرية التى أنشاها إبنا عمى السيدان على وعثمان حافظ فى منطقة المسيجيد عام ١٣٦٥ لتعليم أبناء البادية هناك(١). ثم مدرسة دار الحديث الخيرية التى أسسها ويقوم بشئونها الأديب الأستاذ عبد الرحمن المدنى .

ونشط العمران حتى عاد إمتداد المبانى إلى سابق عهده خارج المدينة وبوسائل البناء الحديثة الأنيقة .

كذلك نرى بعض الطرق الرئيسية مسفلتة ، وشوارع جديدة تفتح ، ومستشفيات تستقبل المرضى ، وساحات الرياضة وألعاب الكرة تستوعب نشاط النشء . والحركة التجارية تغمر الأسواق المكتظة بألوان الواردات الخارجية من ملابس وأدوية وكماليات وأدوات منزلية ومكتبيات وغيرها .

والكهرباء تضىء فى كل مكان ، كما تسير المياه النقية إلى كل منطقة. والجدير بالذكر أن أول من أدخل الكهرباء منذ نحو عشر سنوات إلى المدينة هو الشيخ بكرى السمكرى التاجر المعروف بها وصاحب أوتيل (قصر المدينة) الذى يعد اليوم من أفخر فنادقها الحديثة .

(١) إنضمت مدرسة الصحراء هذه إلى وزارة المعارف فأصبحت تابعة للحكومة فى أوائل هذا العام ١٣٨٠هـ

كما أسس السيد محمود أحمد مصانع للثلج ويعتبر هو أول من أنشأها وأقام مطاحن الحنطة الميكانيكية منذ بضع سنوات .

وهناك أيضاً أعمال بسيطة نموذجية . . سواء فى حقل الدواجن وتوابعها أو فى الزراعة ، أو تعبئة التمور ، أو صنع السجاد ، ولكننا نرجو أن تمتد إليها وإلى غيرها الخبرات الواسعة والتشجيع المادى والعملى ، لتصبح مناطق إنتاج تزودنا بما نحتاجه لحياتنا ، وتفيد منها البلاد إقتصاديا على الأقل .

أما عن النهضة الفكرية ، فإن العلم والأدب المتوارثين طبيعة أولى أو هى الطبيعة المميزة ، فى أهل هذه البلدة الطيبة الكريمة .

وظهرت فيها أول مجلة أدبية تحمل إسم « المنهل » أنشأها الأستاذ عبد القدوس الأنصارى سنة ١٣٥٥ هـ . وانتقل بها إلى مكة فيما بعد ، وقد احتفل فى هذا الشهر ببلوغها خمسة وعشرين عاما ، وأصدر عنها كتابا فضياً ، يعتبر موسوعة للنهضة فى المملكة وفى إنتاج المنهل فى جهاده الثقافى المثمر .

ولم يمض عام — أى فى سنة ١٣٥٦ حتى كان الشقيقان السيدان على وعثمان حافظ — قد أصدرا جريدة « المدينة المنورة » بعد أن إستوردا لها مطبعة كاملة من مصر — وتعنى الجريدة ، بشئون المجتمع والأدب والسياسة ، وهى تصدر منذ عام مرتين فى الأسبوع بعد أن كانت أسبوعية .

وهنا لا ننسى أن نشيد بدور تلك (الندوة الأدبية) التى كان يقيمها

الرواد الأوائل من أدباء المدينة - بساحة المدرسة الناصرية ، لإلقاء المحاضرات التوجيهية القيمة وبث الوعى الثقافى فى الجماهير ، ومن أعضاء هذه الندوة البارزين ، أصحاب جريدة المدينة المنورة ، وصاحب مجلة المنهل . والأساتذة : ضياء الدين رجب ، وحسين زيدان ، وأحمد العربى ، وعبد الحميد عنبر ، وسواهم من حملة القلم والنهضة الأدبية الحديثة .

ونبغ أدباء ، وحاول فيما بعد — بعضهم — كما حاول معهم كاتب هذه السطور ، إصدار مجلات أدبية ، وحالت الظروف دون وجودها فى ركب الوعى ، ويبتعث من إستكمل تعليمه إلى التعليم الجامعى فى الخارج ويتخصص آخرون فى مجالات مختلفة وهكذا..

وتأثرنا نحن الشباب فى دراستنا بالآداب الحديثة والمذاهب الأدبية المختلفة ، بما نطالعه فى كنوز الأدب القديم ، وبما تحمله لنا مؤلفات إخواننا أدباء العرب والمهجر.. من مصر إلى العراق وإلى ما جاورهما . وما يترجمونه من فنون ودراسات وثقافات متنوعة .

وهنا نشء يتثقف ، وبراعم تشارك فى المعرفة ، لتثبت وجودها قريباً أو بعيداً ، ولقد حفل هذا القرن بالأعلام من العلماء والأدباء المجيدين ما حقق للنهضة الفكرية عندنا أن تزدهر ، متعاونين مع زملائنا أرباب القلم فى سائر أنحاء المملكة ، وقد ظهرت لنا ولهم ألوان المؤلفات القيمة فى الشعر والقصص وفى البحوث الدينية والاجتماعية والسياسية وفى المقالات والنقد وغيرها . وحفلت صحفنا ومجلاتنا

فى سائر المملكة بإنتاج الأقلام المحلية النابضة بالمعرفة والأفكار الواعية الموجهة — حتى لقد زحفت هذه الأقلام إلى صحافة البلاد العربية المختلفة .... ذلك عن الثقافة : —

أما عن المجتمع وأوضاعه فإنه على عاداته الطيبة من سمو الخلق والمحافظة وكرم الجوار وحسن الثقة والتفاهم . هو هذا المجتمع العربى السليم . الذى يبغى النهوض ويتطلع إلى العزة ولا يقبل بالتواكل والضيم — سواء فى المدينة أو فى معظم بلدان المملكة .

ولقد سبق أن كتبت فصلا وافيا بعنوان « صورة من المجتمع » ضمن كتابى « ثورة الجزيرة » ، وتحدثت فيه عن عادات الزواج والأعياد والحب والمرأة والتأبين والحياة اليومية كما كانت عليه قبل نحو عشرة أعوام .. إلا أن الفهم الواعى فى الأسرة قد تطور وأخذت البلاد بكثير من أسباب التقدم بما يتفق وأوضاعها الشرقية وجلال الروحية التى تتنفسها هذه البقعة المقدسة من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم : منار الحق والهدى — ويستطيب بها أهلها وقصادها الأكرمون .. وحسبك من دليل ما تتركه المدينة فى نفوس الحجاج والزوار من تقدير لبنيها وأهلها وإعجاب بأخلاقهم العالية وبالتعامل الودى فى الترحيب والتكريم ، وهم يكادون يشكلون أسرة واحدة لتزاوجهم واتصالهم بأنساب بعضهم البعض .

فالمدينة اليوم على عهدها من الجلال والقدسية ... وأهلوها على عهدهم أيضا من التقوى وإخلاص الضمير والسمو النفسى .. أما

التقدم الحضارى فإنما يعتمد فى أسباب المعيشة وتكييف وسائلها وكمالياتها من حاجات العصر الضرورية .

وللحرم النبوى الشريف إدارة يرأسها السيد أحمد رفاعى وعضوية كل من السادة : حسين جمل الليل وأحمد رضا وعثمان برى - حاليا ..

ويرأس المحكمة الشرعية اليوم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن صالح خلفا للشيخ عبد الله بن زاحم الذى خلف الشيخ إبراهيم برى - عليهما رحمة الله . وكان ممن ولى القضاء فى هذا العهد الشيخ حميدة بن الطيب والشيخ محمود شويل والشيخ محمد الصادق والشيخ أحمد بساطى والشيخ محمد على تركى ، رحمهم الله .

أما المحكمة المستعجلة فيرأسها اليوم الشيخ عبد العزيز برى ، بعد الشيخين الراحلين : السيد / محمود أحمد والسيد محمود رشيدى ، وكان المرحوم السيد هاشم كماخى مأمورا لبيت المال ، وبعد وفاته يقوم بالأعمال الآن معاون المأمور : الشيخ أحمد صادق .

وهيئة الأدلاء يرأسها الأستاذ صالح فضايلى بعد السيد حامد بافقيه .

ومدير المالية هو الشيخ عارف برادة خلفا للشيخ سالم الحجيلى .

ومدير الأوقاف الشيخ إسورطه خلفا للسيد مصطفى عطار .

ومساعد مندب وزارة الصحة الدكتور سعيد مصطفى والدكتور حمزة ناصر ، وقائد منطقة المدينة يوسف بك طرابلسى .

ومدير الشرطة العقيد حسن بك شيبة بعد العقيد حسن بك الألفى .

ومدير مكتب الخطوط الجوية — الشيخ إبراهيم جليدان .

ورئيس هيئة الزراعة — الشيخ عبد الحميد عباس .

ورئيس هيئة الوحدة الزراعية الأستاذ حامد خجا ،

ورئيس لجنة العين الزرقاء — السيد عبد القادر غوث ،

ومدير الجمرك الأستاذ مالك خجا ، ومدير البريد الشيخ كامل خطاب ، ورئيس البلدية الشيخ صالح الميمان —(١) .

والمدينة هى أيضا إحدى البلدان الرئيسية فى الحجاز كمكة وجدة والطائف .. فيها جميع الأجهزة الحكومية العامة - كما رأينا - من دائرة الامارة والمحاكم الشرعية وبيت المال إلى دوائر المالية والأوقاف والصحة والاسعاف والمعارف والدفاع والشرطة والطيران والجوازات والزراعة والجمرك والبريد واللاسلكى والبلدية وشئون الحج والأدلاء .. وغيرها .

وفى المدينة حركة تجارية لا بأس بها .. ومن تجارها المعروفين اليوم هؤلاء السادة : أسعد وعبد الرحمن عويضة ، وعبد القادر عطاالله ، ومحمد وعبد العزيز الخريجى ، وعبد الحكيم عثمان ، وعبد الكريم دادا ، وناصر العامر الرميح ، ومصطفى الباس ، ومحمد الراشد الزغيبى .. وسواهم .

ونرجو مخلصين ، أن يعود الخط الحديدى الحجازى الذى كان يربط بيننا بالمدينة المنورة وبين دمشق ، منذ قرابة أربعين عاما «

(١) انتخب حديثا لرآسة البلدية ابن عمنا السيد على حافظ .. وفى محرم ١٣٨١ على التحديد .

ليزداد الانتعاش الاقتصادي والمعيشي في هذه البلدة الطيبة الحبيبة إلى قلوب ملايين المسلمين من مختلف أرجاء العالم . (١)

والرجاء الأكبر أن تجد هذه المدينة المباركة من أولى الأمر ـ لمكانتها العظيمة ـ تلك العناية المأمولة لها والحقيقة بها، لتنال حظها من الزحف التقدمي الجديرة به في كل ألوان الحياة : من العناية بمآثرها ومعالمها إلى تنسيق المباني والأسواق .. وإلى تجميل الأحياء والشوارع .. إلى تشجيع الروابط الثقافية وتنشيط الشئون المعيشية والعمالية على وجه العموم ، والله الموفق لما فيه الخير والإصلاح .



(١) هنالك فكرة لإقامة فرع بالمدينة للاذاعة التي تقوم بمهامها من جدة وقد جهزت بأحدث وأقوى الأجهزة ، ونأمل أن تصبح برامجها من القوة بحيث تؤدي رسالتها المرجوة منها في مجالها الحساس .

مؤلفات عن المدينة المنورة

كثيرة هي تلك الكتب التي ألفت عن البلد الحبيب المدينة المنورة ، في كثير من شئونها وأحوالها وتواريخها وأعلامها ومآثرها ، ومعظمها قد طبع ، وترجم بعضها إلى اللغات الاجنبية .

ونستعرض هنا مثلا من هذه المؤلفات التي كتبت منذ القرن الثاني للهجرة حتى اليوم :

١ ـ « كتاب الأوس والخزرج » وضعه أبو عبيدة معمر المثنى البصري . . والمتوفى في سنة ٢١١ هـ .

٢ ـ « فضائل المدينة » للعلامة ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

٣ ـ « الانارة في الزيارة » للحافظ ابن حجر العسقلاني .

٤ ـ « فضائل المدينة » لابن عساكر المتوفى سنة ٦٠٠ هـ .

٥ ـ « عروة التوثيق في النار والحريق » وضعه عن حريق المسجد النبوي العلامة قطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد المكي القسطلاني وقد توفي سنة ٦٨٦ هـ .

٦ ـ « ذروة الوفاء » و « خلاصة الوفاء » و « الوفاء » و « وفاء الوفاء » أربعة كتب للعلامة نور الدين علي بن السمهودي المتوفى سنة ٩١١ هـ وله أيضا كتاب « الوفا بأخبار دار المصطفى » احترق ضمن الحريق الذي حدث بالمسجد النبوي ـ في حياة المؤلف .

الهيتمى المكى .

٢٦ — «نتيجة الفكر فى خبر مدينة سيد البشر» للسيد محمد بن عبد الله الخليفتى العباسى المدنى ـ توفى سنة ١١٧١ هـ .

٢٧ — «دليل السائرين» للشيخ حسن البسنوى المدنى .

٢٨ — «حسن التوسل فى زيارة أفضل الرسل» للسيد عبد القادر ابن أحمد الفاكهانى ـ من أعلام القرن العاشر .

٢٩ — «فضائل المدينة» للشيخ الجندى ..

٣٠ — «عمدة الاخبار فى مدينة المختار» للعلامة أحمد بن عبد الحميد العباسى .

٣١ — «فضائل تمر المدينة وترابها» للشيخ جمال الدين بن حمزة الحجار العمرى .

٣٢ — «المغانم المطابة» للعلامة الفيروز آبادى ـ صاحب القاموس.

٣٣ — «نزهة الناظرين فى تاريخ مسجد سيد الأولين والآخرين» للسيد جعفر بن اسماعيل البرزنجى المدنى .

٣٤ — «نفحات الرضا والقبول فى زيارة المدينة وسيدنا الرسول» للشيخ أحمد الحضراوى المكى المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ..

٣٥ — «معالم دار الهجرة» للشيخ يوسف عبد الرازق ـ من القرن الرابع عشر

٣٦ — «آثار المدينة المنورة» للاستاذ عبد القدوس الانصارى الاديب المعاصر.. وغيره وغيره ...

وهناك أيضا عدة مؤلفات عن المدينة باللغات الهندية والتركية والفرنسية وغيرها ـ تتناول هذه البلاد الطاهرة بالتحبب والتعريف وتنشر أفضالها وأخبارها وآثارها ..

وهذا لاشك من العظمة الخالدة لها ولساكنها عليه أفضل الصلاة والتسليم ..؟



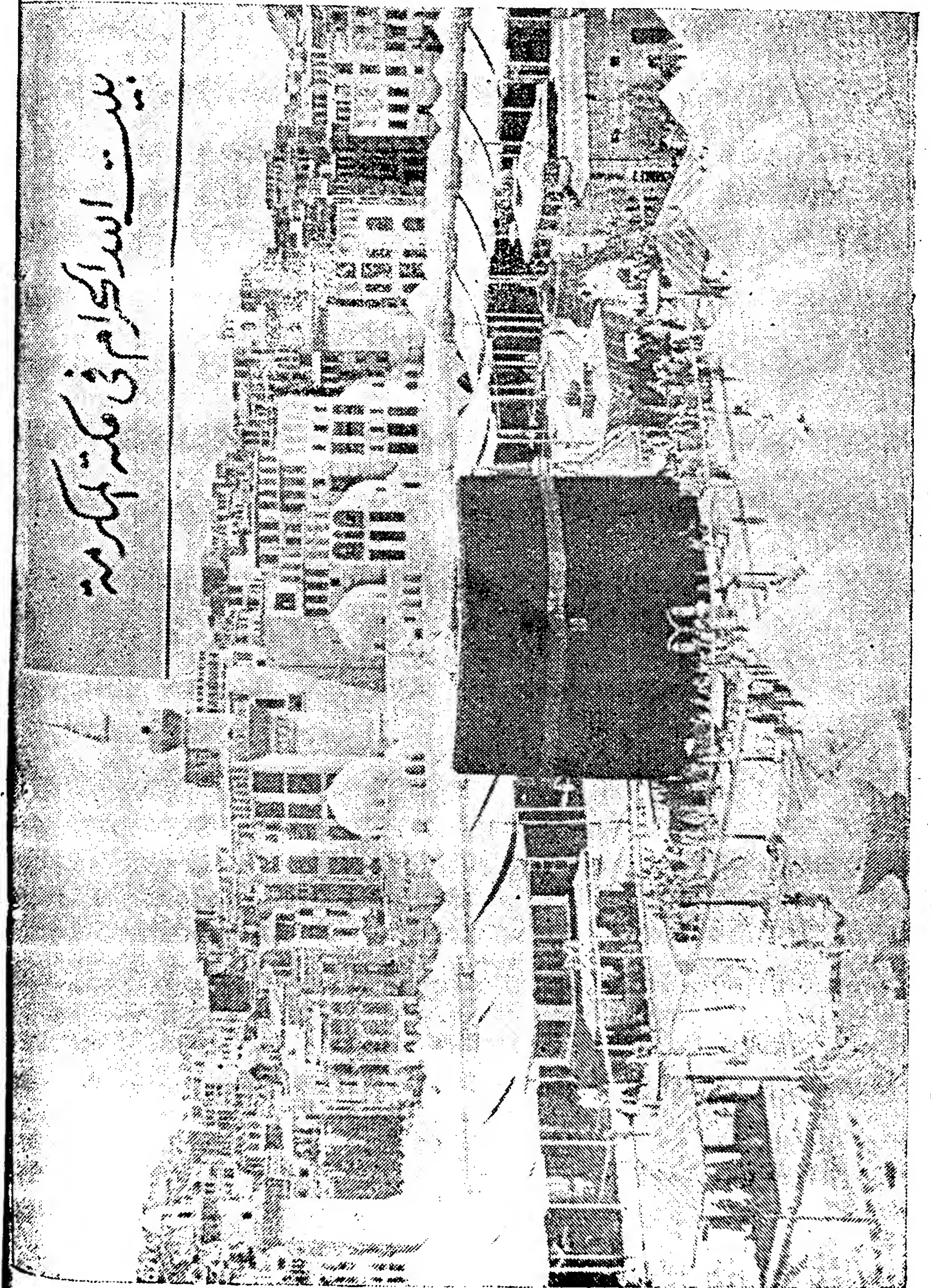
مناسك الحج .. والزيارة

جميل بكتاب كهذا يؤرخ للبلدة المقدسة ـ المدينة المنورة ـ أن يشتمل على عرض مناسب، لأهم مناسك الحج إلى بيت الله الحرام . أحد أركان الدين الحنيف ، والمفروض على كل من استطاع إليه سبيلا ، كما جاء فى ثبت القرآن الكريم والحديث الشريف . حيث تؤدى هذه الفريضة فى أيام معلومات من شهر ذى الحجة ـ كل عام ـ بمكة المكرمة . . . وتقترن عادة بزيارة المشرع الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم ، فى المدينة ـ قبل أو بعد الحج ـ للتبرك والسلام عليه والصلاة عن كثب منه . عليه أفضل الصلاة والتسليم .

قال جل شأنه فيما قال بصدد الحج : «وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق» .

وقال سبحانه مضمنا الحج والعمرة : «وأتموا الحج والعمرة لله» .

وعندما يعتزم الحاج السفر ، يتطهر ويصلى ركعتين بنية الحج ، يمتنع بعدها عن كل المحظورات . كصيد البر وقرب النساء والطيب وقص الشعر والأظافر وعقد الزواج ولغو الكلام أو الخصام . . . فارتكاب أى محظور يوجب الفدية بذبح شاة ، ولكل اتجاه مكان معروف للاحرام : فالقادم إلى مكة من الغرب أو الشام ـ يحرم فى رابغ ،


بيت الله الحرام فى مكة المكرمة

ومن المدينة يحرم من ذى الحليفة - أبيار على المعروفة - أما القادم من الشرق والعراق فيحرم من ذات عرق . . .

والإحرام للرجل - وهو عارى الرأس - لا يزيد على قطعتين من غير الحرير ، يلف بهما جسمه - دون مخيط فيهما . أما المرأة فترتدى المخيط وتغطى رأسها وتكشف عن وجهها ويديها ، وتلبس الخف ، ولهما ربط الحزام .

وبعد الإحرام يلازم الحاج التلبية ويكثر منها بعد كل صلاة - وهى : « لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك . إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك » .

ومن السنة الغسل عند القدوم إلى مكة . . ويدعو الحاج عند مدخله إليها :

« اللهم اجعل لى بها قرارا وارزقنى فيها رزقا حلالا ، اللهم إن هذا الحرم حرمك والبلد بلدك والأمن أمنك والعبد عبدك ، جئتك من بلاد بعيدة بذنوب كثيرة وأعمال سيئة ، أسألك مسألة المضطرين إليك المشفقين من عذابك ، أن تستقبلنى بمحض عفوك وأن تدخلنى فى فسيح جنتك جنة النعيم ، اللهم إن هذا حرمك وحرم رسولك ، فحرم لحمى ودمى وعظمى على النار ، اللهم آمنى من عذابك يوم تبعث عبادك ، أسألك بأنك أنت الله الذى لا إله إلا أنت الرحمن الرحيم أن تصلى وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا » .

وعندما يبصر الحاج بالبيت الحرام يقول : « لا إله إلا الله والله أكبر (ثلاثا) . اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام . اللهم هذا بيتك عظمته وشرفته . اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وزده مهابة وزد من حجه برا وكرامة . اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك وأعذنى من الشيطان الرجيم »

ويدعو أيضا عندما يقترب من باب الحرم الشريف : « اللهم هذا حرمك وأنت تحرم لحمى ودمى وشعرى وبشرى على النار . وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك . واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك » .

ويسن أيضا أن يدخل الحاج الحرم الشريف من باب بنى شيبة وهو يقول :

« بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم . الله أكبر لا إله إلا الله . اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وبرا . اللهم أنت السلام ومنك السلام فحينا ربنا بالسلام . اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك . اللهم أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تتقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئاتى وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى هو مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين . اللهم إنى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسألة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى الطالب مرضاتك .

ويدعو بما يشاء . . ثم يبدأ بالطواف الأول حول الكعبة - وهو طواف القدوم (١) وهناك طواف ثان بعد الحج - ويسمى طواف الافاضة - وبه يتم الحج ، ثم طواف الوداع عند مغادرة مكة المكرمة.

وللحاج التحلل من إحرامه بعد طواف القدوم إذا كان إحرامه بالعمرة - مقدما على الحج - على أن يعود إليه قبل يوم عرفة . أما إذا كان محرما بالحج وتمتع بالعمرة فإنه إن تحلل من إحرامه فعليه ذبح شاة وإن لم يستطع فيصوم ثلاثة أيام قبل النحر وسبعة بعد عودته إلى بلده.

ويتم الحاج أركان حجه بعد الطواف الأول - أو بعد يوم النحر بالسعى بين الصفا والمروة سبع مرات وهو يقول «رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم . اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» . ومن السنة أن يصعد الحاج فوق المروة والصفا ووجهه إلى البيت الحرام وهو يدعو : «الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمته كلها . لا إله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير . لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون . لا إله إلا الله مخلصين له الدين والحمد لله رب العالمين . فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ، ويحيى الأرض بعد موتها

(١) دعاء الطواف فى ختام هذا الفصل .

وكذلك تخرجون . ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون اللهم إنى أسألك إيمانا ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا . وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

وللحاج أن يدعو ربه بما يشاء فى كل مكان وعند أى اتجاه من المشاعر المقدسة .

ثم يأتى يوم عرفة . يوم الحج الأكبر حيث يجتمع الحجيج جميعهم فى مكان واحد منذ صباح اليوم التاسع من ذى الحجة حتى مغربه وحتى فجر اليوم العاشر حيث يبطل حج من لم يدرك عرفات قبل ذلك ، ومكان موقف عرفة بأسفل جبل الرحمة - ويومها يكثر الحجاج من قول «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير» . .

وبعد زوال الشمس يتلو الحجاج دعاء عرفة . (١)

ويمضى الحجاج فى منى الأيام الثلاثة ، لرمى الجمار بعد التقاط الحصيات السبعين من مزدلفة عند النزول إليها من عرفة - بعد غروب شمس اليوم التاسع ، حيث الكل يستقبل القبلة . فى خشوع وابتهال إلى رب العالمين ، فيكثرون من التسبيح والتهليل والحمد والثناء . ويدعونه سبحانه من واسع مغفرته وعفوه وعطاياه التى لا تحصى . . منيبين إليه راجين

(١) دعاء يوم عرفة مثبت هنا بعد أدعية الطواف .

رحمته وفضله ـ وهو المنعم المرجو للتوبة ، والقادر الوهاب الهادى إلى الصراط المستقيم .

فى فجر اليوم العاشر بعد صلاة الفجر ، يتجه الحاج صوب المشعر الحرام لذكر الله والدعاء ، ويقول فى دعائه: «اللهم بحق المشعر الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم منا التحية والسلام . وأدخلنا دار السلام ياذا الجلال والاكرام» .

وعند طلوع الشمس يكبر الحاج وهو يلبى حتى بلوغه مكان رمى الجمار، ويرمى فى اليوم الأول جمرة العقبة بسبع حصيات ، يقول قبل رمى كل حصاة : « الله أكبر على طاعة الرحمن ورجم الشيطان . اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم » .

وحالما يكمل الرمى ينقطع عن التلبية ، ويكثر من التكبير ــ خاصة بعد الصلوات ــ طيلة الأيام الأربعة . وبعد صلاة العيد يضحى على على قدر طاقته إمتثالا لقوله تعالى : « فصل لربك وانحر » ــ

بعد ذلك يكون النزول إلى مكة لطواف الإفاضة حول الكعبة والسعى .. وبهذا يكون الحج قد تم بكل أركانه .

ويخلع عندها الاحرام . ويعود الحجاج إلى منى لقضاء الأيام الثلاثة بها ولإكمال رمى الجمرات .

وهنا نذكر دعاء الطواف كاملا للاشواط السبعة :

دعاء النية :

« اللهم إنى أريد طواف بيتك الحرام فيسره لى وتقبله منى سبعة أشواط طواف الحج (١) لله تعالى عز وجل ــ ويقبل الحجر الأسود قائلا رافعاً يديه :

« بسم الله الله أكبر ولله الحمد » .

ويقول بين الركنين فى نهاية دعاء كل شوط : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار وأدخلنا الجنة مع الأبرار ياعزيز ياغفار يارب العالمين » .

فى الشوط الاول :

سبحان الله والحمد ولا اله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم . اللهم إيمانا بك وتصديقا بكلماتك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك وحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم اللهم إنى أسألك العفو والمعافاة الدائمة فى الدين والدنيا والآخرة والفوز بالجنة والنجاة من النار .

فى الشوط الثانى :

اللهم إن هذا البيت بيتك والحرم حرمك والأمن أمنك والعبد عبدك وأنا عبدك وابن عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار . فحرم لحومنا

(١) أو العمرة إن كان معتمراً .

وبشرتنا على النار . اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين . اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك اللهم ارزقنى الجنة بغير حساب .

فى الشوط الثالث :

اللهم إنى أعوذ بك من الشك والشرك والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر والمنقلب فى المال والأهل والولد . اللهم إنى أسألك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار ، أعوذ بك من فتنة القبر وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات .

فى الشوط الرابع :

اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً وعملا صالحاً مقبولا وتجارة لن تبور ، ياعالم ما فى الصدور أخرجنى يا الله من الظلمات إلى النور . اللهم إنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار رب قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيما أعطيتنى واخلف على كل غائبة لى منك بخير .

فى الشوط الخامس :

اللهم أظلنى تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظل عرشك ولا باقى إلا وجهك ، واسقنى من حوض نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدا . اللهم إنى أسألك من خير ما سألك منه محمد صلى الله عليه وسلم . وأعوذ بك من شر ما استعاذك منه نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . اللهم إنى أسألك الجنة ونعيمها وما يقربنى إليها من قول أو فعل أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما يقربنى من قول أو فعل أو عمل .

فى الشوط السادس :

اللهم إن لك على حقوقا كثيرة فيما بينى وبينك وحقوقا كثيرة فيما بينى وبين خلقك . اللهم ما كان لك منها فاغفره لى وما كان لخلقك فتحمله عنى واغننى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عن من سواك يا واسع المغفرة . اللهم إن بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت يا الله حليم كريم عظيم تحب العفو فاعف عنى .

فى الشوط السابع :

اللهم إنى أسألك إيمانا كاملا ويقينا صادقا ورزقا واسعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وحلالا طيبا وتوبة نصوحا قبل الموت وراحة عند الموت ومغفرة ورحمة بعد الموت والعفو عند الحساب والفوز بالجنة والنجاة من النار برحمتك يا عزيز ياغفار . رب زدنى علما وألحقنى بالصالحين .

دعاء الملتزم :

اللهم يا رب البيت العتيق أعتق رقابنا ورقاب آبائنا وأمهاتنا وأخواننا وأولادنا من النار ياذا الجود والكرم والفضل والمن والعطاء والإحسان . اللهم احسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . اللهم إنى عبدك وابن عبدك واقف تحت بابك ملتزم بأعتابك متذلل بين يديك أرجو رحمتك وأخشى عذابك من النار ياقديم الاحسان . اللهم إنى أسألك أن ترفع ذكرى وتضع وزرى وتصلح أمرى وتطهر قلبى وتنور لى قلبى وتغفر لى ذنبى وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين .

دعاء يوم عرفة :

« لا إله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير » اللهم إنك وفقتنى وحملتنى على ما سخرت لى حتى بلغتنى باحسانك إلى زيارة بيتك والوقوف عند هذا المشعر العظيم إقتداء بسنة خليلك واقتفاء بآثار خيرتك من خلقك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وإن لكل ضيف قرى ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل راغب إليك زلفة ولكل متوجه إليك إحسانا وقد وقفنا بهذا المشعر العظيم رجاء لما عندك فلا تخيب

لهذا رجاءنا فيك ياسيدنا يامولانا يا من خضعت كل الأشياء لعزه وعنت الوجوه لعظمته . اللهم اليك خرجنا وبفنائك أنخنا وإياك املنا وما عندك طلبنا ولإحسانك تعرضنا ولرحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا ولبيتك الحرام حججنا يامن يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعى ولا اله يرجى ولا فوقه خالق يخشى ولا وزير يؤتى ولا حاجب يرشى ، يامن لا يزداد على السؤال الا كرما وجودا وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا وإحسانا يا من ضجت بين يديه الأصوات بلغات مختلفات يسألونك الحاجات وسكبت الدموع بالعبرات والزفرات ملحين بالدعوات فحاجتى اليك يارب مغفرتك ورضاء منك علىّ لاسخط بعده وهدى لاضلال بعده وعلما لاجهل بعده وحسن الخاتمة والعتق من النار والفوز بالجنة وأن تذكرنى عند البلاء اذا نسينى أهل الدنيا وورانى التراب وانقطع عنى الأحباب وتقطعت بى الأسباب، يا عزيز يا وهاب يا أرحم الراحمين. اللهم إنك ترى مكانى وتسمع كلامى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شيء من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه . أسألك مسألة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضع لك عنقه وذل جسده وفاضت لك عيناه ورغم لك أنفه ، لا تجعلنى بدعائك رب شقيا وكن بى رؤوفا رحيما يا خير المسئولين ويا خير المعطين رب أهدنا بالهدى وزينا بالتقوى واغفر لنا فى الآخرة والأولى . اللهم اجعل فى قلبى نورا وفى بصرى نورا وفى سمعى نورا وفى لسانى نورا وعن يمينى نورا وعن يسارى نورا ومن فوقى نورا ومن تحتى نورا ومن أمامى نورا ومن خلفى نورا

واجعل لى فى نفسى نورا وأعظم لى نورا،رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى . اللهم انى أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى . اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيرا مما نقول . اللهم إنى أسألك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار وما قرب اليها من قول أوفعل أو عمل اللهم اجعله حجا مبرورا وذنبا مغفورا وعملا صالحا مقبولا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . إلهى لاقوة لى على سخطك ولا صبر لى على عذابك ولا غنى لى عن رحمتك ولاقوة لى على البلاء ولا طاقة لى على الجهد . أعوذ برضاك من سخطك ومن فجاءة نقمتك يا أملى ويارجائى يا خير مستغاث يا أجود المعطين يامن سبقت رحمته غضبه ياسيدى ومولاى ياثقتى ورجائى ومعتمدى . اللهم يامن لا يشغله سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الأصوات يامن لا يبرمه إلحاح الملحين ولا تعجزه مسألة السائلين أذقنا برد عفوك وحلاوة مغفرتك ياأرحم الراحمين . اللهم إنى قد وفدت إليك ووقفت بين يديك فى هذا الموضع الشريف رجاء لما عندك فلا تجعلنى اليوم أخيب وفدك ، فأكرمنى بالجنة ومنّ على بالمغفرة والعافية وأجرنى من النار وإدرأ عنى شر خلقك، إنقطع الرجاء إلا منك واغلقت الأبواب إلا بابك فلا تكلنى إلا أحد سواك فى أمور دينى ودنياى طرفة عين ولا أقل من ذلك وانقلنى من ذل المعصية إلى عز الطاعة ونور قلبى وقبرى وأعذنى من الشرك واجمع لى الخير كله ياأكرم من سئل وأجود من أعطى اللهم بنورك اهتدينا وبفضلك استغنينا وفى كنفك وإنعامك وعطائك وإحسانك أصبحنا وأمسينا. أنت الأول فلا شىء قبلك والآخر فلا شىء بعدك والظاهر فلا شىء فوقك والباطن فلا شىء دونك نعوذبك

من الفلس والكسل وعذاب القبر وفتنة الغنى أسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم والفوز بالجنة والنجاة من النار . اللهم يا عالم الخفيات ويا سامع الاصوات يا باعث الأموات يا مجيب الدعوات يا قاضى الحاجات يا خالق الأرض والسموات ، أنت الله الذى لا إله إلا أنت الواحد الأحد الفرد الصمد الوهاب الذى لا يبخل والحليم الذى لا يعجل لاراد لأمرك ولا معقب لحكمك رب كل شىء ومليك كل شىء ومقدر كل شىء أسألك أن ترزقنى علما نافعا ورزقا واسعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وعملا زكيا وإيمانا خالصا وهب لنا إنابة المخلصين وخشوع المخبتين وأعمال الصالحين ويقين الصادقين وسعادة المتقين ودرجات الفائزين يا أفضل من قصد وأكرم من سئل وأحلم من أغضى ما أحلمك على من عصاك وأقربك إلى من دعاك وأعطفك على من سألك،لا مهدى إلا من هديت ولاضال إلا من أضللت ولا غنى إلا من أغنيت ولا فقير إلا من أفقرت ولا معصوم إلا من عصمت ولا مستور إلا من سترت،أسألك أن تهب لنا جزيل عطائك والسعادة بلقائك والمزيد من نعمك وآلائك وأن تجعل لنا نورا فى حياتنا ونورا فى مماتنا ونورا فى قبورنا ونورا فى حشرنا ونورا نتوسل به اليك ونورا نفوز به لديك فانا ببابك سائلون وبنوالك معترفون وللقائك راجعون . اللهم اجعل خير عمرى آخره وخير عملى خواتمه وخير أيامى يوم لقائك . اللهم ثبتنى بأمرك وأيدنى بنصرك وارزقنى من فضلك ونجنى من عذابك يوم تبعث عبادك . فقد أتيتك لرحمتك راجيا وعن وطنى نائيا ولنسكى مؤديا ولفرائضك قاضيا

خيراً لنا منه رب اغفرلي ولوالدي ولأبنائي ولإخوتي وأهل بيتي وذريتي والمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات . اللهم أني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي ورضني بقضائك وأعني على الدنيا بالعفة والقناعة ، وعلى الدين بالطاعة وطهر لساني من الكذب وقلبي من النفاق وعملي من الرياء وبصري من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور . اللهم ارحم رغبتي في الدنيا ومصرعي عند الموت ووحشتي في قبري ومقامي بين يديك اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام . اللهم أنت الملك لا إله الا أنت وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت وأهدني لأحسن الأخلاق فلا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها الا أنت . لبيك وسعديك والخير كله بيديك وأتوب اليك . اللهم أحيني ما علمت الحياة خيراً لي وتوفني اذا علمت الوفاة خيراً لي واهدني لأرشد أمري وأجرني من شر نفسي . اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وارحم غربتي في الدنيا وتضرعي عند الموت ووحدتي في القبر ومقامي بين يديك . اللهم إني أسألك باسمك الطيب الطاهر المبارك الأحب اليك الذي اذا دعيت به أجبت واذا استرحمت به رحمت واذا استفرجت به فرجت أن تعيذني من الكفر والفقر والقلة والذلة والعلة وكافة الأمراض والأغراض وسائر الاسقام والآلام وأسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى . اللهم

أني أسألك فرجاً قريباً ونصراً عزيزاً وصبراً جميلاً وفتحاً مبيناً وعلماً كثيراً نافعاً ورزقاً واسعاً مباركاً في عافية بلا بلاء . وأسألك العافية من كل بلية وأسألك تمام العافية والشكر على العافية . اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيني وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغني به جنتك ومن اليقين ما تهون به علي مصائب الدنيا ، ومتعني اللهم بسمعي وبصري وديني واجعلها الوارث مني واجعل ثأري على من ظلمني وانصرني على من عاداني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا مبلغ علمي ولا إلى الناس مصيري . اللهم إني أسألك بنور وجهك الكريم وسلطانك العظيم توبة صادقة وأوبة خالصة وإنابة كاملة ومحبة غالية وشوقاً إليك ورغبة فيما لديك وفرجاً عاجلاً ورزقاً واسعاً ولساناً رطباً بذكرك وقلباً منعماً بشكرك وبدناً هيناً ليناً بطاعتك وأعطنا مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بشر . اللهم إنا نعوذ بك من الفقر إلا إليك ومن الذل إلا لك ومن الخوف إلا منك وأعوذ بك أن أقول زوراً أو أغشى فجوراً أو أكون بك مغروراً ، ونعوذ بك من شماتة الأعداء وعضال الداء وخيبة الرجاء وزوال النعم وفجاءة النقم يامن فتح بابه للطالبين وأظهر غناه للراغبين وأطلق ألسنة القاصرين ، ألهمنا ماألهمت عبادك الصالحين وأيقظنا من رقدة الغافلين إنك أكرم منعم وأعز معين . اللهم إن عيوبنا لا يسترها إلا محاسن لطفك وذنوبنا لا يغفرها الا واسع إحسانك وعفوك واجعلنا من المتقين الأبرار واسلك بنا سبيل عبادك الأخيار وألهمنا رشدنا وأجزل من رضوانك حظنا ولا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنا بعيوبنا ولا تقطعنا من برك ولا تنسنا ذكرك ولا تهتك عنا سترك واغفر لنا ما اقترفناه مـــن ذنوبنا وأعف

عن تقصيرنا فى طاعتك وشكرك وأدم لنا لزوم الطريق اليك وهب لنا نورا نهتدى به اليك وارزقنا حلاوة مناجاتك وأسلك بنا سبيل مرضاتك واقطع عنا كل ما يبعدنا عن خدمتك وطاعتك وأنقذنا من دركاتنا وغفلاتنا وألهمنا رشدنا وحقق فيك قصدنا واسترنا فى دنيانا وآخرتنا واحشرنا فى زمرة المتقين وألحقنا بعبادك الصالحين . اللهم اجعلنا من الأئمة الابرار واسلكنا معهم فى دار القرار ولا تجعلنا من المخالفين الفجار ووفقنا لحسن الاقبال عليك والإصغاء إليك والمبادرة إلى خدمتك وحسن الأدب فى معاملتك والتسليم لأمرك والرضى بقضائك والصبر على بلائك والشكر لنعمائك وأعذنا من أحوال الشقاء ووفقنا لأعمال أهل التقى وارزقنا الاستعداد ليوم اللقاء يامن عليه الاعتماد والمتكل . اللهم انهج بنا مناهج المفلحين وألبسنا خلع الإيمان واليقين وخصنا منك بالتوفيق المبين ووفقنا لقول الحق واتباعه وخلصنا من الباطل وابتداعه وكن لنا مؤيدا ولا تجعل لفاجر علينا يدا واجعل لنا عيشا رغدا ولا تشمت بنا عدوا ولا حاسدا وارزقنا علما نافعا وعملا متقبلا وفهما ذكيا وطبعا صفيا وشفاء من كل داء . اللهم عاملنا بغفرانك وامنن علينا بفضلك وإحسانك ونجنا من النار وعافنا من دار الخزى والبوار وأدخلنا بفضلك الجنة دار القرار واجعلنا من الذين أنعمت عليهم فى دار رضوانك يامن ظهرت معرفته للقلوب فلا يخفى وجوده . اللهم لا تجعل هذا آخر عهده من هذا الموقف العظيم وارزقنى الرجوع إليه مرات كثيرة بلطفك العميم واجعلنى فيه مفلحا مرحوما مستجاب الدعاء فائزا بالقبول والرضوان والتجاوز والغفران والرزق الحلال الواسع وبارك لى فى جميع أمورى وما أرجع

إليه من أهلى ومالى وأولادى . ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . إغفر لنا ولوالدينا ولوالد والدينا وذريتنا وإخواننا وأهلينا والحاضرين والغائبين من المسلمين أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين » .

بعد الانتهاء من الحج وطواف الوداع يدعو الحاج بهذا الدعاء فى نهاية الطواف :

« إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد . يامعيذ أعذنى ويا سميع اسمعنى وياجبار اجبرنى وياستار استرنى ويارحمن ارحمنى ويارادّ ارددنى إلى بيتك هذا وارزقنى إليه العودة ثم العود كرات بعد مرات تائبين عابدين سائحين لربنا حامدين : صدق الله وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده . اللهم اكتب السلامة والعافية والغنيمة لنا ولعبيدك الحجاج والزوار لبيتك والغزاة والمسافرين والمقيمين فى برك وبحرك من أمة محمد أجمعين . احفظنى عن يمينى وعن يسارى ومن أمامى ومن وراء ظهرى ومن فوقى ومن تحتى حتى توصلنى إلى أهلى وبلدى وأسألك ألا تخلينى من رحمتك طرفة عين ولا أقل من ذلك . اللهم كن لنا صاحبا فى سفرنا وخليفة فى أهلنا واطمس على وجوه أعدائنا وامسخهم على مكانتهم فلا يستطيعون المضى ولا المجىء إلينا اللهم لا تجعله آخر العهد من بيتك هذا . اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى وارحمنى أن أتكلف مالا يعنينى وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى . اللهم متعنى ببصرى واجعله الوارث منى وأرنى من العدو ثأرى وانصرنى على من ظلمنى . اللهم إنى أعوذ بك من الهم

والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال . اللهم إنى أسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى . اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده . اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى المال والأهل والولد . اللهم أصحبنا بعفوك واقلبنا بعافيتك . اللهم اطو لنا الأرض وهون علينا السفر وسلمنا من كآبة المنقلب . اللهم بلاغا يبلغ خيرا ، وسترا منك ورضوانا بيدك الخير إنك على كل شىء قدير اللهم أصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا . اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى يا أرحم الراحمين يارب العالمين » .

وقبل الخروج من مكة يدعو الحاج بهذا الدعاء وهو يقف بالملتزم فى الحرم الشريف :

« اللهم هذا بيتك وأنا عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، حملتنى على ما سخرت لى من خلقك وسيرتنى فى بلادك حتى بلغتنى بنعمتك إلى بيتك وأعنتنى على أداء نسكى فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضا وإلا فمن الآن قبل ان تنأى عن بيتك دارى وهذا أوان انصرافى إن أذنت لى غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغبـــا عنك ولا عن بيتك . اللهم فأصحبنى العافية فى بدنى والصحة فى جسمى والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى واجمع لى بين خيرى الدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير . وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم » .

الزيارة

إلى بلد الحبيب — صلى الله عليه وسلم

فى المدينة المنورة مشاهد ومآثر من المستحب زيارتها والوقوف بجانبها استذكارا لبطولة أصحابها واستمتاعا بروحانيتها وتبركا بقدسيتها : وهى عدا المقام العظيم للمشرع الأعظم سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام . بالمسجد النبوى الشريف حيث ضريحه الطاهر وضريح صاحبيه العظيمين أبى بكر وعمر — رضى الله عنهما — فى الحجرة المباركة ..

فهنالك مجالات أخرى للزيارة . . زيارة أهل البقيع حيث مثوى كرام الصحابة الأجلاء . وزوجات الرسول وبناته وقبور المؤمنين — الى مقامات الشهداء . كسيدنا حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وشهداء بدر وأحد . . الى زيارة مسجد قباء والصلاة فيه . . الى المساجد الأخرى التى لها مكانتها وتاريخها كمسجد الفتح والقبلتين ، الى قبر الإمام مالك — رضى الله عنه وقبر أبى طالب . وسواهم .

ومن الطبيعى فإن الطهارة شرط أساسى فى القيام بهذه الزيارات ..

فإذا قدم الزائر الى المسجد النبوى صلى ركعتين تحية له .. ومن ثم يتجه الى الضريح الشريف ليقف تجاه وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم — فى سكينة وهدوء . ويصلى ويسلم عليه بصوت خفيض قائلا:

الصلاة والسلام عليك يارسول الله. السلام عليك يانبي الله، السلام عليك ياخير خلق الله، السلام عليك ياصفوة الله. السلام عليك ياسيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين. السلام عليك وعلى أهل بيتك الطيبين الطاهرين. السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين. السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين وعلى سائر الانبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين. جزاك الله أفضل ماجازى نبيا عن أمته. أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه على وحيه وخير خلقه وأشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الامة وجاهدت في الله حق جهاده. اللهم آته الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة العالية وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم إنك حميد مجيد».

ويدعو الزائر بما يشاء ـ ثم ينتقل إلى السلام على الخليفتين أبي بكر وعمر رضى الله عنهما قائلا:

«السلام عليك يا أبا بكر الصديق. السلام عليك ياخليفة سيد العالمين ورحمة الله وبركاته جزاك الله عن الاسلام والمسلمين خيرا. اللهم ارض عنه».

«السلام عليك ياعمر بن الخطاب، السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. جزاك الله عن الإسلام والمسلمين خيرا. اللهم ارض عنه».

وفي زيارة البقيع يقول الزائر ويدعو :ـ

«السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين. اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم واغفر لنا ولهم ـ عليهم رحمة الله وبركاته».

ويخص الزائر مقامات أهل البيت بالوقوف عند قبر كل منهم ويقول وهو يسمى كل من يسلم عليه:

السلام عليك يا . . . ورحمة الله وبركاته. اللهم اغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم لاتحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

. . .

تم وضع هذا الكتاب وتأليفه في شهر أوائل سنة ١٣٧٩ هجرية بالمدينة المنورة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والتسليم، وانتهينا من طبعه في منتصف سنة ١٣٨١ هـ، والحمد لله أولا وآخرا

عبد السلام هاشم حافظ

فهرست

• • • •

أهم مراجع الكتاب

السيرة النبوية — لابن هشام .

خلاصة الكلام — لابن دحلان .

الأعلام — لخير الدين الزركلى

وفاء الوفا — للعلامة على بن السمهودى .

بعض أعداد من مجلة « المنهل » الأدبية .

الثمن : ٣٥ مصرى — ٧ ريال سعودى

٢٢٦